

من المسرح العالمي

# هرياني

تأليف: فيكتور هيجو  
ترجمة وتقديم: زكي طليمات

مسلسلة

من

المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب: ١٩٣





من المسجح المالعى

أول يونبر ١٩٧٤

شهرى رىبىة

٥٧

# هرىانى

تألف: فىكنور هبجو

ترجمه ونقىم: زكى ظلماء

تصدر عن: وزارة الإعلام - الكوىة



# مقدمة بقلم المترجم

## ١ - تعريف بالمؤلف :

مؤلف هذه المسرحية ، فيكتور هوجو (١) يأخذ مكانه بجداوة في الصف الاول بين شعراء الادب الغربى ، كما يعتبر القمة السامقة التى لا تطاولها قمة بين ادياء فرنسا فى القرن التاسع عشر ، اذ سيطر عليه بطول حياته ، ثم بخصب انتاجه ، بحيث يذهب اكثر مؤرخى الادب الى تسمية الزمن الذى عاشه « عصر فيكتور هوجو » .

ولا عجب ..

ففى هذه الشخصية تجتمعت مواهب وقدرات اتاحت لصاحبها أن يكون الشاعر ، والكاتب المسرحى ، والقاص ، والناقد الادبى والفنى الضارب بقلمه فى مختلف شئون الفلسفة والاجتماع ، وأن يخوض المارك الادبية الى جانب المنازعات السياسية ، ثم ..

ثم هو الى جانب ذلك .. صاحب قلب ينبض بالحب ، ويستجيب له ، ولا يبالى أحيانا ، بما يبذله فى منبيل هذه الاستجابة !!

ونعتذر للحب ، باعتبار اننا فى اول الحديث عن الشاعر المسرحى ، على أن نعود اليه بعد ذلك .

والشاعر هو الاصل فى كل انتاجه ، حتى فى الحب ، وهو الشاعر القوى الطبع الطويل النفس ، الذى يتفجر احساسا بفيوض من انسانية رحيمة وخيرة ، تفاعلت مع مؤثرات بيئته وعوامل زمنه .

ثم هو فى انتاجه الادبى - وذلك بعد أن استقام عوده فيه - لم يكن متبعا للقيم والمعايير التى كان عليها الادب والفن ، وكلها كلاسية (٢) منحدره من القرن السابع

---

١ - ولد بمدينة بيزانسون فى فرنسا عام ١٨٠٢ وتوفى بباريس ١٨٨٥ وحمل رفاقه الى ( البانتيون ) حيث يرقد عظماء فرنسا ، وكان والده قائدا فى الجيش الامبراطورى ، جيش نابليون بونابرت .

٢ - يطلقون اسم الكلاسية بالادب الفرنسى على ذلك الجيل من الشعراء الذين قدموا انتاجهم ابتداء من اواخر القرن السابع عشر ويربط بينهم مزاج ينزع الى تقليد الاقدمين من افريق ورومان .

عشر بفرنسا ، وانما كان مجددا ومبتدعا ، ويحمل لواء اتجاه أدبي مستحدث في فرنسا ودق أبوابها منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وأعنى بهذا الاتجاه ( الرومانسية ) ، الأوروبية وامتد أثره الى الشرق العربي ، كما سنوضح ذلك فيما بعد .

### تنقل مستمر ونضج مبكر :

وأول ما يبعث على التأمل عند النظرة الشاملة الى انتاج مؤلفنا ، هو هذا التنوع فيه .. وهو أيضا هذا التوغل في قطاعاته ..

كما أن أول ما يلفت النظر أيضا في هذا الانتاج هو أن ينابيعه تفجرت في وجدان الشاعر ، وهو لم يزل فتى غض الأهاب !!  
والأمران ، يؤلفان ولا شك ظاهرة ، لها ما وراءها .

ونبادر فنقرر أن الأمر الأول فيما تقدم ذكره يرجع الى أن شاعرنا - وذلك طيلة طفولته ومراهقته - لم يكن يستقر في مكان واحد ، إذ كان مقضيا عليه أن يكون دائم الانتقال بين أماكن عدة ، عاشها وعاشته ، وذلك بحكم أن والده رجل الجرف . كان يطوف بين فرنسا وإيطاليا وإسبانيا تبعا لمقتضيات الغزو البونابارتي ، فامتلات مخيلة الصبي الناشئ برؤى عدة ودفنويات مختلفة ، خلقت كل منها رواسب في وجدانه .

هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى .. فإن الشاعر عاصر ألوانا مختلفة من الحكم في وطنه .

خرج الى الدنيا وانتصارات ( بونابرت ) تملأ أسماع الدنيا وتداعب المخيلة ..

وما أن تجاوز الصبي سن المراهقة حتى قامت رجعة للملكية مطلقة تحكم البلاد (١) ثم جاءت ملكية دستورية (٢) لتخلي مكانها لحكم جمهوري ، أنظمة من الحكم ، لكل منها حاله ، وكان على الشاعر أن يعايشها ، وأن يلتحم بناسها ليكسب عيشه وليتبت ذاتيته .. فكان أن اشترك بقلمه في أحداث هذه الأنظمة ، وجاء شعره يردد الكبر من أصداثها وينقل انطباعاته عنها .

بل ان العصر الذي عاشه الشاعر ، من سميم القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذي تزاومت فيه تيارات مختلفة من الفكر ومن المزاج العام ، وتوانبت ، لينفض

---

١ - تولى الملك لويس الثامن عشر الحكم باسم اسرة البوربون الملكية التي اطاحت بها الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

٢ - هذه الملكية الدستورية قامت بقيام ( لويس فيليب ) ملكا بعد شارل العاشر .



بعضها البعض الآخر في قيمه ومضامينه وقوالبه . قرن نزق دائم التغير ، ولا يقيم على حال (١) .

فلا عجب ، والحالة هذه ، وذلك في عامل من عوامل البيئة ، أن يجيء انتاج شاعرنا في مثل طاقة مختلفة الألوان من حديقة جمعت أنواعا متباينة من الورد والزهر !!

### طفولة مضطربة ومراهقة ممزقة

والى جانب ما تقدم يجيء عامل آخر مأتاه الظروف التي شكلت قالباً من قوالب حياته الخاصة .

عرف هوجو ضيق العيش بل ضنكه وذلك في نشأته الأولى . .

وقاسى الكثير من تمزق الحياة العائلية حوله . اذ كانت هناك امرأة ثانية ، الى جانب الأم هي عشيقه الأب !!

ان الوالد ذا المنصب الكبير في الجيش ، واللقب المرموق في الحياة الإجتماعية (٢) .. كان مبذرا يعول امرأتين ، زوجة وعشيقة ، هذا فضلا عن التنقل الذي لا يهدأ من بلد الى بلد . . . ثم . . .

ثم هذا الخلاف الدائم بين الزوج ذى العشيقه ، والزوجة التي أنجبت ثلاثة اولاد (٣) وهو خلاف أشبه ما يكون بالحية ذات الرؤوس السبعة، و اذا بتر رأس منها، عاد ينبت مكانه رأس جديد !! وقد انتهى هذا الخلاف بانفصال الوالدين .

ويبدو أن ( هوجو ) كان شديد الالتصاق بوالدته ، فقد أورد في مذكراته :

« كان لى في طفولتي الناعمة الشقراء ثلاثة أساتدة أخذت عنهم ، وهم حديقة

المنزل ، وراهب عجوز ثم أمى » .

والأم هي المدرسة الاولى ، وقد تلقى (هوجو) عنها شغفه بالقراءة والاطلاع وحرية التفكير . كانت الأم مولعة بالاطلاع وتأخذ بالحرية في تنشئة اولادها ، وقد

(١) - قامت بفرنسا في هذا القرن ثورتان ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ ثم انقلاب عام ١٨٥١ . وعدد آخر من الانقلابات السياسية والعسكرية ، والمؤامرات ومظاهرات العنف . هذا وفي الفنون التشكيلية تتابعت ثورات في مفاهيم الفنون ، بين الواقعية ، والانطباعية ، والتكعيبية ، والرمزية ، والتعبيرية والوحشية . . . الخ .

(٢) - كان والد الشاعر يحمل لقب ( كونت ) في الحياة المدنية .

(٣) - وهم ابيل وايوجين وفيكتور .

تعرف الابن من طريق الام الى اهم كتاب القرن الثامن عشر ، وفي مقدمتهم ( فولتير )  
و ( جان جاك روسو ) و ( ديدرو ) . وكلهم من رواد الثورة في الأدب الفرنسي وممن  
عهدوا لقيام الثورة الفرنسية الكبرى التي قلبت أوجه الحياة في فرنسا .

## الصبي العاشق

و عرف الصبي العشق المبكر ..

أحب ابنة الجيران ( أديل فوشيه ) وتدلله كل منهما في حب صاحبه الى حد  
بعيد حتى أن أسرتيهما عملتا على ألا يتم لقاء بين الصبي والصبية ، حرصا على  
كيان كل منهما ..

ولعل هوجو أحب في فتاته الملامح والسمات التي كانت عليها فتاته الاولى (1)  
التي تعلق بها في اسبانيا ، وكانت في السادسة عشرة وكان هو على أبواب العاشرة !!  
ان كل شيء في هذا الصبي يبدأ مبكرا .. حتى المعاتبات الغرامية .

## عقدة التفوق

و أدخل الصبي الممزق ، والعاشق الولهان قبل أوانه مدرسة داخلية ، فانطوى  
على نفسه وقد اضطرب احساسه بمنزلته الاجتماعية ، وهي منزلة كان يرى انها  
لا تيسر له أمر الزواج من ( أديل فوشيه ) .

ثم ان في رأس الفتى أخيلة ذهبية تتجاوب بما يجب أن تكون عليه حياة ابن  
يشغل والده مركزا اجتماعيا مرموقا ، وقد تذوق ألوانا منها قبل أن يقع الشقاق  
بين والديه ، الا أن الواقع القائم الذي يحياه الفتى بعد ذلك ، لا يبعث الا أحلام  
الكآبة .

لهذا لم يكن عجبا أن يلهب الفتى احساسه لاشعوري يدفعه دائما الى أن ينشد  
التفوق على أقرانه ، والى أن يستعرض قدراته على أوسع نطاق .

## الصبي النابغ

كان الفتى هوجو في الرابعة عشرة حينما أرسل الى الأكاديمية الفرنسية قصيدة  
تتألف من ثلاثمائة بيت من الشعر ، فأجازته الأكاديمية بالفاخر الطيب واكتفت  
بتسجيل اسمه بين الشعراء وهي في شك من أمر هذا الفتى ..

---

(1) - كانت تدعى ( يبيتا ) وهي ابنة المريكز دي مونت هاربوزا ، أحد أشراف  
( مدريد ) وسرتها حيث أقام هوجو مع والدته ، ودحا من الزمن .

الا أن قصائد أخرى أخذت تتتابع وتثير الإعجاب ، كما تبعث على العجب من هذا ( الصبي النابغة ) كما أسماه الشاعر الكبير ( شاتوبريان ) ( ١ ) .

ودفعه سوء الأحوال المعيشية الى أن يعتمد على قلمه ، فأخذ يمدح النظام الملكي وقد عاد الى الحكم ، وعلى رأسه لويس الثامن عشر ، فتوالت عليه المنح المالية من جانب الملك وحكومته .

وأصدر مع شقيقه صحيفة دورية ( ٢ ) تتضمن انتاجه الأول في الشعر وفي القصة وفي البحوث الأدبية والفنية . وقد جاء كل هذا يحمل الطابع الكلاسي في الأدب ، ويعبر عن وجهة نظر الكلاسيين . ان ( هوجو ) يفضل ( كورنى ) و ( راسين ) ( ٣ ) على ( شيلر ) الألماني و ( شكسبير ) الانجليزي والأخيران من الرواد الذين عملوا على تحرير الأدب من القيود الكلاسيية !!

ان ( هوجو ) ما برح حتى الساعة لا يؤمن ( بالرومانسية ) التي ارتسمت ثلاثتها في الأفق ، وان كان الشعر الذي صافه في محبوبته ( أديل فوشيه ) تطفى عليه شحنات عاطفية يجفوها الامتدال ، والأخذ بالاعتدال في اطلاق العاطفة وتغليبها على العقل ورسائته ، كما هو معلوم من صفات الكلاسيية والكلاسيين !!

كما جاء ديوانه الأول ( أغاني وقصائد مختلفة ) عام ١٨٢٢ يحمل نكهة ومذاقا من عنصر جديد لم تتبلور معاله بعد !!

## زواج كتيب

وفي العام التالي تم زواجه من ( أديل فوشيه ) وبدأت ملحمة زوجية كان الفصل الأول منها كتيباً ومذهلاً .

فبينما كانت حفلة العرس تدق أجراسها البلورية بالكؤوس يتبادل بها المدعوون. انتخاب العروسين ، حدث أن ( أوجين ) شقيق العريس وقع مغشياً عليه ، وقد صرعه نوبة عصبية ذهبت بكامل عقله بعد ذلك !! والسبب ؟؟

كان ( أوجين ) يكتنم حبا ضاريا للعروس ، زوج شقيقه المحتفل بزواجه ، ولكنه لم يبيح بهذا الحب وأخفاه عن كل الناس ، احتراماً لشعور شقيقه !!

---

١ - شاعر وكاتب فرنسي كبير ( ١٧٦٨ - ١٨٤٨ ) عاصر الثورة الفرنسية وما بعدها ، واستطاع بمخيلته الخصبة وبأسلوبه البياني القوي أن يغير من القوالب الأدبية وأن يمهد لقيام الحركة الرومانسية .

٢ - اسمها ( المحافظ الأدبي ) .

٣ - كورنى وراسين من أكبر شعراء المسرح بالقرن السابع عشر ، وهما من أقطاب الكلاسيية .

## الحب - قدر

ان الحب - كما يبدو - مولع بأن يطبع كفه القادرة على الحائط أمام عيني الشاعر الناشئ ، بل هو - وكما سنرى بعد ذلك - عنصر ذو شأن في تطور مراحل حياته .

شاهد هوجو أباه وهو ينصرف عن حب والدته ويعشق أخرى تغلبه على أمره ، وتزف اليه في النهاية ..

ورأى الحب - وهو الحب للحب والقبلة للقبلة - وهو دون العاشرة ..

ثم اكتوى بالحب بعد ذلك بيد من أصبحت زوجته اليوم ...

وأخيرا رأى الحب يقتل شقيقه !!

ولم تنته القائمة بعد ...

## أرهاصات للرومانسية

ومن يكن على قلب اكتوى بكل هذا ، فسرعان ما يسكن الى العاطفة ، ويستجيب الى الهزة ، ويرحب بالانفعالات القوية ، ويميل الى التحرر من القيود .

لهذا لم يكن أمرا مستغربا أن نرى شاعرنا مهيمًا لاستقبال هذه التيارات الأدبية الوافدة من المانيا ومن انجلترا تحمل في طياتها فيوضا من الانفعالات ، ومن النزعات التحررية وهي تتدفق في أوصال الأدب الفرنسي الكلاسي ، وتغير من معالمة لتعرف بعد ذلك باسم ( الرومانسية ) .

وأصدر هوجو صحيفة ( الهة الشعر الفرنسي ) La Muse Française تعكس هذه الحركة وتعبير عن آراء القائمين بها . وهم شباب متحمسون من الشعراء (1) والكتاب ... صاروا يعقدون ندوات دورية ، بعد أن أطلقوا على جماعاتهم اسم ( الجمع ) ليتناقشوا في الأدب والفنون ويتصايحوا .

## الحركة الرومانسية

ولكن ما ماهية هذه الصيحة الجديدة في الأدب ؟ واضح انها تمرد على الأوضاع القديمة في الأدب وفي الفنون ، ووجبة في تحرير الشعر خاصة من قيوده القديمة ، وشوق الى الانطلاق نحو آفاق جديدة تكون الكلمة العالية فيها للعاطفة المشبوبة ، وهي تستمد وحيها من الطبيعة مباشرة وليس من

---

(1) - جدير بالذكر أن من بين هؤلاء الشعراء والنقاد والفنانين : الفريد دي فيني ، اميل ديشان ، شارل فوديه ، تبوفيل جوتيه ، اسكندر دوماس ، الفريد دي موسيه ، سانت بييف ، الموسيقار ، ليست المصور ديلاكروا .

خلال قوالب مصنوعة وأوضاع مجتلية إلا أن هذه الصيحة ، وإن تمخضت عن حركة ونشاط ، فإنها كانت مائة رجاجة ، يعوزها صلابة ورسوخ تنتظم فيهما القواعد المحكمة ، والأبعاد الواضحة ، والأهداف المحددة ..

كان الرباط الأول الذي يجمع بين هؤلاء الثوار ، هو إيجاد نهضة حديثة في الأدب وفي الفنون !!! ولكن ..

ولكن ما ماهية هذه النهضة ؟ وما عناصرها ؟ وما أهدافها ؟؟

## مسرحية كرومويل دستور الرومانسية

وفي عام ١٨٢٧ خرج أول عطاء مسرحي لشاعرنا ، هو مسرحية كرومويل وهي تاريخية تعالج حياة العملاق الإنجليزي الثائر أوليفر كرومويل (١) .

وقد صدرت المسرحية ( بمقدمة ) طويلة ، تؤلف بحثا دقيقا وشاملا في ماهية هذه الحركة الجديدة ، من حيث قيمها ، وأوضاعها ، ومفاهيمها ، وأهدافها .

والمسرحية تؤلف بحق النموذج الأول للمسرحية الرومانسية بفرنسا إذ أن في تناولها الموضوع ، ومعالجة سياقه ، شكلا وأسلوبا ، تطبيقا لما ورد في ( المقدمة ) نظرا .

إلا أن هذه المسرحية ، على جدتها في المبالغة وجرأتها في الأسلوب لم تكن على حظ موفور من المشوقات والمفاجآت التي تكفل لها النجاح أمام الجمهور ، كما جاءت في إطالة يضيق بها المسرح ، ولهذا لم تطالع أضواءه .

ولعل حرص الشاعر على إجراء أوسع تطبيق وأدق للنظريات التي أتى بها في المقدمة ، وذلك في ماهية الرومانسية ، شغله عن أن يعنى بالمسرحية العناية التي تؤكد لها نجاحا مسرحيا .

وهكذا وضع ( هوجو ) دستور الحركة الصاعدة كما تولى زعامتها .

وستكون لنا وقفة مع هذه ( المقدمة ) عندما نعالج ماهية الرومانسية على نطاق واسع .

## بؤادر معركة :

وقامت معركة قلمية حامية بين أنصار هذه الرومانسية التي رفعت رايتها عالية بما جاء في ( المقدمة ) ، وأنصار الأدب الكلاسي القديم ، أولئك الذين قألوا يقدفون الجيل الصاعد من الأدباء بالانحراف ، وبأنهم همج وبرابرة !!

---

١ - أوليفر كرومويل ( ١٥٥٦ - ١٦٥٨ ) أطاح برأس الملك شارل الأول من أجل تدعيم الحياة البرلمانية بانجلترا ، واعلاء كلمة الشعب . وبهذا قضى على أسطورة ( الحق الإلهي ) التي كانت تعصم الملوك من محاسبة الشعب لهم إذا أخطأوا وتجرموا .

وجاء عطاء آخر من جانب ( زعيم الهمج والبرابرة ) ، هو ديوان شعر يحمل عنوان ( الشرقيات ) ( ١ ) أعلى من شأنه إذ كشف عن ناحية من انسانية رحيمة واسعة الرحاب ، فقد جاءت الاكثرية الغالبة مما تضمنه الديوان تشيد ( بالثورة اليونانية ) ضد الأتراك ، وهي ثورة تحررية ناصرها أصحاب الفكر الحر والنزعة التحررية في أوروبا .

وجاء عطاء ثالث ، ولكنه جاء في عالم القصة الطويلة ، يحمل عنوان ( آخر يوم لمحكوم عليه بالاعدام ) حمل فيها الشاعر القاص على عقوبة الاعدام ، مناديا بوجوب الفاء ( هذا القتل الذي يتم في رماية القانون وباسمه ) .

وتعتبر هذه القصة ارهاصا لقصة ( اليؤساء ) التي جالت بعد ذلك ، الا أن كل هذه الانتصارات وما يتبعها من تهجم القدامى عليها وانتقاصهم من قدرها لم يكن يتجاوز أمر المناوشات لمعركة قادمة ، ستكون ، ولا شك الضربة القاضية التي تحسم الأمر لأحد الطرفين القدامى والمحدثين .

ان هوجو لم ينس أن مسرحية كرومويل لم تطالع أضواء المسرح ، كما انه يعرف أن الحكم على المسرحية لا يتأتى الا بأن يطالعها الجمهور فوق المسرح وقد تجسمت معانيها تجسيما ماديا بوساطة الممثلين والأستار والأضواء .

## ماريون دي لورم

واتكب هوجو يكتب للمسرح ..

وأنجز في مدى ثلاثة اسابيع ، مسرحية تاريخية تحمل عنوان ماريون دي لورم الا أن الرقابة الملكية على المصنفات الفنية ، لم تجز تمثيلها ، برغم أن الملك لويس الثالث عشر ، وهو أحد شخوص المسرحية ، يبدو بالفصل الرابع ، في مظهر لا يشرف الملكية ، بل هو يحط من كرامة الملك لويس نفسه ، وهو من أسلاف الملك شارل العاشر القائم على العرش إذ ذاك ؟

ولم تفت هذه الخيبة في غضد الشاعر الذي يريد أن ينازل الكلاسيين في عقر دارهم وفي اثرى مجالاتهم الادبية ، وهو المسرح !!

## هرناني

وخرجت مسرحية جديدة أخرى في عام ١٨٢٩ ، هي هرناني لتلقى بوقود في المعركة ويعتبر تقديمها بمسرح الكوميدي فرنسيس في فبراير عام ١٣٨٠ حدثا في تاريخ المسرح الفرنسي ، إذ اكتسب الرومانسيون نصرا مبينا ، بعد أن تهافت الجماهير على رؤية المسرحية تهافتا لم يكن مألوقا من قبل .

١ - وفي مقدمتهم الشاعر الانجليزي الكبير ( لورد بيرون ) .

كان لهذا النصر دوى كبير في جميع المحافل الأدبية والفنية ، بحيث أطلقوا على ما جرى في الحفلة الأولى من حفلات هذه المسرحية ، اسم ( معركة هرناني ) ، إذ هب الجمهور في فترات الاستراحة بالحفلة ، وقد انقسم الى فريقين : -

الكلاسيين القدامى ، والرومانسيين المحدثين ، وأخذوا يتراشقون بالهتافات ، وبالمباراة الشديدة ، وبما انطوت عليه الأيدي ، هذا وكل فريق يعلى من وجهة نظره .

وهكذا جاء للرومانسية نموذجها الكامل في عالم المسرح . بل ان اسم هذه المسرحية دخل تاريخ الأدب المسرحي العام ، بوصفه عنوانا لأطول نضال أدبي ، إذ استمر من عام ١٨٢٥ الى ١٨٤٣ .

وماذا في هذه المسرحية ليثير كل هذا الشغب ؟؟

اكتفى في هذا المقام بتسجيل موجز الموجز من موضوعها ، على أن تكون لي رجة اليه :

- كان هناك ثلاثة عشاق ينشدون حب حسناء :

\* شاب قاطع طريق ..

\* وثانيهم نبيل عجوز ذو جاه و ثراء ..

\* وثالثهم ملك ذو حول وطول ..

\* وحينما وقع الهجوم ، فاز بالحسناء قاطع الطريق !!

موضوع له نظائر وأشباه في قصص الحب وسفه الشيخوخة ، ولكن تناول الموضوع بمعالجته ، ولكن خروج السياق على المألوف ، ولكن القالب .. كل هذا جاء في أسلوب جديد لم يكن مألوقا في كتابة المسرحية الفرثسية (١) .

## أحدب نوتردام :

ولم يمض عام حتى استقبل هوجو نجاحا مماثلا بنشر قصة ( أحدب نوتردام ) التي تعتبر معجزة قصصه ، وأكثرها طرافة ، وأمعنها غرابة في الحوادث وفي سلوك شخصها ، وأية شخصية أوفل في الغرابة من شخصية ( كوزمودو ) المحب الوامق

(١) - يذهب بعض نقاد الأدب المسرحي الى أن مسرحية السيد للشاعر ( كورني ) بالقرن السابع عشر ، سبقت مسرحية ( هرناني ) من حيث الخروج على وحدة الزمان والمكان . وهم على صواب اذا كانت الرومانسية مجرد تحطيم لهاتين الوحدتين ، أما اذا أريد بها الى جانب هذا الخروج على القالب ففيها أكثر بكثير من هذا من حيث المضمون .

والأحدب الدميم الذى يحمل بين جوانبه قلبا فريدا دميم ، ويقدم بساوكة أروع آيات السمر بحيث يمثل بهذه الأضداد التي يحملها في كيانه الظاهر والباطن ، ذلك التناقض الذى يميل الكتاب الرومانسيون الى الأخذ به فيما يصنفون وينادون اليه وجوب الأخذ به ، باعتبار أن الطبيعة في جوهرها الدائم تجمع بين التناقض : الجمال والقبح ، النور والظلام .

## ماريون دى لورم .. والملك يلهو

وفي عام ١٨٣١ ألغيت الرقابة على المصنفات الأدبية عامة ، فكان أن طالعت هذه المسرحية أضواء المسرح ، وكان أن تقبلها الجمهور بحماس شديد ، على الرغم من أن موضوعها دمه الكلاسيون بأنه خروج على الآداب ، وجرح للوقار ..

وأى موضوع أشد جرأة من أن يتولى في ذلك الوقت ، كاتب الدفاع عن المرأة العاهرة بدعوى أن الحب النبيل في مواقفه الإنسانية الكريمة يطهرها من أرجاس الرذيلة !!

وجاءت مسرحية الملك يلهو لتقيم شجارا جديدا .. ولكنه في هذه المرة شجار يقع بين المؤلف وبين السلطات التنفيذية بالدولة ..

أوقفت السلطات تمثيل هذه المسرحية ، بعد الحفلة الأولى ، بزعم أنها تحرض على قتل الملك ، بطريق غير مباشر !!

وثار الشاعر وأقام دعوى على الحكومة .. ولكنه خسرها .. وما الحيلة .. ان الشاعر يسبق عصره بحرية تفكيره !!

## مسرحيات نثرية ١٨٣٣ - ١٨٣٧

وجاءت مسرحيات من طراز جديد من حيث أسلوب حوارها .. ان الشاعر يكتب الحوار بالنثر ، بدلا من الشعر .

وكانت مسرحية لوكريس بوجيا الاولى (١) من هذا النوع ..

كما أنها أيضا الاولى من ناحية الحدث الذى أسفرت عنه ..

أحدى المثلثات بالمسرحية ، أصبحت امرأة المقدور في حياة الشاعر بعد أن تدخلت فيها ..

كما أن الشاعر بلغ القمة من حيث رصيده من اعجاب الجمهور ، قد وقع حينما غادر الشاعر المسرح بعد أن انتهى تمثيل المسرحية ، واستقل عربته عائدا الى منزله .

---

١ - وجاءت بعدها مسرحيات ماري تيودور و آنجيلو ، أزميرالد وهى مقتبسة من قصة ( أحدب نوتردام ) ، وكلها مكتوبة بالنثر .



أن أحاط الجمهور بالعربة وسرحوا الجياد التي كانت تجرها ، ليتولوا هم دفعها بسواعدهم حتى منزل الشاعر وهم يزيطون ويهتفون !!

حياة جديدة بدأت تدق في قلب الشاعر بعد أن قامت علاقة مشبوبة بينه ، وبين إحدى الممثلات بالمرحية ، هي ( جوليت ورويه ) بل هي علاقة جامحة من حب ( رومانسى ) من ناحية انه في اندفاعه لا يعرف الاعتدال ولا يبالي بالقيود والأوضاع !  
ونترك الى حين ، قصة هذا الحب العائى ..

ونقرر أن من أهم الأسباب التي جعلت الشاعر ينصرف عن كتابة حوار هذه المسرحيات بالشعر هو أنه أصدر خلال هذه الفترة الزمنية أربعة دواوين ( ١ ) من الشعر ، تضمنت انطباعاته بأحداث عصره ، وتأثره بمزاج ناسه ، بحيث تؤلف هذه الدواوين ( ملحمة ) عصر عن حق وجدارة .

### روى بلاس - والقطاريف

ويؤلفان آخر عطاء للشاعر المسرحى وقد عاد فيهما الى كتابة الحوار بالشعر .  
والمرحية الاولى ، قصة التابع والخادم الذى ترفعه مواهبه ، عن جدارة ، لأن يتولى تصريف شئون الحكم ، وبعبارة أخرى هي قصة المواطن ابن الشعب ، وليس سليل بيت الشرف والنبيل ، المواطن البسيط الذى يتولى أكبر المناصب ، ليكتب بسلوكه أن الأمانة والشرف ، ليسا وفقا على أبناء الأمراء والنبلاء ..

وهي أيضا قصة الحب الكبير الذى يسمو بصاحبه ، بعد أن يفجر طاقاته فيكون لفعل الخير ولاسعاد الغير . وتجرى حوادث المسرحية في اسبانيا مثل هرنانى .

والمرحية الأخرى القطاريف Les Bu Rgraves وتجرى أحداثها في تلك القصور الاقطاعية بألمانيا .. حيث النور ينازل الظلمة ، بلا انقطاع في حنايا هذه القصور الحصينة المعتمة .

ولم تنجح هذه المسرحية النجاح الذى قدره الشاعر ولعل أهم أسباب هذا الفشل هو أن الملك الرومانسى أخذ يهبط تدريجيا وأن الجمهور يتطلع الى أسلوب جديد . وكانت تجربة مريرة له هجر بعدها ( المسرح الصغير ) الذى قدم عليه خمس مسرحيات مكتوبة بالشعر المونق الأسر ، هجر المسرح الصغير الى المسرح الكبير .. « الدنيا » .

### الشعر رسالة

واتجه هوجو الى عالم السياسة ، وكانت فرنسا في أشد الحاجة الى السياسى صاحب القلم البليغ ، والدهن اللامع ، والجرأة الشديدة ..

( ١ ) - هي ( اوراق الخريف ) و ( أغانى الفسق ) و ( الهاتف الداخلى ) و ( الأشعة والظلال ) .

وأقبل على عالمه الجديد ، فقد كان ( هوجو ) يؤمن بأن الشعر رسالة لا تقف طاقته عند انتاج شعر طريف يهز الاعطاف ، وتقديم مسرحيات تلهب الألف بالتصفيق ، بل هي رسالة تتجاوز هذا ، الى تناول شئون الحياة في الواقع ، واقامة موازين فيها ابتغاء الارتفاع بها وتجميلها ، ولكنه نسي ولا شك ان الشعر شيء وان السياسة شيء آخر !!

انتخب رئيسا للأكاديمية الفرنسية ..

وانتخب عضوا في المجلس النيابي ..

وصار خطيب المجلس .. ورشح أكثر من مرة لتلقى دست الوزارة

وأصبح الشاعر الرسمي للدولة .. مناصب تلو مناصب ..

ودار في قدر السياسة مثل ملعقة الطاهي .. ولكنه ...

ولكنه نفي في عام ١٨٥١ الى احدى الجزر ببحر المانش ، وبقي هناك سبعة عشر عاما .

غير أنه بقي صاحب الحب الكبير .. والقلب الكبير حتى النهاية .

## هوجو والحب

والمقصي حياة هوجو ، لا بد أن يقف وقفات تأمل أمام ( حالة ) نفسية كانت تلابس الشاعر في فترات من حياته فتعصف بقلبه وتفجر فيه ينابيع كلما غاض الماء فيه .

هذه ( الحالة ) هي الحب ، وهي حالة أثرت في انتاج الشاعر واقت ظلالا على حياته .

وقد أتينا ، فيما تقدم ، على ذكر هذه الحالة ، والقلب فيها - قلب الشاعر - تشغله امرأة واحدة ، ولا تنهشه فيه أنياب الغيرة .

الا أننا نحن الآن أمام حالتين جديدتين ، كل منهما تؤلف مسرحية لا نقل طرفا عما دبجته براعة الشاعر في عالم القصص !!

القصة الاولى ، ويقف هذا الثالث المعروف في حياة بعض المتزوجين ، وهو الثالث الذي يتألف عادة من الزوج ، ومن الزوجة ، ثم من الرجل الثاني (١) وقد يكون محبوبا من الزوجة ، بحيث تسكن اليه وتمنحه كل ما يريد ، أو يكون غير محبوب من جانبها فلا تعطيه شيئا الا أن ترثي لحاله .  
ونأخذ بالتفصيل ..

---

(١) - ويقع أحيانا ان يتألف هذا العنصر الثاني من امرأة أخرى دخيلة فاذا

كان بين رفاق هوجو ومريديه في الريادة الرومانسية الناقد ( سانت بيغ ) ،  
ناصره بقلمه ودافع عنه بقوة بيانه أثناء سنوات الجهاد الاول في معركة الرومانسية،  
حيث يختلط النصر بالهزيمة ، فكان أن توطدت صداقة قوية بين الاثنين ، وكانت  
زوجة الشاعر ( أديل فوشيه ) تحضر اجتماعهما بالمنزل وتشارك في حديثهما ،  
بحيث قامت ألفة بينها وبين الناقد .

وسانت بيغ ، على قبح خلقتها ، كان بفطرته قوى الشخصية ، ذلق اللسان  
يملك طاقة شديدة في التأثير على مخاطبيه ، فكان أن تأثرت الزوجة بهذه الشخصية  
تأثرا بريئا . الا أن الذي وقع ، هو أن الناقد تدله حبا بزوجة صديقه الشاعر ،  
هذا في حين أن الزوجة لم تكن تشعر نحو هذا المحب الوامق الا بالشفقة ، يعنها  
في قلبها هذا الدلق اللسان وهو يحكى من أيام طفولته الكئيبة التعسة ، وعما  
يكابده الآن من الوحشة ، والوحدة والحرمان .

ويبدو أن هذه الشفقة تحولت تدريجيا الى عطف ، والمطف مدخل من مداخل  
الحب اذا لم توصل في وجهه الابواب .

وأحس الزوج بأن هناك من يشاركه عطف زوجته ، كما لاحظ أن صديقه الناقد  
يكثُر من التردد على المنزل اثناء غيابه عنه ، فكان أن طلب اليه ألا يحضر الى المنزل  
أثناء غيابه .

كانت صدمة للناقد ، ولكنه تحايل على الامر بأن طلب الى الزوجة أن تقابله  
خلية في كنيسة مجاورة للمنزل . . فكانا يجتمعان هناك في حرم الكنيسة . .  
معصومين من الخطيئة .

ولكن يبدو أن هذا اللقاء لم يعد يشبع جوع العاشق الولهان ، هذا ولم يدر  
بخلد الزوجة يوما أن تستجيب الى العاشق في أن تقدم له الزاد الذي يتوق اليه،  
بل حرصت دائما على أن تجعل ما بينها وبينه نقيا طاهرا .

ودامت هذه الحال ثلاث سنوات وانتهى الامر بأن طرد الشاعر صديقه من  
منزله ونحاه عن المنزلة التي كان يحتلها في قلبه ، وأسدل الستار .

وهكذا نكب الشاعر في صديقه ورفيق الجهاد ، كما نكب في زوجته ، وان لم  
يقم دليل على انحرافها عن جادة الشرف في موقفها من الصديق .

## حب في الطريق !!

وفي أثناء ذلك ، كتب الشاعر مسرحيته لوكريس بورجيا وقدمها الى مسرح  
( سان مارتن ) وأسند دورا صغيرا فيها الى ممثلة ناشئة تدعى ( جوليت دوييه ) .

كانت الممثلة التي تشق طريقها في السابعة والعشرين من عمرها ، ذات جمال وانوثة طفيفة ، وذات دل وخطر ، يتهافت عليها الكثيرون من أصحاب الثراء والجاه وفي مقدمتهم أمير روسي أنفق عليها أموالا طائلة . .

الا أنها ، حينما رأت هوجو في جلسات التدريب على المسرح ، وهو يقدم إرشاداته الفنية الى ممثلى وممثلات مسرحيته ، استحوذ عليها ذهول ، وعصف بها لأعج من هيام ، تمننت معه أن يكون هذا ( الاله الأدمى ) صديقها وخليطها ، وكل شيء مما يربط بين الرجل والمرأة .

وكانت نظرة هوجو اليها ، في أول الأمر ، غير ذات بال . . الا أن اهتمامها بأمره ، في كل مناسبة جعله يلتفت اليها ويستجيب الى أشواقها .

وساعد على تدعيم ما قام بينهما ، تلك الحالة النفسية التي كان عليها الشاعر بتأثير ما وقع له مع صديقه وزوجته . . فقد كان الشاعر مهياً لان يخوض مغامرة عاطفية تغدى كبرياءه كرجل ، وتعيد اليه الثقة بنفسه في مجالات الفحولة .

وانعكس هذا الحب الكبير في شعر الشاعر ، فكتب في محبوبته القصائد الطوال والقصار مستنزلاً شأبيب الرحمة على بنات التفريط اللواتى قضى عليهن سوء الطالع بأن يصبحن زهرات تعيش في الوحل ، مهيبا بالمجتمع أن يمد يده اليهن ليعيدهن الى النور .

وقطعت ( جوليت ) علاقتها بأصدقائها جميعا وانقطعت للشاعر بكائيتها ، وتركت المسرح وتفانت مع الشاعر في العمل الذي كان ينهض به .

## رجل بين امرأتين :

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن : وماذا كان موقف الزوجة ؟ وماذا كان موقفه هو مع الزوجة ؟

ألم على ألم من جانب الزوجة ، ثم استطاعت أن تستكين الى هذا الألم ، وأن تحيله لونا من التضحية في سبيل من تحب ، ولم تكف يوماً عن حبها ، وظلت تفاخر به في كل مجال ، وقد أدركت بوجودها أن لكل رجل عظيم محاسنه ، وله أيضاً مواطن ضعفه ، وأن المجد لا يعصم العظيم عن التردى في الأخطاء ، بل ان العظيم هو المجد والأخطاء معا !!

وتحول حبها الى أومة رحيمة وصدقة كريمة .

وفي إحدى رسائلها الى الشاعر كتبت تقول : -

« لا تحرم نفسك شيئاً ، أنا لم تعد لى رغبة في الحياة الا أن أرى من حولى يسعدون ، أن أسعدتني من سعادتهم ، فافعل ما يحلو لك فاني سعيدة ما دمت أنت سعيداً » . .

ووقع حادث اذ ذاك له دلالة ...

طهر الناقد ( سانت بييف ) فجأة على مسرح الحوادث ..

اعتقد أن الفرصة قد واثته لان يتأثر من الشاعر ، فأخذ يتردد من جديد على الزوجة ( اديل فوشيه ) يوغر صدرها على الزوج الذي هجرها . وأطلق لسانه في كل المحافل يشنع على الزوج ذى الخليفة .

وعندما أصدر الشاعر ديوانه ( الاشعة والظلال ) انحنى عليه سانت بييف وعلى صاحبه بالنقد المسموم المفروض بدعوى أنه ما كان يليق أن يجمع الشاعر بين الزوجة والخليفة فيما صافه على شرف كل منهما من قصائد في ديوان واحد .

وتارت الزوجة لهذا الموقف غير الكريم من جانب الناقد وأخذت نسلقه بلسان جارح وذكرته أنها ما برحت تحب زوجها ، على الرغم مما حدث ، وأنها تعجب بعبقريته ، ثم اغلقت الباب نهائيا في وجه الناقد !!

وبهذا ازداد هوجو تعلقا بزوجه وبأولاده منها ، واستطاع بحذقه ولبافته أن يرضي الزوجة والخليفة ، بأن يعطى لكليهما - ولو في الظاهر - أقساما متساوية من العطف والحنان ، وأن يحفظ على كليهما كرامتها وكيانها الأدمى .

وحيثما نفى الشاعر الى جزر بحر المانش طيلة حكم نابليون الثالث ، تبعته خليلته مثلما تبعته زوجته ، وأقام كل منهما في بيت يواجه بيت الأخرى ، ليتبادلا التحية والابتسام من غير كلام !!

## هذا الشيء الذي لا يهدأ ؟

وموضع النظر ، أن الشاعر على حبه لهما ، لم يستطع أن يهدأ ، وأن يقطع ما بينه وبين مغامراته العاطفية !!

اقترن اسمه من جديد بأسماء نساء حادقات ومماتلات جميلات ولكل منهن قصة تنبئ أن هذا الشاعر له فحولة تمتد الى كل شيء وانه على حيوية لا ينضب لها معين ..

ووقع أن زاحمه ابنه الأكبر ( شارل ) في حب ممثلة حسناء .. وحيثما أحس الشاعر أن النصر سيكون الى جانب الشباب ، نخلع قبعته محييا ولده وانصرف !! ان الحب ، كما نرى ، مكتوب على جبين هذا الشاعر ، بحيث أنهما يلتقيان في كل مرحلة من مراحل العمر ، بل ان الحب يؤلف جزءا من كيان الشاعر الذي لا يطيق حياة هادئة لا يضربه فيها الحب ضرب العواصف ، ولا يقتلعه اقتلاع الاعصار .

ومن يدري .. فربما كان هذا الحب هو العامل الاول في تفجر مواهب هذا العملاق الذي خلف وراءه انتاجا ادبيا ضخما، ما برح يشغل اذهان الدنيا، لانه بابعاده وأعماقه ، وصدقته ، وانسانيته من صميم الدنيا ، ومن حنايا قلوب ناسها .

## ٢ - هذه المسرحية

هرنانى ؟

اسم .. مدلوله يتسع لاكثر من مسمى واحد !!

هرنانى : اسم لمسرحية خرجت فى أسلوب يحمل الثورة على ما كان متبعاً فى كتابة المسرحية ..

وهرنانى ، اسم علم لقاطع طريق وطالب ثأر لا يلين ، وهو محب وامق كتب بحبه وبجراته قصيدة شائقة فى عالم الحب والفتوة ..

وهرنانى ، معركة أدبية ، تؤرخ انقضاء عصر فى عالم الادب والفن ، وقيام عصر آخر .

وهرنانى ، اسم لقرية فى احدى مقاطعات اسبانيا (١) أمضى فيها المؤلف فيكتور هوجو حقبة قصيرة من الزمن اثناء تجواله باسبانيا بصحبة والده ، وخلفت انطبعا خاصا فى مخيلته ، بحيث أطلق اسمها على هذه المسرحية ..

فنحن والحالة هذه ، أمام مسرحية يثير طابعها الكثير من الفضول ..

وأبادر بأن أشبع بعض هذا الفضول بالكشف عما وراء الظاهر منه فى هذه المسرحية التى تجرى حوادثها فى اسبانيا وكان يحكمها اذ ذاك الملك شارل ، أو ، دون كارلوس ..

أقول .. نحن أمام حسناء شابة ، هى دونيا سول التى يتعشقها ثلاثة رجال فى وقت واحد ...

عجوز متصاب جاوز الستين من عمره ، هو عظيم من عظماء اسبانيا ، عظيم بثرائه وبأمجاده ، وبشرف عائلته .. وهو « روى جوميز دى سيلفا » .

« وكارلوس » ملك اسبانيا الذى قبل انتهاء المسرحية يجرون انتخابه امبراطورا للدولة الرومانية المقدسة باسم ( شارلكان ) أو شارل الخامس ..

ثم قاطع طريق ، ثأر على الملك ، فهو طلبته العدالة والمثنقة .

١ - تقع هذه القرية بالقرب من ( سان سبستيان ) وهى مدينة كبيرة فى مقاطعة ( الباسك ) باسبانيا .

ولكن ( لهرنانى ) اللص وحده يخفق قلب الحسنة ، ولا عجب فنحن عادة  
لا نختار حين نحب !!

ويضع القدر ، مرتين ، الملك وقاطع الطريق وجها لوجه ، وذلك فى أحداث  
المسرحية وفى المرة الأولى ينقل الملك حياة اللص ، لا لسبب سوى أن للشرف مقتضيات ،  
وللمروءة آدابا ..

وفى المرة الثانية ، يكون قاطع الطريق هو المتفضل بانقاذ الملك ، لنفسى الاسباب  
السابقة ..

وفى الفصل الثالث ، نرى نفس الاسباب تقضى على العجوز ( روى جوميز ) بأن  
يتمنع عن تسليم قاطع الطريق الى الملك ، وكان اللص قد نزل عليه ضيفا قبل أن  
يكشف عن حقيقة حالة .. ويمعن العجوز فى هذا الإباء وان اغضب الملك وأثار  
حفيظته .

وقبل أن يهبط الستار فى الفصل الرابع ، نجدنا أمام مظهر آخر من مظاهر  
النبيل والشهامة .. العفو عند المقدرة والأمر بالمعروف ، وانكار الذات اذ يعفو الملك ،  
وقد أصبح الامبراطور ، عن جميع المتآمرين ، كما يرد الى هرنانى ألقابه اللغاة  
بومكانته الاجتماعية ويسلمه دونيا سول ليقترن بها ..

نهاية سعيدة ولا شك لمواقف مثيرة وغير سعيدة ، وختام مقبول وهادىء  
لأحداث كان يجفوها الاستقرار والهدوء .

ولكن المؤلف لم يشأ هذا ..

اذ هو يجيء بفصل خامس ، وهو الاخير ، فاذا نحن مع ابطال المسرحية ، نيمبا  
عدا دون كارلوس ، فى مواقف يحكم بعضها السمو الخلقى والخير وانكار الذات  
ويقضى فى بعضها الآخر ، التسفل والشر (1) والانانية .

مواقف تؤكد انه من اعجب النقااض فى الدنيا نقيضة القلب الانسانى ، اذ  
يجمع فى وقت واحد صفتى التسامى والتسفل معا !!

ان المؤلف يقدم هذا القلب بوجهيه ، مثلما يقدم العملة المعدنية !!

فنحن والحالة هذه أمام مسرحية ينزع شخوصها نزعة مثالية رليعة فى اكثر  
تصرفاتهم ..

هذه النزعة نطالع لها وجوها ، وألوانا كثيرة فى الادب الكلاسي الفرنسى الذى  
يُعتبر المسرح فى احدى نواحيه جامعا ومدرسة وكنيسة .

١ - تسجيل التناقض فى الأشياء من صميم النزعة الرومانسية باعتبار انها  
تستمد احياءاتها من الطبيعة ومن الحياة وكتاهما يتألف من متناقضات .. النهار  
والليل ، الحر والبرد ، الخير والشر .

## هوجو كورنى ( ١ )

ولعل مسرحية ( السيد ) Iceid التى كتبها ( بيير كورنى ) فى القرن السابع عشر ، من أمتع النماذج وأكملها فى هذا الصدد ، كما أنها تحمل أكثر من مشابهة واحدة بينها وبين مسرحية ( هرنانى ) .

وإذا ركنا المشابهة بين المسرحيتين فى النزعة المثالية التى عليها أبطال المسرحية ، طالعتنا مشابهة أخرى . . ان التاريخ وأحداثه فيها لبس لذاته ، وإنما هو وسيلة ، إنما هو خلفية تجرى أمامها صراعات نفسية ، وتأزمات عاطفية عنيفة .

هذا والمسرحيتان تجرى حوادثهما فى قطر واحد . « اسبانيا » .

هذا والمسرحيتان تتفقان في أنهما خرجتا فى الصياغة على ( وحدتى الزمان والمكان ) وهما من دعائم المسرح الكلاسي .

ثم تجيء مشابهة بين المسرحيتين من ناحية أن كلا منهما أثارت عند ظهورها شغبا أدبيا ، وتحزبات قلمية ، مآثهما ما تحمله كلتا المسرحيتين من جديد لم يألّفه الجمهور ، ويجافى ما عليه أقلام كتاب المسرح ، ويصبح أن نعتبر مسرحية ( هرنانى ) عام ١٨٣٠ بمعاركها الأدبية ، هى عين مسرحية ( السيد ) فيما أثارتها بالنسبة للجمهور وللأدباء المعاصرين ولؤلّفها ( كورنى ) بالقرن السابع عشر .

وقيام هذا التشابه بين المسرحيتين فى أكثر من موضع ، ليس فيه غمض بأن ( هوجو ) نقل عن ( كورنى ) ، أو استلهم بعض مواقفه ، فالموضوع فى كل من المسرحيتين يختلف عن الآخر ، مضمونا وأسلوبا ، وكل ما يمكن أن نقوله ، أن « هوجو » برومانسيته التى يحمل لواءها ، لم يكن فى منجاة عن مثالية الأدب الكلاسي ، وهى مثالية تحرص على أن يتغلب العقل على شطحات العاطفة وأن يتحكم فى الهوى ، هذا فى حين أن الرومانسية فى صميمها تولى دفقات العاطفة على مراجعات العقل والنهى .

وأنصف ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد ، انه إذا صح أن نعتبر مسرحية

---

(١) - مسرحى فرنسي ( ١٦٠٦ - ١٦٨٤ ) كان ينزع نزعة خلقية ومثالية فى مسرحياته ، مصورا الحياة كما يجب أن يكون ، وليس كما هى عليه . ومن أهم مسرحياته السيد ، وهو رأس ، وسنا . وهو يعتبر رأس الأدب الكلاسي فى المسرح الفرنسي .

(٢) - ( وحدتا الزمن والمكان ) أن تجرى المسرحية فى مكان واحد وفى يوم وليلة ، ثم هناك ( وحدة الفعل ) وهو أن يشغل ( الفعل ) موضوعا واحدا ، ولا يماشيه موضوع جانبي . وأطلق الكلاسيون على هذه القيود ( الوحدات الثلاث ) .



( السيد ) جاءت من رومانسية متقدمة (١) وقبل أن تصلب لها أرض في الادب الفرنسي فانه يصح أن نعتبر ( هوجو ) هو ( كورنى ) القرن التاسع عشر !!

## حب يناضل

وهناك ناحية أخرى تلقى على مسرحيتنا ظلا من الكلاسية .

ان أبطال مسرحيتنا صرعى الحب ، أو هم ، على الاقل في نضال معه ولكل منهم لون من الحب يخالف في نوعيته الحب لدى الآخر .

فالحب عند ( الملك ) جنس ومتمعة ، وهو عند ( روى جوميز ) أنانية وشهوة

بامتلاك .

ثم هو مع ( هرناني ) بطل وعطاء ، وايشار ، وكذلك الحال مع ( دونيا سول ) .  
وهذا الحب مع اختلاف ألوانه يناضل عن كيانه ليعيش ، وهذا الحب يؤلف قدرا محتوما يهيمن على حياة كل منهم ولا يفنى هذا الحب الا بأن يحترق القلب من غير أن يندلع منه لهب ، أو أن يموت صاحبه ..

هذا النضال الذي قوامه ( ثلاثة رجال يحبون امرأة واحدة ، ويتعاركون في سبيلها ) يثير في مخيلتنا أطيافا من معارك غرامية عالجه المسرحى الكلاسي ( جان راسين ) ( ٢ ) على نطاق واسع !!

ولم يكن ( هوجو ) أيضا في منجاة من التأثر بالادب الاوروبى عامة ، ان الانجليزى ( وليم شكسبير ) بمخيلته المجنحة ، وبوشائه المفاجئة في التعبير ، ثم

١ - الرومانسية في أكثر اوضاعها كانت لها ملامح الانتاج الادبى والفنى ، قبل أن تخطط لها الاوضاع وتقام الحدود في الادب الفرنسي بالقرن التاسع عشر . اذ الرومانسية في صميمها تحرر من الاوضاع القائمة ، وتشوق الى جديد ، هي نوع من الليبرالية : فلوليم شكسبير رومانسيته ، وكذلك لشيلر الالماني و ( جوته ) رومانسيته ، وهؤلاء يعتبرون من الرواد الاوائل للرومانسية . أما الرومانسية عند ( كورنى ) فحالة طارئة بحكم أن كل مسرحياته - فيما عدا مسرحية ( السيد ) ننحو نحو كلاسيك صريحا .

٢ - احد الثلاثة الكبار من الشعراء الكلاسيين بالقرن السابع عشر ١٦٣٩ - ١٦٩٩ أتحف الادب الفرنسي بمسرحيات مأساوية محورها الاول هو الحب في مختلف وجوهه ، وفي منفوان جبروته ، كما جاءت شخوص مسرحياته بعيدين عن مثالية ( كورنى ) .

باستغراقه العميقة التي تمتص المعاني ، يقف وراء شاعرنا في بعض مشاهد مسرحيته (١) .

والالمانيان ( شيلر ) ( ٢ ) و ( جوته ) يطلان احيانا من ثنايا المسرحية لفترات قصيرة .

## الحبكة المسرحية

فاذا انتقلنا الى الحبكة المسرحية ، وهي أن تتابع مشاهد المسرحية وتنتظم في تخطيط محسوب تتصاعد فيه فاعلية الاحداث ، بحيث تتأزم ، وتؤلف عقدة تثير انتباه الجمهور وتستبد بفضوله ، في ترقب الانفجار أو الحل ، فاننا نلاحظ تأثر « هوجو » مما كانت عليه هذه (الحبكة) في الكثرة الشاملة من المسرحيات التي كتبت في نهاية القرن الثامن عشر والتي تؤلف نوع ( الميلودرام ) ( ٣ ) .

ان هوجو ينحو نحوهم ، ويميل امر هذه الحبكة على تشكيل شخصو مسرحيته تشكيلا انسانيًا وقد يجنح في سبيل ذلك الى أن يركب المبالغة والافتعال .

الا أن خصب الخيال في ( هوجو ) ، وسحر الحوار - وقد جرى في شعره نباض بمعاني الوجود - يضيفان على هذا الافتعال ما يمسح من طابعه ويخفف من أثره .

## الشاعر ابن بيئته

ولن نعدم العثور على مؤثرات اخرى انقاد لها هوجو من حيث لا يشعر ، لان الشاعر ، مهما أوتي من ملكة الابتداع والاصالة ، فهو ابن بيئته الادبية والفنية ، وهي ، في أحد وجوهها ، اخلاط من مخلفات قديمة ذات جذور في الوعي العام ،

---

١ - بالمشهد الرابع من الفصل الثالث وذلك في الحوار الذي يجري بين هرناني ودونيا سول اطياف من مسرحية ( هملت ) اذ انبرى هملت يقنع أوفيليا بأن تنصرف عن حبه وان تدخل الدير . وبالمشهد الثالث من الفصل الخامس ما يذكرنا بموقف لورنزو وجيسكا في مسرحية تاجر البندقية وهما يتحدثان عن سحر الموسيقى وهداة الليل .

٢ - شاعر مسرحى المانى ١٧٥٩ - ١٨٠٥ تأثر بشكسبير المتحرر ، وبروسو الطليق من قيود الكلاسية ، وكان أول عطاء له بالمرح اللصوص ، وهي صرخة تدعو الى التحرر من قيود الاستبداد كما أن آخر عطاء مسرحى له غليوم تل وهي اعلاء للتحرر الوطنى .

٣ - نوع من المسرحيات يقوم على المبالغة في رسم الحبكة المسرحية بايراد المفاجآت وبافتعال المشوقات اكثر مما يعلى الصدق الفنى وتحليل شخصو المسرحية .

ومن مستحدثات صاعدة تحاول أن تزحم هذه المخلقات لتميش الى جانبها ، او لتأخذ مكانها .

الا أن كل هذا ، وما عسي أن يجيء على فراره ، لا يتجاوز أن يرسم انطباعات المؤلف بالبيئة المسرحية المحلية ، وأن يحدد أيضا مبلغ تأثيره بالتيارات الأدبية التي ترد من الخارج ، كما ينزل المسرحية مكانها الحق بالنسبة الى غيرها اذا أخذنا بأسباب المقارنة .

وليس في ذكر ما تقدم ، ما يسلب مسرحيتنا هذه أصالتها في تناول الموضوع ثم في معالجته بابتداع أحداثه ومواقف الاثارة فيها ، ثم بتقويم شخصها .

نقول ان الموضوع سهل ، وهو يجول في الكتب وفي ادمنة الناس ، وتجري به الالسن ، ولكن معالجة الموضوع أمر صعب وعسير ، وبه تتفاوت أقدار الكتاب .

## مستند ضائع

وليس أدل على ما نذهب اليه ، من أن نورد الاصل موضوع مسرحيتنا هذه .  
اذاع هوجو ، قبيل أن يطالع الجمهور بمسرحيته ، أنه استعار لباب موضوعها من مستند قديم عثر عليه بين المستندات التاريخية . ويحكى أن ( دون كارلوس ) ، كان أيام شبابه الاول ، وهو ملك على اسبانيا ، نزقا مستهترا يجرى وراء المفامرات الغرامية ، وينشد الاناشيد الليلية تحت شرفات الحسان في مدينة سرقسطة ، ولا يبالي أن يجرد سيفه للمبارزة ولدفع من يقف في سبيله ، ولكن الامر تغير تغيرا تاما حينما اختاروه امبراطورا ، اذ لبسته حالة من التمثل والحبا جعلته يزهد في هذه المعابث ، ويخلد الى الجد والوقار .

من هذه الحكاية القصيرة التي لا تقول كثيرا ، استطاع ( هوجو ) أن يقول كثيرا . . أن ينشئ مسرحية ذات خمسة فصول مليئة بالاحداث ، وتنتظم فيها المفاجآت ويصول ويجول فيها نماذج بشرية ، نرى في تصرفاتها اصداء لبعض ما هو قائم فينا .  
هذا والحوار يجرى في شعر مونق أسر تتيه به المعانى ، ويشيع الضوء الساطع في كل ما يتناوله ، فاذا للحصا بريق الجوهر ، واذا الجوهر ، نور على نور !!

ان الشعر في المسرحية الرومانسية هو المصدر الاول في بهائها ، وهو العنصر الرئيسي الذي كتب البقاء لهذا النوع من المسرحية ذات النطاق الضيق ، من حيث انها تسجيل لعالم زمنها ، وتقويم شخصها التقويم النفسي الذي يجعل منها نماذج انسانية تعيش في كل مكان وعلى الزمن بل ان الشعر هو الباب الاوحد الذي دخلت منه هذه المسرحية عالم الادب الرفيع . طابع كلاسي ، مضمون وقالب روماني :

ونخلص مما تقدم ذكره الى أن نقرر أن مسرحيتنا ، وان كنت رومانسية المضمون والقالب فانها على الرغم من ذلك ، تحمل طابعا كلاسيا بما يعصف بنفوس أبطالها من مشاعر تنزع نزعة مثالية وتسكنها شحنات عنيفة من الانفعال الذي تضيق به الطاقة البشرية أحيانا .

الا أن الصراع أو ( الفعل ) في الموضوع ، يجرى تبعا لقيم غير كلاسية ، لي نسج المسرحيون الكلاسيون على منوالها (١) واليك بعضا من هذه الموضوعات :-  
ففي مسرحيتنا يخلط عنصر الفكاهة (٢) بالعنصر المأساوي هذا في حين أن المسرح الكلاسي ، اما أن يكون فكاهيا أو مأساويا خالصا .

و في مسرحيتنا هذه ، نرى الاشخاص فيها يعبرون عما في نفوسهم بألسنتهم وبأفعالهم وليس بما يحكى عنهم بلسان شخصيات اضافية . فأحداث القصة ، والحالة هذه ، نراها رأى العيان ، ولا تصل اليها منقولة على ألسنة الآخرين .

وإذا كان بالمسرحية أربع مقطوعات فردية طويلة تتخلل فصولها الخمسة وبها ينقطع الحوار - وهذه من مميزات المسرح الكلاسي - الا أن هذه المقطوعات جاءت لضرورات شعرية وانطلاقات بلاغية ، أكثر مما تؤلف مشاهد ترسم أحداثا في المسرحية ، ثم ان في الامكان الاستغناء عنها .

وان تسلسل حوادث المسرحية وتتابع أحداثها يعوق انطلاقتها أحيانا في خط مستقيم ومخسوب ، بتدخل مشاهد جانبية وطفيلية (٣) يجانبها المنطق السليم وعمل على تباطؤ في الحركة المسرحية وعلى انحرافها أيضا . .

فلو لم يعمد المؤلف الى تدخل ( البوق ) وذلك في نهاية الفصل الثالث ، وجعله عاملا يتحكم في حياة ( هرمان ) لانتهد المسرحية بهبوط الستار بالفصل الرابع . ولكانت نهاية سعيدة للمسرحية ، ونهاية سياسية موفقة لدون كارلوس اذ أصبح امبراطورا !! .

الا أن المؤلف زاد فصلا خامسا ليلعب هذا ( البوق ) دوره لينهى المسرحية نهاية عاطفية ومأساوية !! .

والفصل الرابع يجرى عادة في بناء المسرحية الكلاسية ليمهد لحل ( العقدة ) .

---

١ - هذه القيم والاضاع تضمنتها مقدمة مسرحية كرومويل وستناولها في حديثنا عن ماهية الرومانسية .

٢ - كما هو وارد في المشهد الاول من الفصل الاول ، والمشهد الاول من الفصل الثاني ، ثم في الاول من الفصل الخامس .

٣ - المشهد الاول في كل من الفصول الثاني والرابع والخامس بالمسرحية .

عقدة الموضوع التي تكون قد أخذت تتعقد وتنازم ، وتنتهي المسرحية ، ولا يجيء بنهاية  
لأحداث المسرحية .

وإذا انتقلنا الى الناحية الاسعراضية ، وهي الناحية التي تخاطب الرؤية  
يما تترأى فيه المسرحية من مناظر وأستار ، وملابس ، ومهمات ، وبما غسي أن  
يتخللها عزف موسيقى وعرض عسكري الخ .. وجدنا أنفسنا أمام مظاهر أخاذة  
منها . فلكل فصل من الفصول الخمسة منظر قائم بذاته ، ومتفرد بفخامته ، ويأخذ  
بمجامع البصر والسمع بما يجري فيه ، مشاعل تضيء ظلمة الليل ، حاشية الملك  
تزهو في ملابسها وأسلحتها ، أجراس تدق ، وكل هذا يعمل على احياء سبغة  
محلية ذات معالم محددة وواضحة .. وفي هذا ما فيه من تنوع في تشكيل الاطار  
المادى الذي تخرج فيه المسرحية ، هذا التنوع الذي يضيف متعة الى العين الى  
جانب متعة الاذن بسماع حوار المسرحية ، وكل هذا امر لم تكن تعرفه الكلاسية .

ونضيف الى ما تقدم - وهو قليل من كثير مما يصح ان نرفه في التفريق بين  
الكلاسية والرومانسية - نضيف ، أن شخوص المسرحية في أبطالها ، تعصف بهم  
أهواء جامحة ، وانفعالات ملتبهة يعوزها الاعتدال والرزانة ، وهما من آيين ملامح  
الادب الكلاسي .

هذا ، وهؤلاء الشخوص في مسرحيتنا ، يتناقضون فيما بينهم سنا ، وعقلية ،  
ومركزا اجتماعيا .. مثل الالوان التي لا تناسق بينها ولا يجمع بينها رباط !!

ان المذهب الرومانسي ، يعنى بإبراز ( التناقض ) في كل شيء وهو في هذا  
يستجيب الى وجهة نظره في أن كل شيء في الدنيا له نقيضه وعكسه !!

## شرح في المرآة :

الا أن المآخذ على هذه الرومانسية في المسرح الفرنسي هو أن كتابها لا يتوفرون  
على تناول شخوص مسرحياتهم بالتحليل النفسي الدقيق الذي يجعل منهم نماذج  
بشرية عامة ، وليس مجرد شخصيات تعيش في اطار المسرحية .

فالملك دون كارلوس ملك .. ولكن أى ملك في أبعاده النفسية وفي ( عمومية )  
مساعره الانسانية ؟؟

والنائر هرنانى ..

وكذلك العجوز روى جوميز ..

والحسناء دونيا سول ..

كلهم مجرد شخوص في دنيا المسرحية فحسب ، وليس في دنيا العالم الكبير ،  
هذا اذا استثنينا بعض لسات هنا وهناك تضىف عليهم دفئا انسانيا من وقت لآخر .

ومرجع هذا ، فيما اظن ، أن هذه الرومانسية ليست أصيلة في الأدب الفرنسي ، بل هي إحدى الوافدات الأجنبية عليه ، وقد شغل الكتاب الفرنسيون بمباهجها ، وبما تحمله من طريف وجديد فيها ، شغلوا بها عن الجوهر في كتابة المسرحية ، وهو التقويم الإنساني لشخصها .

وقد ساعد على قيام هذه الحال ، ولا شك ما كان يسود التأليف المسرحي عامة بفرنسا في أواخر القرن الثامن عشر ، من حيث الاهتمام بالحبكة المسرحية وإيراد المفاجآت ، والتأثير على الجمهور بإيراد ما هو عجيب يثير الغرابة وليس بإيراد مشوقات مألوفة الغرابة والتناقض في سلوك شخص المسرحية .

وفي هذا تفرق زومانية هوجو ، خاصة عن رومانسية شكسبير .

إلا أن مواطن الضعف هذه ، كان يخفي معالمها جدائل وبقايات من الزهر ، ينتظمها ذلك الرواء اللفظي الحاذق الذي يتدفق شعرا موتقا آسرا في حوار مسرحياتها (١) .

## من روح العصر

ويجىء تساؤل مشروع . .

إلى أي حد تعكس هذه المسرحية صورة من عصر مؤلفها ، ثم من حياته في تفكيره ، وقد تأثر بأحداث عصره ؟؟

نقرر في هذا ، أول ما نقرر ، أن مسرحية هوفمانى ليست فكاهية نماذج بشرية ، كما أنها ليست لتسجيل سمات جيل وتقد أحواله ، ومحاولة إصلاح ناسه بطريق السخرية واثارة الضحك من سلوكهم .

إن مسرحيتنا لغير هذا ، ومجالها ليس مجال التفكه والسخرية ، إنها مسرحية جدية ذات نهاية مأساوية دامية ، إذ يسقط قبل هبوط الستار النهائي على أحداثها ، ثلاثة من أبطالها موتى . . إنها مسرحية ( ميلو درامية ) (٢) إذا أردنا الدقة في التعبير .

مسرحيتنا ، في أقصر عبارة ، مجالها الأول اصطحاب صراعات نفسية ، لتكشف عن مواجهات عاطفية تتسم بالعنف والشدة ، وقد تتساقط من خلالها عبر إن يبحث عن العبرة في المسرح ، ولعل أهم هذه العبر ، التي تلتقطها النظرة العجلى ، أن الاعتدال في تناول شؤون الحياة ، حتى في الحب وفي رغبة الامتلاك ، أمر محمود ،

---

١ - نسج على متوال هوجو شعراء وكتاب مسرحيون جاءوا بعده ، وفي مقدمة الشعراء منهم ( فرانسوا كوبيه ) بمسرحيته **عابر الطريق** و ( ادمون رويستان ) بمسرحيته **سيرانو دي بيرجيراك** بل تشكلت مدرسة رومانسية في النشر ، سيطرت على الإنتاج المسرحي طوال القرن التاسع عشر ، ولعل أهم كتابها ( فيكتوريان ساردو ) الذي ترجمت له كثير من المسرحيات قدمها المسرح العربي .

٢ - ذكرنا فيما تقدم ماهية هذا النوع من المسرحيات .

ثم .. ثم انه « لا يغنى حذر من قدر » أى أن المكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين !! »

ويجرى كل هذا أمام خلفية تاريخية لا تخلو من مشابهة لما كان عليه عصر مؤلف المسرحية نفسه ، من حيث الاصطراع في نظم الحكم ، وما يتبعه من الانتقالات العسكرية .

ان أكثر فقهاء الادب والاجتماع يذهبون الى أن ( الرومانسية ) في نزعتها الهدامة والبناءة في وقت واحد ، انما هي من انعكاسات الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٦ .

والزمن الذى عاشه ( هوجو ) انما هو حلقة من الحلقات التى تتابعت في اعقاب هذه الثورة بل هي حقبة تؤلف ثورة بدورها .. فبعد الثورة الكبرى ، جاء ( بوناپرت ) القنصل ، ثم ( بوناپرت ) الامبراطور ، وجاءت بعد ذلك ملكية رجعية ، تبعثها اخرى دستورية الخ (١) . ثم عاد الحكم الامبراطورى مرة ثانية (٢) .

ولم يكن عجبا أن يتعاطى الجمهور شؤون السياسة كما يتعاطى الطعام ، بعد أن تفرق احزابا وشيعا ، حزب يناصر النظام القائم ، الى جانب آخر ، يتوق الى أن تعيد فرنسا سيرتها الحربية تحت النظام الامبراطورى ، هذا الى جانب حزب يعمل على قيام الجمهورية .

عاش المؤلف كل هذا ، ودار في احداثه وانطبع بمؤثراته ، هذا والمؤلف شاعر ، وأى شاعر ! ، ولهذا لم يكن عجبا أن تراه يخلق فوق المرثيات والمحسوسات الصغرى القائمة في سلوك الناس ، ليعيش وليعنى بالمرثيات والمحسوسات الكبرى .

## وهو الشاعر الذى يتكلم :

ونسبح صوته عاليا يجلجل خلف شخصية الملك دون كارلوس ، وذلك في الفصل الرابع ، وقد وقف الملك فارقا في تأملات عميقة أمام ضريح الامبراطور شارلمان الذى صنع أوروبا ، وهى تأملات بعضها سياسى مبعثه ما هو قائم وما يجب أن يقوم في أنظمة الحكم ، وبعضها الآخر غير سياسى مما يدخل في بندهيات الحياة وحقائق الوجود ، مما يحسها الجمهور في نطاق زمته .

هو يجيد قيام النظام الملكى بعودة أسرة البوربون ، وأن يكون هذا النظام وراثيا (٣) .

---

١ - أوردنا هذا في المقدمة الاولى

٢ - وهو الامبراطورية الثانية وعلى رأسها نابليون الثالث .

٣ - كان فيكتور هوجو محط رعاية من جانب لويس الثامن عشر ، ومن شقيقة شارل العاشر ، وهما من أسرة البوربون وقد ظهرت هذه المسرحية في أيام حكم شارل العاشر عام ١٨٣٠ .

وهو يلوح في مكان آخر بمشروعية قيام السلطة الزمنية ، وعلى رأسها الملك أو الامبراطور ، ثم السلطة الدينية ، وعلى رأسها البابا فنسمعه يقول : -

« فالبابا والامبراطور يتمثل فيهما كل شيء ، ويعود اليهما كل شيء ، لأن فيهما سرا علويا ، ومن السماء هبطت عليهما الحقوق الالهية » .

بل ان ( هوجو ) ليحيى ذكر « الحق الالهي » الذي هو ( طوق النجاة ) والذي تتمسك به الملكية حينما يجتاحها غضب الشعوب ويرحزها عن العرش .

و ( هوجو ) في الوقت نفسه لا يفغل أمر الشعب ، بل هو يعلى من شأنه وينبه إلى خطره فيقول :

« أيها الملوك احرى بكم أن تنظروا إلى ماتحت أقدامكم هناك الشعب .

الشعب ؟ المحيط . . امواه لا تنقطع عن الحركة .

الشعب ؟ الوجه العاتية التي تسحق عرشا وتحفر قبرا . .

البرآة التي قل أن يرسم على صفحتها وجه وسيم لملك !! »

وواضح أن الشاعر مقسم بل هو ممزق بين النظام الملكي الذي لا يمكن أن يعيش الا على هضم حقوق الشعب ، والشعب الذي قلما يسترد حقوقه المشروعة في ظل هذا النظام .

لماذا تركنا هذه التلويحات السياسية - وقد أوردنا منها قليلا من كثير مما جاء في مناجاته ، فاننا نجدنا أمام سباحات شامر ، ولججات مفكر يتلفسف ويجري الحكمة على لسانه .

### حتمية التطور - الجبرية :

أسمعه يقول « تكفى أن تطل برأسها يومها فكرة تستولدها حاجة من حاجات العصر حتى تراها تنمو ، وتتعظم ، وتسعى على قدمين وتجري ، بل هي تتمثل كائنا انسانيا يحفر في المجتمع خطوطا ويشق أخاديد » .

وفي الوقت الذي نسمع فيه الشاعر يؤكد ايمانه ( بفكرة العصر ) او دامي التطور ، نسمعه بعد ذلك معربنا عن ايمانه بان هناك يدا علوية تدبر شؤوننا الكبرى ، وتسخر من تقديراتنا ، نسمعه وهو يوجه كلامه الى المجلس الذي اجتمع لينتخب من سيتولى أمر الامبراطورية الرومانية المقدسة ، هذا ومعلوم أن دون كارلوس يتوق ويعمل على تولى هذا المنصب :

« أيها الناخبون تختالون في الأردية يوشى الذهب حوافيها ، ان شأنكم فيما تيرمونه لا يتجاوز شأن من يمثلون استعراضا مسليا ومحسوبا اذ أن الله ، وحده ، هو من يفعل ما يشاء »



## والى التراب نعود :

ويبلغ تائر الشاعر مبلغا كبيرا بما يرى حوله في هذا المكان من أسباب الفناء ، وقد تضاءلت عظمة هذا العملاق ( شارلمان ) فصارت ضريحا من حجر يتوارى بين أعمدة من حجر ، فنسمعه يقول :

« اعمل ما استطعت في طلب الامبراطورية ، ثم انظر الى التراب الذى صار اليه امبراطور !! املا الخائفين ، املاهما جلبة ودويا ، وارفع البناء ، ودمم امبراطويتك ولا تقنع بشيء . »

أتدرى ما يتبقى منك . يوما ؟؟

لن يتبقى - وباللهجنون - غير هذا الحجر القائم على موقدك !!

ان هوجو ، يذكر ولا شك - ولو بطريق غير مباشر - ما انتهى اليه امر الامبراطور نابليون بونابرت ، وقد كان الشاعر من أشد المعجبين به ، وفي أمجاده صاغ أروع قصائده .

ان في دون كارلوس قسما ملامح من شخصية الشاعر المؤلف ، وبعبارة اخرى ان الشاعر هو بعض دون كارلوس !!

فنحن في هذه المسرحية هرنانى لسنا أمام مؤلف ذكى الفؤاد ، حلو الذماعة ، يخلق الملاحظة ، ويذهب بفراسته الى استخراج ما هو قائم وراء الظاهر من الناس ، بل اننا في هذه المسرحية أمام المنظور البعيد لشاعر كبير ، خياله يبرى بالواقع ، واحاسيسه تنطلق تهدر كالسيل يقطع السدود ، وقد انحنى بشاعريته بتفحص حنية من حنايا الوجود .. شخوصها طين من حمأ مسنون .

## ٣ - هذه الرومانسية ؟

والكلمة ليست عربية ، كما هو واضح ، وانما هي تحريف لكلمة Romantisme الاجنبية ..

هذه الكلمة ما أكثر ما تدور على ألسنتنا وأقلامنا في مختلف المناسبات ومع ذلك نحس أن جوانبا من ماهيتها يكتنفها شيء من الغموض ، أو هي تعطى ، ولكن بعد مماثلة وتأمل .

والمرجع في هذا ، كما قلنا ، ان الكلمة ليست عربية أصيلة تكشف عن كل دلالاتها كشفا لا يلبسه الغموض ، كما أن الكلمة في صيغتها الاجنبية تحمل ، كما سنرى دلالات عدة ، اذا احطنا بأطراف منها ، بقيت خافية علينا أطرافها الأخرى .

ونبادر بارساء تعريف هذه الرومانسية (١) فنقول انها اتجاه ، أو هي مذهب ،  
في التعبير الأدبي والفن الأوروبي ، ينهض على التحرر مما هو قائم من قيم ، وصيغ ،  
وقوالب في الأدب ، وفي الموسيقى ، وفي الفنون التشكيلية ، وقد ولى وجهة في  
استلهاماته ، وفي ابتداعاته نحو الطبيعة غير المقيدة بقوالب مصنوعة ، واتجه نحو  
الحياة في واقعها ، مستهديا بأحاسسه الشخصي وبانفعالاته الذاتية .

فالرومانسية ( حالة ) في الفكر وفي الأسلوب ، تنشأ التحرر من قيود ما هو  
قائم - والتحرر ثورة - ابتغاء ارتياد آفاق جديدة من الفكر والتعبير (٢) .

و ( للحالة ) هذه أشباه ونظائر في الآداب والفنون عند الشعوب المتحضرة ،  
أشياء تتفق في البواعث وفي الأهداف ، ولكنها قد لا تتفق في مقدار توفيقها في تحقيق  
هذه الأهداف ، وذلك من حيث قيمة ما تقدمه من جديد وطريف في عالم الابتداع  
الأدبي والفني .

والادب العربي مر بمثل هذه الانتفاضات والثورات في مدارج تطوره ، ونذكر  
منها على سبيل المثال ، وليس على سبيل الحصر ، ما وقع للأدب العربي حين  
استوى العصر العباسي وزكى مودة ، إذ ثار على عبوس العصر الأموي السابق له ،  
وعلى زهده في الترف والرفاهية . إذ كان عصرا خشنا متقشفا بفعل الحروب  
والفتوحات الإسلامية ، فاذا الأدب في العصر العباسي يتدع أدب الرسائل ، ويأخذ  
بالرواء اللفظي وبالزخرفة في الأسلوب البياني ، ويفرق في الأخذ بالخيال ، كما يميل  
إلى إعلاء العاطفة . - - - - -

إلا أن هذه الثورة ، أو الانتفاضة لم تحمل اسم ( نوع ) يحدد معالم جوهرها  
بحيث يميزها من غيرها ، واكتفى في تسمية هذه الحالات الثورية في عالم الأدب بأنها  
مظاهر ( تجدد ) و ( تطور ) !!

وفي دفتنا الأخيرة نحو تعريب كل ما هو أجنبي ، أطلق بعضهم اسم (الابتداعية)  
على هذه ( الرومانسية ) .

١ - لعل هذه الكلمة مشتقة من كلمة Romon وتعنى قصة يغلب على صياغتها الخيال  
وتتابع فيها الحوادث في سياقها مؤثرة بحيث تجتذب القارئ . إلا أن هناك رأيا  
ينص على أن كلمة Romon tisme مشتقة من كلمة ايطالية كانت قائمة وهي  
Romon ticisme ومعناها « التجديد في الأدب بحيث يناشئ التيار التحرري  
القائم » وقد استعمل الكاتب الفرنسي ( استندال ) Stendal هذه الكلمة ،  
وهو من رواد الرومانسية ، وهو سابق على ( هوجو ) نفسه .

٢ - والثورة ، أية ثورة ، تقوم بالانفعال الشديد وبالهزة ، وبالحماس المتقد ، وكل  
هذا يمهد للعاطفة انطلاقات واسعة المدى تتحكم فيها وتسيطر عليها .

والاسم ، كما هو واضح ، يملأ السمع بتركيب حروفه ، ولكنه لا يملأ الذهن بمدلوله لان ( الابتداع ) ، انما هو درجة من درجات التفوق والتفوق في الخلق الأدبي والفنى ويصح أن تكون هناك مجالات ابتداع في أى مذهب أدبي ، قديما كان أو حديثا فليس مجال الابتداع ، والحالة هذه ، مقصورا على الرومانسية فحسب .

## وافدات أجنبية :

ونعود الى هذه الرومانسية لنكشف عنها في جذورها وفي مقوماتها .

نقول ، أول ما نقول ، انها في نشأتها الأولى حركة أوروبية وافدة من الشمال وليست فرنسية مثل ( الكلاسية ) خاصة .

وقامت طلائع هذه الرومانسية في أواخر القرن الثامن عشر ، وقامت أول ما قامت في انجلترا (1) ، ثم في المانيا ، وزحفت بعد ذلك الى فرنسا في أوائل القرن التاسع عشر ، ثم امتدت الى ايطاليا فاسبانيا ، وعبرت البحر المتوسط الى الضفة المقابلة حيث تقوم أقطار من الشرق العربى .

ثم نقول انها قامت رد فعل لما كان يحكم الادب والفنون اذ ذلك من ( كلاسية ) ضارية منذ القرن السابع عشر ، أحالت الإنتاج الفنى والأدبى وكأنما هو يصدر من قوالب لا تتغير ويتمشى فيها الجمود والتحجر .

وحيثما قامت هذه الحركة المضادة للكلاسية ، لم يكن همها الأول الا محاولة تحطيم ما هو قائم من الأوضاع ، وكان يعوزها المنهج ووضوح الهدف .

سئم الجمهور هذه الكلاسية .. فهو يبحث عن جديد ، وقد تفتحت واعيته لكل ما يجيء يحمل شيئا غير ( كلاسى ) ...

ويتتابع تدفق التيارات الأجنبية .. من الخارج .

ان ( شكسبير ) بشعره الحر الطليق ، وبوثباته المطلقة في سماء المعانى الرفيعة يدق بها أبواب القلب الانسانى ، وفي غير قوالب مفتعلة ومقاييس محسوبة ...

---

١ - في قصص الروائى ( ريتشارد سون ) تنطلق الانفعالات جامحة تطفى على صوت العقل ، وقد ترجمها الى الفرنسية الكاتب ( الأبىه بريفوست ) (Lobee Prevost) ثم أصدر هو قصته المشهورة ( مانون ليسكو ) متأثرا بالكاتب الانجلىزى .

ونرى كذلك في قصص ( فيلدينج ) و ( جولد سميث ) حساسية مرهفة طاغية ومسيطره . وكل هذا يناهى الكلاسية ويرهص لشيء جديد يطل برأسه

وان ( شكسبير ) (١) أيضا بمسرحياته الخارجة على الوحدات الثلاث ، والتي تجمع في ثناياها ما يبكى وما يضحك ، وما هو قبيح وما هو جميل « وتجمعه في مزيج شهى » ...

وان المسرح الالماني تحت راية كاتبه المسرحى ( شيلر ) الذى تعتبر مسرحياته مرحلة انتقال ، اذ تؤلف الحلقة التى تصل بين المأساة الكلاسيكية ودرامات ( شكسبير ) ....

وان انتشار ماكتبه الناقد الالماني الكبير ( وليم فون شليجيل ) فى الأوساط الأدبية والفنية (٢) وهو يشيد اشادة بليغة ومؤثرة بمسرح ( شكسبير ) ويحاول أن يستخلص المقومات التى ستنهض عليها المسرحية الرومانسية ....

وان ماكتبه ( استاندال ) .. وهو أديب فرنسى ذو شأن - فى كتابه ( راسين وشكسبير ) (٣) وقد أخفض من شأن الكلاسيكية ، وقرر أن مسرحياتها لم تعد تتفق والمزاج العام الذى عليه الجمهور ، الامر الذى يدعو الى البحث عن قيم حديثة فى صياغة المسرحية وفى قالبها بحيث تروق الجمهور ....

وان ما جاء قبل كل ما تقدم ، مما أورده ( جان جاك روسو ) (٤) فى مؤلفاته ( العقد الاجتماعى ) و ( الاعترافات ) الخ ، وكله يدعو الى الثورة على الأوضاع القديمة والرجوع الى الطبيعة فى صفاتها وبساطتها .....

كل هذا ، شكل جبهة متماسكة تواجه الكلاسيكية لتنزل بها دقات عنيفة ، وتمهد الرأى العام لاستقبال شىء حديث .

١ - تعرف الفرنسيون الى شكسبير عن ترجمة بعض من مسرحياته ، ثم من الندوات والمحاضرات التى كانت تتتابع لتقديمه شاعرا ومؤلفا مسرحيا ، وكذلك عن طريق الفرق التمثيلية الانجليزية التى زارت باريس فى عام ١٨٢٢ ثم فى ١٨٢٧ وقد سخر الفرنسيون مما قدمته هذه الفرقة فى المرة الأولى ولكنهم اعجبوا به فى المرة الاخرى .

٢ - الكتاب يحمل عنوان ( محاضرات فى الادب المسرحى ) وقد ترجم الى الفرنسية عام ١٨١٤ .

٣ - قرر ( استاندال ) فى كتابه ان كلا من شكسبير ورأسين كان رومانسيا فى عصره ، وذلك بالجديد الذى قدمه فى أعماله المسرحية ، وهو جديد كان يتفق ومزاج العصر ، الا ان رأسين بقى أسير القيود الكلاسيكية ، هذا فى حين أن شكسبير حطم هذه القيود وقدم النماذج التى يسير عليها المسرح الحديث وقد تطور .

٤ - من أكبر الكتاب الفرنسيين فى الاجتماع ( ١٧١٢ - ١٧٧٨ ) .

والذى لا شك فيه ان الذى زاد من فاعلية هذه الدقات ، ان الجمهور كان مهينا لاستقبال كل حديث ، بعد ان الف التغير المتتابع فى شئون السياسة وفى انظمة الحكم ( ١ ) .

والذى لا شك فيه أيضا ، ان الحالة السيئة التى كان عليها المسرح الفرنسى ، من حيث هزال مسرحياته ، جعلته يفتح ذراعيه مرحبا بما عسى أن تجيء به هذه الحركة الصاعدة .

## الحدث الكبير

وخرجت ( المقدمة ) . . على قلم ( فيكتور هوجو ) كما سبقت الإشارة . .

وهى مقدمة مسرحية ( كرومويل ) تجمع فى بحث دقيق وشامل آشتات الآراء ووجهات النظر فى هذه الحركة لتستخلص القيم والأوضاع لهذه ( الرومانسية ) ولتقيم نظريات يرتكز عليها هذا المسرح الصاعد .

بهذه المقدمة أصبحت ( الرومانسية ) مذهبا واضح المعالم ، ومدرسة ذات تعاليم لتدخل تاريخ الأدب الفرنسى خاصة من الباب الكبير .

وماذا جاء فى هذه المقدمة ؟

أعتقد أن بعضا مما ورد فيها ، قد أجريت ذكره فيما تضمنته وأنا أعرف بالمؤلف وبالمسرحية إلا أنه جاء خطفا وعبرا ، وللإحاطة السريعة التى كان يقتضيها المقام . ولهذا لا بد من رجعة الى ذلك .

لنفصل إذن ما أوردناه اجمالا ، من غير أن نتجاوز النطاق المحسوب لهذه المقدمة مؤكدا خصائص هذه الرومانسية وملامحها فى كتابة المسرحية .

## الجمع بين النقيض

ان كلاسيية القرن السابع عشر ، قضت بأن تكون المسرحية ، اما للمأساة والحزن واما للفكاهة والضحك خالصا ، وبأنه لا يجوز الخلط بين هذين الأمرين واجتماعهما فى وعاء واحد .

ويرى ( هوجو ) ان فى هذا القيد اعتسافا وتحكما وخروجاً على مظاهر الطبيعة والواقع بل ان هذا القيد يتنافى مع ماركبته الفطرة فى الانسان نفسه ، الانسان الذى يؤلف المادة الاولى فى المسرحية .

فالانسان ، كما هو محسوس ، ولموس ، ومنصوص عليه فى العقائد السماوية ، جسم وروح أى هو مادة تبنى وعنصر لا يبنى !!

---

١ - سبق أن ذكرنا ان هذا القرن التاسع عشر شاهد ألوانا من انظمة الحكم من ملكية مطلقة ، الى أخرى دستورية ، الى نظام امبراطورى ، الى جمهورية !!

وفي ناحية من الانسان تحكم الفرائز السفلى والشهوات والجنس ، وفي ناحية أخرى منه نراه يحلق في أجواء من الرفعة والسمو الخلقى !!

هذا الانسان يبدو ، وكأنه يعيش بقدميه المغروزيين في الطين ، وبرأسه المرتفع يطالع به وجه السماء ، فهو السمو والتسفل ، وهو الرفعة والانحطاط ، في وقت واحد !!

بل ان الانسان في قلبه الشكلى يجمع بين الجمال والقبح . . . . .

فالانسان والحالة هذه ، يتشكل من عناصر دائمة التناقض دائمة العارك ، ويبدو وكأنه مركب من عدة أشخاص يختلفون طبعاً ومزاجاً ، فالخلاف بينهم وسوء التفاهم لا ينتهى !!

وأعجب مما نقدم ، أنه من خلال اصطراع هذه المتناقضات وتعاركها ، يتشكل عنصر الانسان ، وهو الانسانية ، وتتألف التمثيلية الخالدة التي تتخذ من الانسان نفسه مسرحاً له !!

وإذا انتقلنا الى الطبيعة التي تحيط بنا ، وجدنا أن التناقض فيها يؤلف أحد قوانينها الاولى ، فهو قائم فيها على قدم وساق ، بحيث أن لكل شيء فيها ضداً ونقيضاً .

فالنور ، والجمال ، والدفع ، والسرعة يقابلها الظلام والقبح ، والبرودة والبطء . . . والامثلة كثيرة . .

فانتفاء عنصر التناقض فيما تتضمنه المسرحية ، انما هو خيانة لما تجرى به الحياة ، وخروج بالمسرحية على الصدق الواقعي الذي هو أساس أولى في التأثير على الجمهور .

وبعبارة أخرى ، ان الجمع بين النقااض في كيان المسرحية هو السبيل لأن تشق طريقها الى أن تصبح مرآة للواقع وصورة منه (1) .

## الدراما الرومانسية

وارتسمت الملامح الاولى للمسرحية الرومانسية وقد أطلق عليها ( هوجو ) اسم ( الدراما الرومانسية ) تمييزاً لها عن نوع المأساة التي تنصب كل حوادثها في قالب محزن ، قلما يضيء به شعاع من فكاها .

١ - المذهب الواقعي Réalisme الذي خلف الرومانسية انما هو فرع منها ، وحنية من حناياها ، ولكنها اكتسبت صفات جديدة بحكم التطور الزمني وبالخضوع لمقتضيات روح العصر ، وبعد أن تخلت عما في الرومانسية من ميل شديد الى اعلاء الجمال ، والاخذ بالتجميل ، والاغراق في الوشى والزخرفة .

واستعمال كلمة ( دراما ) ( ١ ) يجرى في هذا الصدد كاسم نوع للمسرحية ، وقد سبق ( لشكسبير ) أن أطلق هذا الاسم على مسرحياته الجديدة ( ٢ ) .

ويكاد الآن تتبلور أرض لعريف أولى لماهية ( الدراما الرومانسية ) وذلك في ضوء ما أوردناه ، وهو قليل من كثير سنورده ، وينلخص هذا التعريف في أن هذه الرومانسية إنما هي في تركيبها مزيج من أكثر ما أخذ به الانجليزى ( شكسبير ) في صياغة المسرحية ، الى جانب ما جرى عليه الألمانى ( شيلر ) وهذا المزيج يصطفق في وعاء تجمعت به خصائص المسرحية ( الميلودرامية ) التى قامت في المسرح الفرنسى في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وهى المسرحية التى تؤثر على الجمهور بمفاجأتها الكثيرة ومواقفها الحادة المفتعلة ، وينهايتها المفجعة .

## ملاحح أخرى

الا أن هناك ملاحح أخرى ذات أهمية... وبها تستكمل هذه ( الدراما الرومانسية ) صورتها مضمونا وقالبا ، وتزداد بهذه الملاحح اختلافا عن المسرحية الكلاسيه .

ان الرومانسية ، وهى حماس متدفق فى الوجدان بفعل الارتماء فى أحضان الطبيعة ، تميل الى تغليب الانفعال على خطرات الذهن فى وضوحها واترانها ، بأن تجعل للعاطفة الكلمة العليا فى ( الفعل ) بالمسرحية ، وفى سلوك شخصيا بدعوى أن القلب أصل ، وأن الدهن فرع ، هذا وفى القلب تكمن الفرائز التى هى صاحبه كلمة عليا فى سلوكنا .

وان الرومانسية تركيبها نزع تحربية من شأنها أن تجعل التعبير ينطلق حراً لا بتقليد صيغ موضوعه ، وقوالب مصنوعة . ان الطبيعة ، وهى مصدر الالهام

١ - المعنى الأصيل فى كلمة ( دراما ) Drama انه يفيد ( الفعل ) Action فيما تتناوله ، فهى تؤلف فيه عنصر النضال والمناقرة ، لأنها مشتقة من الكلمة اليونانية Dromices التى تفيد هذا المعنى ، ومن أجل هذا ، أطلقوا هذه الكلمة وصفا للشعر الذى خرجت منه المسرحية أول ما خرجت ، وهو ( الشعر الدرامى ) بحكم أن المسرحية تقوم فى عنصرها الأول على ( النضال ) القائم بين شخصيا لاختلافهم فى الخلق وفى وجهات النظر الى ما يجرى به موضوع المسرحية وباعتبار أن المسرحية حركة وفعل وليست سردا مسطحا ووصفا .

٢ - وقبل شكسبير أطلقوا ( الدراما الدينية ) Dromo Lituegrgue على المسرحيات التى كان يقدمها ( المسرح الدينى ) فى القرون الوسطى باوروبا . بل ان لهذه الكلمة مدلولاً آخر فى المسرح الاغريقى ، اذ هى تحدد نوعا من المسرحية ، كان يقف الى جانب المأساة والفكاهة وهو نوع ( الدراما السائيرية ) وهى مسرحيات تجمع من اخلاط من الحزن والفكاهة .

لا تفرض علينا قوالب وأشكالا حينما نستقى منها .. وان الطبيعة فطرتنا ولكل منا  
قلبه ومزاجه !!

ان الرومانسية لا تقبل ( الانقيادية ) وتأتى السير في الطريق المضروب .

فالرومانسية بهذا تعلى شأن ( الذاتية ) في الانتاج الادبى الفنى ، واعلاء الذاتية  
ينقلب الى لون من ( عبادة الفرد ) .

والرومانسية تجعل للمخيلة - وهى مثل الذهن والاحساس من ملكات النفس  
ومن قدرات الخلق الفنى - المقام الاول في تناول موضوع المسرحية وفي معالجته ، ثم  
في تحليل شخصه ، والخيال - وهو ابن المخيلة - خداع تملص من قبضة المنطق ،  
ما لم يقم عليه من جانب الذهن حارس نقظ يكبح جماحه . ولهذا فكثيرا ما يقع ان  
يجيء سلوك شخص المسرحية ، وهم يدورون في حوادثها ، على وجه يعوزه المنطق  
السليم وسلامة الادراك ، وان كان لا يعوزه البهاء ، ووسامة الطلعة .

والرومانسية تستقى مواضيعها من التاريخ الأوروبى ، في العصرين الوسيط  
والحديث ، وليس من التاريخ القديم ولا من الايلاذة والأوديسة ، ومنابع الأدب  
اللاتينى . وبهذا تجيء مسرحياتها تجمع ألوانا من الصبغة الاقليمية والمحلية .

والرومانسية تنزع نزعة جمالية في رسم الواقع لأنها تتوخى دائما الابتكار وتسمى  
اليه ، والابتكار يخلق الجمال ، بل هى تغلو في التجميل وفيما يصاحبه من وشى  
وزخرفة ، ولعل السبب اللاشعورى ، هو ما يحمله الأدب الكلاسى من أسباب الجهامة  
ولا نقول القبح !!

والرومانسية في معالجة الموضوع تحرص على أن تجعل أحداثه تجرى فوق المسرح  
( فعلا ) وفي مناقرة ، أى في أخذ ورد ، وليس حكيا يسرده بعض شخص في المسرحية  
أقحموا اقحاما عليها لاجل هذه الغاية .

والرومانسية ، في موقفها من ( الوحدات الثلاث ) تضرب بوحدتى الزمان والمكان  
عرض الحائط ولا تبقى الا على ( وحدة الموضوع ) .

ان كلاسية القرن السابع عشر (1) كانت تحكمها نزعة قوية الى الاستقرار  
الدائم .

وقد تأتى من الاخذ بوحدة المكان أن المسرحية الكلاسية لم تكن تعنى به بالمناظر  
المسرحية وبمهماتنا ، بحكم أنها تجرى في منظر واحد ، فجاءت المسرحية الرومانسية  
على تقيض هذا ، أى جاءت مليئة بالحركة ، غنية بالاستعراض ، وبما يثرى متعة  
النظر .

1 - الكلاسية القديمة لدى الاغريق والرومان ، لم تلزم الكتاب بالاخذ بوحدتى  
الزمان والمكان . ان هذا الالتزام من صنع كلاسية القرن السابع عشر التى أرسى  
قيودها وقوالبها الشاعر ( بوالو ) كما هو معلوم .



والشعر ، وبه يجرى حوار الدراما الرومانسية ، جاء سلما وعلى مرونة واسعة المدى ، بحيث يستطيع الشاعر أن ينتقل بسهولة بين المواقف التي تختلف طبيعة ومعنى ، وأن يجرى فيها حرا بعد أن أصبح غير مقيد بنظام ( المقاطع ) ( ١ ) الكلاسيكية التي كانت تعوق الشاعر عن الانطلاق في التعبير .

هذا والحوار يكشف في الوقت نفسه عن كلمات واسماوات حديثة لم تكن معروفة لدى القدامى ، أو هي على الأقل لم تكن تحرى على أقدامهم .

## الرومانسية في عتفوانها

ولم تشمل الرومانسية الشعر وكتابه القصة وغيرهما من ألوان الأدب فحسب بل امتدت الى فنون التشكيل ( ٢ ) ، والى الموسيقى ، والى النقد الأدبى ، والى المصنفات التاريخية . الخ .

وليس هذا بالأمر المستغرب ، لأن الرومانسية مذهب ، ومزاج عام ، وأسلوب فى التعبير قضت به روح العصر الذى يضع بصماته على كل ما يقع عليه الحس .

هذا ومن الملحوظ أن الأسلوب الرومانسى نفسه قد يخلف فى نواله - وليس فى جوهره طبعاً - باختلاف أصحابه ، بحكم أن لكل منهم طبعاً يخالف طبع الآخر .

فالى جانب ( فيكتور هوجو ) من كتاب المسرحية والقصة يقف ( لامارتين ) بقصصه وتأملاته وشعره ، ثم ( ألفريد دى فينى ) بمسرحيته شاترتون و ( ماريشسال دانكر ) . ثم ( اسكندر دوماس الاب ) بمسرحيته كين وفوضى العبقرية و الملك هنرى الثالث وبلاطه ثم بقصصه .

و ( ألفريد دى موسيه ) بمسرحيته لورانزاسيو ، وهو ليس الأخير من الكتاب الرومانسيين إذ أن هناك كتاباً يؤلفون الصف الثانى والثالث .

ولكل من هؤلاء فى إنتاجه الأدبى ، ما يميزه عن غيره .

## الرومانسية مجازاً

وتجاوز كلمة ( الرومانسية ) مدلولها اللغوى والاصطلاحى ، تجاوزتهما الى

١ - هى أشطر البيت من الشعر .

٢ - فى التصوير برزت أسماء ( ديلاكروا ) و ( جيريكو ) و ( جرو ) وبفرشاتهم استقبال فن التصوير مرحلة جديدة من حيث التكنية فى الانشاء وفى التلوين ، وفى مصادر الاستلهام . وفى الموسيقى اندفعت الألحان مجنحة فى سماء الخيال ، وهى تن وتضحك فى انفعالات عنيفة ، وجاءت تلاحين أوبا ( لعنة فوست ) للموسيقار ( برلبوز ) انموذجاً للموسيقى الرومانسية ، وفى النقد الأدبى والفنى ، قدم ( سانت بيغ ) ألواناً من وجهات نظر نقدية تحمل من الرومانسية تحررها وجرأتها ونزعتها الى التجديد . وصنف ( ميشيليه ) فى التاريخ متأثراً بهذه الرومانسية .

المدلول المجازى ، فصارت تعبر عن حالات خاصة فى التفكير ، وفى العواطف ، وفى السلوك ، وفى المظهر ، وفى أزياء الحياة وفى اللباس أيضا !!

وقد تختلف هذه الحالات من حيث النوع ، ولكنها لا تختلف من حيث ما تكون عليه من صفات ، ترجع كلها الى الجوعر واللباب الذى عليه هذه الرومانسية .

ونضرب على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر :

( فرومانسية التفكير ) تعنى نزعة فى التفكير تجنح الى التحليق فى أجواء الخيال وازدراء الواقع . . . .

( ورومانسية الحب ) يقصد بها الحب وقد أصبح طاغيا وغلابا بعنف انفعالاته . . وقد يقصد بها الحب فى أخيلته الجميلة وفى دفء أحاسيسه . .

( ورومانسية ) الأسلوب البيانى ، أن يجرى الأسلوب بحيث يعلى الزينة اللفظية والصور العاطفية على أى عنصر آخر .

والقائمة تطول . . والكلام لا يفرغ عن هذه ( الرومانسية )

وهناك من يذهب فى تقويم الرومانسية الى القول بأنها قضية من قضايا الانسان ، هى قضية التحرر والاطلاق واغفال ما هو قائم من الأوضاع ، حتى تستطيع النفس بما أوتيت من ملكات وقدرات أن تدق باب المجهول لنطالع الحقيقة الكامنة فى ( اللامأ وراء ) .

وكأنى به يريد أن يقول أن الرومانسية ، هى التطور والارتقاء ، هى التجدد ، وهى الطموح الانسانى الذى لا يعرف الحدود .

## ٤ - الرومانسية فى الأدب وفى المسرح المصرى

جاءت الرومانسية الى الشرق العربى ضمن الوافدات القادمة من أوروبا ، وهى تيارات تحمل جديدا فى أساليب التفكير ، وفى الذوق ، وفى انسلوك وفى أزياء الثياب ، والموضوعات العامة .

وجاءت فى أواسط القرن الماضى ، وكان الشرق العربى عامة ، ومصر خاصة ، متعطشة الى ما يحمل جديدا يعمل على تطوير ما كانت آخذة بأسبابه ، من حيث احياء التراث العربى ومراجعته . فسرعان ما شملت هذه الرومانسية الوجود العربى فى انتاجه الأدبى والمسرحى أولا ، بعد أن نسجت تأثيرها على الحياة العربية نفسها ، بحيث أصبحت تؤلف خلفية لهذا الانتاج .

اكتسبت الرومانسية ، فى أول الأمر ، أرضا الى جانب حركة احياء القديم من الأدب العربى ، ثم أخذت بعد ذلك تنازع هذه الكلاسية العربية وتدفعها من وعى الجمهور وتعالى للشعر الرومانسى ، خاصة ، أعلاما ورايات .

## في الشعر العربي

وسبق الى هذه الرومانسية ، الأولون من الأدباء ، سبقا غير محسوب ، ثم توارد عليها شعراء المهجر الأمريكى (١) في العقد الأول من هذا القرن ، وفي نفس الوقت برزت خصائص هذه الرومانسية في الشعر العربي المصرى . على أقلام شعراء ( الديوان ) (٢) .

وصاحبت هذه الحركة فيوض من المترجمات (٣) عن الأدب الرومانسى بفرنسا وانجلترا وألمانيا خاصة ، تقدم نماذج من هذا الأدب ، وتدعو الى فرض خصائصه على الأدب العربى الصاعد .

وبلغ الشعر الرومانسى في الأدب العربى حدا بعيدا من النضج في أوائل الثلاثينات .

وصدرت مجلة ( أبولو ) (٤) تفيض بآراء جريئة تستهدف تطوير الشعر العربى في ظل هذه الرومانسية ، وتنادى بغيام ( الشعر الحر ) الطليق من القافية ، وهو الشعر الذى كتب به شكسبير مسرحياته .

واتخذ القدامى ، وهم الكلاسيون ، موقف العداء من هؤلاء المحدثين ، وقامت معارك فلمية - ما برحت لها اصداء حتى الآن في أذهان الناس .

## في القصة والصحافة

واخذت القصة المصرية الناشئة سَمتَ هذه الرومانسية، وتركت تلك الكلاسيبة التى أصدرت من قوالها قصصا كثيرة ، لعل أشهرها ، قصة ( حديث عيسى بن

١ - في مقدمتهم أمين الريحانى ، وجبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وكلهم من الشام .

٢ - وهم ابراهيم المازنى ، وعبد الرحمن شكرى ، وعباس محمود العقاد وكانوا أصدروا ، الى جانب انتاجهم في الشعر ، دوريات نقدية أطلقوا عليها اسم (الديوان) هاجموا فيها الشعراء الكلاسيين المعاصرين . وفي مقدمتهم الشاعر ( أحمد شوقى ) .

٣ - ترجم ( محمود السباعى ) الكثير من شعر ( لورد بيرون ) خاصة وهو الشاعر الانجليزى الذى كان معاصرا ( لهيجو ) كما - ترجم ( محمد كامل حجاج ) ألوانا من الشعر الرومانسى كما جاء على يراعة ( هيجو ) وزملائه في فرنسا ، وكما جاء من الشعراء الرومانسيين في ألمانيا وإيطاليا وظهرت هذه المجموعة في كتاب يحمل عنوان ( بلاغة الغرب ) في العشرينات من هذا القرن .

٤ - أصدرها الدكتور الشاعر ( زكى أبو شادى ) عام ١٩٣٢ تتضمن نماذج من شعر شباب نثر على الكلاسيية ، نذكر منهم أبو شادى نفسه ، والصيرفى وعلي محمود طه ، وابراهيم ناجى ، ثم أبو القاسم الشابى من تونس .

هشام) للمويلحي ، و ( ليالى سطيح ) للشاعر الكلاسي ، حافظ ابراهيم .

وفي أوائل الحرب العظمى ( ١٩١٤ - ١٩١٨ ) جاء أول عطاء للرومانسية في القصة المصرية على قلم الدكتور ( محمد حسين هيكل ) بقصته الطويلة ( زينب ) وعلى قلم ( محمد تيمور ) في قصته ( مآثره الميون ) ويجيء عطاء بعد عطاء وكسل منه يشق أفقا جديدا للقصة وذلك في المضمون الثائر على التقاليد والمواضع ، وفي الأسلوب البياني الذي ترك السجع ، وأزرى بالمحسنات البيانية .

وقبيل هذه الحرب أصدر ( أحمد لطفى السيد ) صحيفة ( الجريدة ) مكتوبة بأسلوب بياني سهل مشبوب الوجدان يحمل مضمونه من الرومانسية كل جراتها وتحريها في تحطيم الأوضاع الاجتماعية فتنادى بسفور المرأة العربية وبتحررها ، ودعا الى احياء ( الصبغة المحلية ) المصرية في جميع قطاعات الحياة .

## الرومانسية في المسرح

ولعل هذه الرومانسية الوافدة وجدت في المسرح العربى اخصب مجالاتها .

كان المسرح العربى المصرى في أواخر القرن الماضى يكابد حالة مفزعة من الجمود ومن الكساد ، بعد الموجة الاولى التى جاء بها ( الثلاثة الكبار ) (١) من رواد المسرح العربى ، جمود فى كتابة المسرحية بعد أن استنفدت وسائلها فى الاقتباس عن المسرحيات الأوروبية ، وكلها من المسرح الكلاسي فى القرن السابع عشر (٢) ثم كساد فى اقبال الجمهور على حفلات التمثيل ، مآتاه السأم من مشاهدة مسرحيات تصدر كلها من قالب واحد ، وتغلب عليها نزعة الى الوعظ والارشاد ، والى تمجيد العقل والتعقل والحفاظ والتحفظ ، هذا والرجال يقومون بأدوار النساء فوق المسرح !! هذا والحياة المصرية تهزها هزا عنيفا يقظة قومية مآتاه الثورة العمرانية ( ١٨٨٢ ) وما خلفته وراءها من يقظة تتطلع الى حال غير الحال القائمة .

وبهذا كان المسرح المصرى مهيشا كل التهيؤ لاستقبال ما يدخل عليه جديدا من شأنه أن يدفع بالماء الراكد فيه الى الجريان .

---

١ - وهم نارون النقاش ، وهو أول من قدم مسرحية باللسان العربى ، هى ( البخيل ) عام ١٨٤٨ فى بيروت ، واليه ترجع المبادرة الاولى فى اقامة مسرح عربى ، ثم ( يعقوب بن صنوع ) وشهرته ابو نظارة ، واليه يرجع أمر انشاء أول فرقة مصرية تقدم مسرحيات ذات صبغة محلية مصرية ويجرى حوارها بالعامية ( ١٨٧٠ ) ثم ( ابو خليل القباني ) الذى يعتبر الاب الشرعى للمسرحية التاريخية العربية .

٢ - الاكثرية الغالبة من هذه المسرحيات مقتبسة من مولير ، وكورنى ، وراسين .

## هرنانى - حمدان

كان أول عطاء رومانسى فى المسرح المصرى هو ( هرنانى ) ولكن بعد ان أجرى تعريبها الشيخ نجيب الحداد وأطلق عليها اسم ( حمدان ) (١) وأجرى حوادثها فى الأندلس ، وهى اسبانيا الاسلامية .

ولاقى هذه المسرحية المصرية نجاحا كبيرا فكار أن أجرى نفس الكاتب تعريب (٢) مسرحية ( الفطاريف . . . . ) واسماها ( ثارات العرب ) وجعل حوادثها تجرى بالجاهلية ، وفى شمال الجزيرة العربية ، حيث تتاخم الأرض العربية مقاطعات بيزنطية .

وتتابعت جهود هذا الكاتب فى تقديم مسرحيات أخرى ( لهوجو ) أجرى ترجمتها ، ولم يعرب واحدة منها ، وهى مسرحيات ( مارى تيودور ) و ( ليكريس بورجيا ) و ( أنجيلو ) .

وواضح أن مسرحيات ( هوجو ) نالت اعجاب الجمهور ، بدليل أن المسرحيات التى لم يتناولها قلم ( نجيب الحداد ) قد ترجمت بعد ذلك ، وهى مسرحيات ماريون دى لورم و الملك يلهو و روى بلاس ، وذلك فى العشرينات من هذا القرن وقدمتها الفرق المصرية (٣) كما ترجم هرنانى الشاعر خليل مطران فى الثلاثينات (٤) .

ولا شك فى أن ما تضمنته هذه المسرحيات من حركة نشطة فى تتابع الأحداث ، ومن حبكة قوية فيها ، مع ما يحيط بها من مواقف حادة ومفاجآت مؤثرة ، كل هذا يؤلف سببا له فاعلية فى اقبال الجمهور على هذه المسرحيات ، هذا الى جانب ما يتمشى فيها من نزعة تحررية ، ودفع الى التجدد والتطور ، وهو دفع كان الجمهور يستجيب اليه فى مختلف مظاهره .

وهناك مترجمات لمسرحيات رومانسية لكتاب آخرين . ولعل أهم هذه المترجمات هى شاتزنون لافريد دى فينى ، وكين أو فوضى العبقرية لدوماس الأب . .

---

١ - اخذ هذا الاسم مكان اسم ( هرنانى ) .

٢ - التعريب ، هو أن يضيف المترجم على المسرحية مسحة عربية واضحة تشمل أماكن وقوعها ، وحوادثها ، وشخصياتها بحيث تبدو كأنها ( عربية ) والتعريب لون من الاقتباس تسوده الصبغة المحلية العربية .

٣ - لا أعرف أن فرقة من المحترفين أو الهواة قدمت مسرحية ( كرومويل ) ، والأسباب معروفة وقد أحطت بها فى تقديم مسرحيتنا هذه ( هرنانى ) .

٤ - ترجمها الشاعر الكبير بتكليف من رواد وزارة التربية بناء على اقتراح لمعهد التمثيل الحكومى التابع لها ، بترجمة بعض روائع المسرحيات العالمية ترجمة نموذجية فى عام ١٩٣١ .

وهناك مترجمات لمسرحيات الصف الثانى والثالث من الكتاب الرومانسيين فى فرنسا وفى إيطاليا خاصة ، نظرا الى تقارب المزاج اللاتينى من المزاج العربى . . . . .  
ثم مترجمات مآسى وفكاهيات ( وليم شكسبير ) الذى يصح أن نعتبره الرائد الأسبق للرومانسية المسرحية . . . . .

ويطول بنا المقام اذا أزمعنا أن نتقصى آثار هذه الرومانسية فيما يقدمه المسرح العربى من مسرحياتها المترجمة ، وحسبنا أننا أحطنا بالأهم مما خرج منها فى القرن الماضى .

## التأليف فى المسرح العربى

وكان أمرا طبيعيا أن تتأثر المحاولات الأولى فى التأليف المسرحى العربى بهذه النزعة الرومانسية . بل ان المسرحية الأصيلة التى تبلور لها كيان خلال الحرب العظمى وفيما بعدها نراها تستمد معينها من هذه الرومانسية ، من حيث الصياغة والمنوال .

والملاحظ أن أكثر الانتاج فى كتابة المسرحية عندنا حتى الآن ينزع نزعة رومانسية تختلف صراحة وخفاء ، هذا فى حين أن بعضه يتجه نحو الواقعية ، التى هى وجه من وجوه الرومانسية ، كما سبق أن أشرت ، وأقله يخضع لقيم المذاهب الأخرى من رمزية وتأثرية الخ . .

الا أن الرومانسية القائمة الآن - ويطلقون عليها ، اسم أصبحت تتسم بما يكون عليه السيل وقد ابتعد عن منحنىه ، فهى التزام بأن تقصر همنا الأول على الجوهر والصميم فيما نتناوله ، وأن ننصرف عن الهيمنان فى الجوانب ، وأن نغلى الجوانب المادية . وقد قامت هذه النزعة بتأثير تغير المزاج العام تحت ضغط التقدم العلمى واملاء الوعى به ، ثم بتأثير عامل السرعة وسيطرة النزعات المادية .

## فن الممثل وفن المناظر المسرحية

وكان أمرا مقضيا أن يتأثر فن الممثل العربى . . . . . باعتباره جزءا من كل . . . . . من فنون المسرح .

ان النزعة الكلاسيكية التى كانت تضى على أداء الممثلين طابع الاتزان ، والاعتدال فى اصدار الصوت والحركة . . . . .

وان محاولة الممثل ، وهو يبتدع دوره أن يجرى على نمط أستاذه أو سلفه فيه . . . . .

كل هذا أخلى مكانه لقيام تقاضى له . . . . .

انفعالات جامحة تحطم كل شكيمة لردّها .. صرخات تعلو حتى الحشجة ،  
بحلقة في النظرات ، ودق على الصدر .. ( داتية ) مندفعة ، تنشدد النحرر من كل  
شئ ، وتبغى تحقيق ابعده الغايات ، ولكن قبل أن تستكمل عناصر كيانها ومقومات  
قدراتها .. انها رومانسية مخبورة .

ثم جاءت في أعقاب هذه الحالة الخشنة في فن الأداء التمثيلي ، رومانسية مهذبة  
مصقولة تصدر عن مقاييس ، وتحاول أن تجعل للذعن دخلا في ضبط قدراتها وتنسيقها  
على الرغم من انطلاقات الانفعالات المشبوبة التي كثيرا ما تتألق في اصدار الصوت ،  
بعد اختيار حاذق في نبراته الندية المؤثرة ، وذلك على حساب ما تعبر عنه هذه  
النبرات الصوتية ، وهو شخصية الدور الذي يؤديه الممثل ..

ان النزعة الجمالية غالبة في هذا اللون من الأداء ، وهي في الأسلوب وليس في  
المضمون .

وبهذا قامت ( المدرسة الصوتية ) في الأداء التمثيلي بالمرح العربي في  
العشرينات ، وهي مدرسة ، كما ترى ، تعلو الأداء الصوتي والحركي ، على الخلق  
الفني للدور ، أي هي مدرسة تعلو الأسلوب على المضمون ، مدرسة شعارات .

وعلى هذا النمط جاءت المناظر المسرحية ، والاضاءة والملابس ، فهي في  
تصويرها ، وفي تنظيمها ، وفي تركيبها وخطوطها ، تنزع الى تجميل الواقع ، واقع  
المسرحية ، من غير أن يكون هناك داع .. يدعو الى الأخذ بكل هذا .. فهي تقدم  
اطارا يمتع العين ويسر خاطر لاكثر !!

وحيثما تكون هذه المناظر للمسرحية التاريخية ، فان مصورها يفرط ، مع أخذه  
بالنزعة الجمالية ، في احياء الصبغة المحلية والتاريخية بحيث نجىء هذه المناظر ،  
وكأنها صورة من الواقع التاريخي ..

الا أن كل هذا قد تطور بعد ذلك بفعل تغير المزاج العام والامتلاء بمفاهيم المسرح .

وهكذا يتضح أن الشعوب العربية تشد كثيرا على يدى هذه الرومانسية ، وذلك  
بحكم مزاجها المشبوب ، وبفعل ما يختلج به وجدانها من ميول قوية الى تحطيم القيود  
والى الخروج على القوالب القديمة .. انها شعوب نتطلع الى غد أفضل في أنظمة  
الحكم ، وفي مواضع الاجتماع ، ثم في تقويم ذاتيتها بحيث تكون للفعل اكثر مما  
تكون للقول .

الكويت ١٥/١٢/١٩٧١





# ہرناقی

تألیف : فیکنور ہیجو  
ترجمہ و فقہ : زکی ظہیمات



العنوان الأصلي للمسرحية

VICTOR HUGO

HERNANI

*drame*

*Classiques Larousse*



## شخصيات المسرحية

Hernani	* هرنانسى
Don Carlos	* دون كارلوس
Don Ruy Gomez De Silva	* دون روى جوميز
Dona Sol De Silva	* دونيا سول دى سيلفا
Le Duc De Baviere	* دوق بفاريا
Le Duc Gotha	* دوق جوتا
Le Duc De Lutzelbourg	* دوق لوتزلبورج
Don Sancho	* دون سانشو
Don Matias	* دون ماتياس
Don Ricardo	* دون ريكاردو
Don Garci Suarez	* دون جارسى سواريز
Don Francisco	* دون فرانسيسكو
Don Juan De Haro	* دون جوان دى هارو
Don Gil Tellez Giron	* دون جيل تيليز جيون
Premier Conjuré	* المتآمر الأول
Un Montagnard	* أحد رجال الجبل
Dona Josefa Duarte	* دونيا جوزيفا دورات
Une Dame	* إحدى السيدات
Conjares	* المؤتمرون
Montagnards, Seigneurs Soldats, Pages, Peuple	جليون - سادة - حاشية وصفاء



## (( زمن المسرحية ومكانها ))

- \* اسبانيا عام ١٥١٩ .
- \* تجرى حوادث المسرحية ابتداء من شهر فبراير الى حلول فصل الصيف من العام نفسه .
- \* توفي الامبراطور ماكسميليان في ١٥ يناير ١٥١٩ .
- \* وجرى انتخاب خلفه في ٢٨ يونيو ١٥١٩ .
- \* وبهذا يمكننا أن نؤرخ على وجه التقريب ، فصول المسرحية على النحو الآتى :
- الفصل الأول والثانى يجريان فى شهر فبراير .
- الفصل الثالث فى شهر ابريل
- الفصل الرابع فى شهر يونيو
- الفصل الخامس فى شهر أغسطس .





## الفصل الأول

الملك - في مدينة سرقسطه

غرفة نوم . بالليل . مصباح على منضدة .

## المشهد الأول

دونيا جوزيفا

دوارت

: ( امرأة عجوز ترتدى السواد وقد وشى ثوبها في  
قسمه الأعلى المحيط بالصدر بحجارة من الكهرمان  
الاسود تبعا للزى الذى كان للملكة ايزابيلا  
الكاثوليكية . )

دونيا جوزيفا

: ( وهى تسدل الستائر القرمزية على النوافذ ثم تجرى  
تنظيم قطع من الأثاث . وتسمع طرقة على باب  
صغير قائم في الناحية اليمنى من المنظر . فتنصت  
دونيا جوزيفا ، ثم لا تلبث أن تسمع طرقة أخرى  
من نفس الناحية )

أيكون هو القادم ؟

( طرقة أخرى )

ان الطرق قادم من السلم الخفى

( طرقة رابعة )

لنسرع بفتح الباب

( يفتح الباب الصغير المختفي في الجدار. يدخل  
دون كارلوس وقد أخفى وجهه بوضع أحد  
أطراف عباءته فوق أنفه وأسدل أطراف قبعتيه  
على عينيه )

طاب يومك أيها الفارس الوسيم .

( توسع الطريق للقادم فيدخل ، ويزيح العباءة  
فاذا هو يبدو في حلة ثمينة من المخمل والحريير  
على الزى الشائع في قشتالة عام ١٥١٩ . وتحقق  
دونيا جوزيفا في وجهه لتراجع في دهشة )  
ما هذا ! ! أأنت السيد هرناني ؟ الغوث . .  
النجدة

دون كارلوس : ( وقد أمسك بذراعها ) كلمتان أكثر مما تكلمت  
أيتها الوصيقة ، وتصبحين في عداد الموتى .

( تحقق دونيا جوزيفا في وجه القادم وقد عقد  
الفرع لسانها )

أأنت في حرم دونيا سول ، خطيبة دوق باسترانا  
الهرم ، عمها ، السيد الجليل الغيور ؟ أجيبي . .  
قولي ان الحسناء ملهفة في حب فارس لم يبت بعد  
شاربه . . هي تستقبله كل مساء ولا تعباً بعيون  
الوشاة والحساد . . تلتقي هذا الفارس الوسيم الذي  
لم تستو له لحية بعد ،

من خلف لحية الشيخ الهرم ، ولا تبالي بشئ .  
ألست وثيق العلم فيما أقول ؟

( تلزم دونيا جوزيفا الصمت فيهما دون  
كارلوس من ذراعها )  
أحسبك ستجيبين . .

دونيا جوزيفا : جعلت محظورا على أن أنطق بكلمتين  
دون كارلوس : لهذا لا أطلب الا كلمة واحدة . . نعم ، أولا ؟  
ان مولاتك هي دونيا سول دي سيلفا ؟ أجيبي

دونيا جوزيفا : نعم ، ولم ؟  
دون كارلوس : لا شيء - والدوق خطيبها الهرم ، هل هو غائب  
الساعة ؟

دونيا جوزيفا : نعم  
دون كارلوس : هي اذن تترقب فتاها ؟  
دونيا جوزيفا : نعم  
دون كارلوس : لي الويل ولهاك !

دونيا جوزيفا : نعم  
دون كارلوس : أيتها المريية . . اذن هنا ، في هذا المكان يكون  
اللقاء .

دونيا جوزيفا : نعم .  
دون كارلوس : خبثيني في مكان ما ، هنا .  
دونيا جوزيفا : انت ؟

- دون كارلوس : أنا .
- دونيا جوزيفا : ولماذا ؟
- دون كارلوس : لا لشيء .
- دونيا جوزيفا : أنا أخبئك ؟
- دون كارلوس : هنا .
- دونيا جوزيفا : لن يكون هذا .
- دون كارلوس : ( يخرج من حزامه خنجرًا و كيس نقود ) تنازلي يا سيدتي بالاختيار . . هذا الكيس ، أو هذا الخنجر ؟
- دونيا جوزيفا : ( وهي تلتقط الكيس باحدى يديها ) أنت الشيطان بعينيه .
- دون كارلوس : نعم أنا هو يا مربية .
- دونيا جوزيفا : ( تفتح باب خزانة داخلية في الجدار ) اختبي هنا
- دون كارلوس : ( وهو يتفحص المخبأ ) هذه العلبة ؟
- دونيا جوزيفا : اذن اخرج من هنا اذا لم ترد .
- دون كارلوس : ( وهو يعيد فتح باب المخبأ ) بلى . ( وهو يتفحص المخبأ مرة ثانية ) أياكون هذا اصطبيل جوادك كلما خبأت عصا<sup>(١)</sup> مكنستك وانت تتنقلين بها في الفضاء . . اساحرة ؟
- ( وهو يحشر نفسه داخل المخبأ ) أوف ! !
- دونيا جوزيفا : ( وهي تفرك يديها كمن ستنكر الأمر الذي

١ - من الشائع في عالم السحر والسحرة ، خرافة مفادها أن بعض الساحرات ينتقلن من مكان إلى آخر على الهواء وهم ركوب على عصا المكنسة .

تورطت فيه ) رجل هنا يا للفضيحة ! !

دون كارلوس : ( وقد استوى داخل المخبأ ) أكانت مولاتك  
تنتظر قدوم امرأة ؟

دونيا جوزيفا : يا الهى . . اسمع وقع أقدام دونيا سول . سيدى  
أسرع وأغلق الباب  
( وتدفع باب المخبأ فينزاق )

دون كارلوس : اذا بدرت منك ريبة بامرئيتى ، فأنت مائتة .

دونيا جوزيفا : ( منفردة ) من الرجل ؟ يا الهى . . ألا أطلب  
النجدة ؟ ممن ؟

كلهم نيام أهل القصر فيما عداى وسيدتى . .  
أوه . . ولكن سيحضر الآخر صاحب الأمر فيما  
نحن فيه . . ومعه سيفه الطويل . احمنا يا الهى  
من عذاب النار . ( وهى تزن كيس النقود بين  
يديها ) ومع كل هذا . . فليس الرجل لصا . .  
( تدخل دونيا سول تختال في ثوب أبيض فتخبيء  
دونيا جوزيفا الكيس بين طيات ثيابها )

## المشهد الثاني

دونيا جوزيفا - دون كارلوس « المختبئ » - دونيا سول

ثم هرمانى

دونيا سول : جوزيفا . . .

دونيا جوزيفا : سيدتى . . .

دونيا سول : أخشى وقوع مكروه . . كان يجب أن يكون هرمانى

هنا الساعة !! ( يسمع وقع أقدام من ناحية الباب الصغير )

هاهو ذا مقبل . . افتحى الباب قبل أن يدقه . .  
اسرعى ، هيا ، بادرى . .

( تفتح جوزيفا الباب الصغير ويدخل هرنانى ،  
هو فارس متدثر في عباءة فضفاضة وعلى رأسه  
قبعة كبيرة ، ويبدو تحت عيائه زى أهل الجبل  
مما هو شائع بين سكان أراجون ، له لون رمادى ،  
هذا وقد غطى الفارس صدره بدرع من الجلد  
وشد السيف والخنجر وبوقا من أبواق الصيد  
الى حزامه ، فتجرى نحوه دونيا سول )  
هرنانى .

هرنانى : دونيا سول . . أخيرا أنت أرى ؟ أهذا الصوت  
الذى أسمع هو صوتك ؟ لماذا تعمل الأقدار على  
أن تباعد ما بينى وبينك شد ما أنا في حاجة اليك  
لكى أنسى الآخرين !!

دونياسول : ( وقد لمست ثيابه ) يا الهى . . ان عباءتك تسبل  
ماء !! ان المطر شديد ولاشك ؟

هرنانى : لا أدرى .

دونياسول : لا بد انك تحس البرد

هرنانى : ما أهون أمره !!

- دونيا سول : اخلع هذه العباءة في الحال .
- هرناني : دونيا سول . . يا حبيبتى وميتيمتى . . نبشنى ، اذا ما أقبل الليل . ودب النوم في عينيك فاستسلمت اليه وغبت عن الوجود . يخف بك سكون وبراءة وطهر ، بعد أن باعد النوم ما بين شفقتك ، وقرب بأصبعه ما بين جفنيك ألا يهيب بك صوت من ملاك يقول : كم أنت مؤنسة وعذبة للبائس الذى هجره كل الناس ، فصار للوحدة والوحشة؟
- دونيا سول : لم جئت متأخرا يا مولاي ؟ . . ولكن نبشنى ، أتشعر بالبرد ؟
- هرناني : أنا ؟ أنا أشتعل وأحترق حينما أكون قريبا منك . آه . . حينما تغتلى فى رؤسنا تباريح الحب والغيرة حينما تتورم قلوبنا بفعل ما يصطخب فيها من أعاصير الجوى . . فما أيسر أمر سحابة يؤلفها الهواء لترسل فوق رؤوسنا — ونحن نعبر الطريق — بروقا ورعودا !!
- دونيا سول : ( وهى تخلع عنه عباوته ) هيا أعطنى العباءة وناولنى السيف
- هرناني : ( ويده على قبضة سيفه ) إلا هذا ، هو صديقتى الآخر الأمين الذى لا يوارب .
- دونيا سول ، خبرينى ، هل الدوق الهرم — عمك ، وزوجك المقبل — مازال متغيبا ؟
- دونيا سول : نعم . . ان هذه الساعة لنا .

هرنانى : هذه الساعة !! هذا كله ما نملكه ، ليس لنا الا هذه الساعة ، نعم وبعدها ماذا يهم؟ ليس أمامنا الا أن ننسى هذه الحقيقة ، أو أن نموت .  
أيها الملاك ، الا إن ساعة الى جوارك . ساعة واحدة ، لتساوى في الحق الحياة كلها لمن يشتهيها ، ولا يهم أن يجيء الموت بعدها .

دونيا سول

: هرنانى .

هرنانى : ما أشد فرحى أن يغادر الدوق القصر !! انى -  
كلص ينتفض فزعا وهو يقتحم أحد الأبواب -  
أدخل اليك ، وأمثل بين يديك لأستب الشيخ ساعة من سحر لفظك وأنس نظرتك . انى بهذا جد سعيد ، بل جد محظوظ ، وارانى أهلا لأن يحسدنى كل الناس ، اذ أستلب هذه الساعة ، ولو دفعت حياتى ثمنا لها

دونيا سول

: تمالك نفسك (تسلم العباءة الى دونيا جوزيفا) اليك هذا المعطف فجفيفه (تخرج جوزيفا وتجلس دونيا سول ، وتومئ الى هرنانى أن يقترب منها)  
تعال الى جانبي

هرنانى : (و كأن لم يصل سمعه ما تقول) اذن فالدوق قد بارح القصر؟

دونيا سول

: ما أجلك في نظرى

هرنانى

: هو غائب عن القصر . .

دونيا سول : يا أحب الىّ من روحى ، لانشغل أنفسنا الآن بأمر الدوق .



هرناني : بل يجب أن نشغل أنفسنا به ياسيدتى .  
ان هذا الهرم يحبك ، وسيقترن بك . فماذا بعد  
ذلك ؟ ثم . ألم يخطف منك قبلة منذ يوم ؟ فكيف  
تريدينى على ألا أفكر فيه ؟

دونيال سول : (وهى تضحك) أهذا ما يدفع بك الى هذا الضيق؟  
ان قبلة العم فوق الجبين . لأقرب ما تكون الى  
قبلة الوالد .

هرناني : كلا انها قبلة محب . . قبلة زوج . قبلة غيور . .  
ألا ترين انك ستصبحين ملكا له يا سيدتى ! ألا  
تفكرين في هذا ؟

باللهرم المخرف !! ان رأسه يستند الى صدره  
وهو يقطع الطريق الى نهاية حياته . ومع ذلك فهو  
يومل ، ويعمل على أن تكون له امرأة . بل  
هو يريد فتاة في مقتبل الصبا ليصبح زوجها !!  
فيا للشيخ السفیه المخبول !!

ألا يحس ، وهو ممسك يدك باحدى يديه ، ان  
الموت يشده من يده الأخرى ويضمه اليه ؟؟ ايه  
أيها الشيخ الذى يقترب من نهايته ، اذهب الى  
حفار القبور ليهيئ لك القبر الذى سيحتويك .  
ولكن من ذا الذى دبر أمر هذا الزواج ؟  
في ظنى انهم أرغموك عليه ؟؟

دونيا سول : يقولون ان الملك هو من يريد هذا الزواج .

هرناني : الملك ؟ الملك !! لى أبى حتفه فوق منصة الاعدام  
بأمر من أبيه . وعلى الرغم من تقادم العهد وكر

الأيام بهذا الحادث المفجع ، فان حقدى على الملك الأب ، وعلى ابنه ، وعلى أرملته ، وأتباعه ما برح قائما ، وهو يتجدد كل يوم . وقد مات الملك فانتهى حسابه ، وقد حلفت منذ ان كنت طفلا على أن أخذ بثأر أبي من ابنه . . كارلوس يا ملك قشتالة ، انى في اترك أينما توجهت فالحقد يتلظى ويتوهج بين أسرتينا منذ ثلاثين عاما قضائها الآباء في نضال واعتراك لا يعرفون فيها الرحمة ولا الندم . ولما ذهب الآباء بقى الحقد في الأبناء وظلوا وقوفا في مواقف النضال يرفضون الصلح ولا يجنحون الى السلام . ان الحرب سجال بيننا . آه . . اذن أنت لاسواك ، من يرغب في تحقيق هذا الزواج الكريه ! ! حسن جدا . . كنت أجد في اترك ، أبحث عنك ، فاذا بي ألقاك تعترض طريقى . .

دونيا سول : انك تملوئى رعبا .

هرنانى : نذرت نفسى لهذه المهمة ، أوديها كما لو أنسى أودى فرضا من فروض الله ، وهى مهمة تدفع بى الى أن اكون خارجا على المجتمع واملوئى رعبا . أصغ الى : ان الرجل الذى اختاروه لك ، على الرغم من اقتبال شبابك ، وهو ( روى جوميردى سيلفا ) عمك ، ودوق باسترانا - غنى من أغنياء أراجون ، له المال الوفير ، والحسب الرفيع ، والجاه الواسع ، بحكم انه كونت قشتاله

وعظيمها ، فاذا فاته الشباب فلن يفوته ، أن يحمل  
اليك الذهب أيتها الشابة ، وأن يغطيك بالجوهر ،  
فيشرق جبينك بين الحياة الملكية . وفوق هذا ،  
فان ما ستبلغينه من مراتب المجد ، والغنى ، والرفعة  
على يديه ، وأنت دوقة ، سيجعلك محسودة من  
جانب الكثيرات من ربات التيجان .

هذا ما يقدر الدوق على أن يقدمه لك .

أما أنا . . فاني ابن العوز ، وريبب الفقر ، لم يكن  
لي ، منذ طفولتي ، غير الأحراش والغابات ،  
أذرعها حافي القدمين . وقد يكون لي بين ما ينحفيه  
صدأ الدمار ، شعار كريم ينبي عن طيب عنصري  
ورفعة أرومتي وقد تتكشف لي فيما هو مخفي خلف  
الظلال ، وبين ثنيات الدثار الذي يغطي منصة  
الاعدام ، حقوق تبرز الى النور مع خروج هذا  
السيف من غمده ، اذا لم يخذعني الأمل ويعينني  
الصبر .

وفي انتظار هذا ، فان السماء الضئيلة بالعطاء لم  
تمنحني غير الهواء والضياء والماء ، منح لا تضن  
بها على كل الناس .

فلا مناص لك عن أن تتخلصي من الدوق أو مني  
فاختاري بيننا . تزوجين بالدوق أو تلحقين بي؟

دونيا سول : أتبعك . . .

هرناني : وسط رفاق غلاظ القلوب خشنين ؟ رفاق هم

طلبة الجلاد الذى يعرف أسماءهم من قبل .  
جماعة لم يرق لهم قلب ، ولم يستقر لهم سلاح في  
غمد ، ولم يسلس لهم قياد ، اذ يحملون ثارات  
لا تنتهى .

تحضرين لتتولى القيادة في عصابتى - كما  
سيجرى القول وتتناقله الأفواه ؟

يبدو انك لا تعرفين . اعلمى أنى قاطع طريق ،  
وحيثما ينطلق الجميع في إثرى ، بأمر من جميع  
السلطات في أنحاء اسبانيا ، يلاحقونى للقبض على  
فلن يعصمنى منهم الا تلك الغابات الكثيفة والجبال  
الشاخنة الذرى ، والصخور التى لا تطل منها غير  
رووس العقبان . . أرض قطلونية العتيقة ، الأم  
الرووم التى تلتقى ونشأتى . بين أهل الجبال  
درجت وكبرت ، وكلهم أحرار ، شامخون في  
فقرهم ، وكلهم أهل نجدة ، فاذا حمل هذا  
البوق صوتى مستنجدا بهم ومدويا بأصدائه بين  
ربوعهم ، فان ثلاثة آلاف من هؤلاء الشجعان  
يلبون ندائى ويهبون لنجدتى . .

أراك ترتعدين . . فكرى مرة أخرى ، وأمعنى  
النظر ! !

تلحقين بى في الغابات ، والجبال ، والشواطىء  
المهجورة ، وفي صحبة رجال يشبهون العفاريت  
التي تروعك رؤيتهم في الأحلام . .  
تحذرين من كل شىء ، وتتوجسين . .

من النظرات ، من الأصوات . من وقع الخطأ ،  
وتفزعين من الضجيج .

مرقدك العشب ، ومشربك مياه السيول ، وفي  
هدأة الليل وأنت ترضعين طفلا أيقظه الجوع .  
يخرق سمعك أزيز رصاص البنادق . .

تنطلقين على وجهك معى ، منفية ، يتعقبك  
القانون ، ويطاردك رجال الأمن ، وقد يحدث أن  
تجدى نفسك مسوقة الى أن تتبعينى الى حيث أمضى  
في اثر أبى ، الى منصة الاعدام ؟ ؟

دونيا سول : ألحق بك وأمضى معك

هرنانى : اللدوق ثرى ، عظيم المقام ، ويحوطه الخشب  
والازدهاء ، واللدوق ليس في عنقه عهد قطعه  
بأن يثار لأبيه، واللدوق في وسعه أن يفعل كل  
ماتشائين ، واللدوق ، فوق ما تقدم ، سيمنحك  
مع الزواج غنى المال ، ورفاعة الألقاب ، ورغادة  
العيش . .

دونيا سول : نسير غدا جنبا إلى جنب .

هرنانى لا تلمنى على هذه الجرأة العجيبة ! !  
أأنت شيطانى ، أم ملاكى الحارس ؟ ؟ لست  
أدرى ! !

ولكننى أسيرتك وعبدتك ،

أصغ إلى . .

انى أتبعك إلى حيث تريد ، تمكث أو تسير

فانى رهن اشارتك . .

ولماذا أتصرف على هذا الوجه ؟ لا أدري ! !  
ولكننى أدري أننى فى حاجة إلى أن أراك ، وإلى  
أن أراك ثانية ، بل أن أراك دائما ، وحينما  
يتلاشى وقع أقدامك وأنت منصرف ، أحس أن  
قلبى لم يعد ينبض ، وتهتاجنى وحشة اليك ،  
إذ أشعر بفقدك ، فأصبح وكأنى غائبة عن نفسى .  
ولكن ما أن يطرق أذنى من جديد وقع أقدامك  
الذى يطربى سماعه ، حينئذ أذكر أننى  
أعيش ، وأن الروح ترد إلى من جديد ! !

هرنانى : ياملاكى . . .

دونياسول : غدا اذا انتصف الليل ، تعال فى عصبتك تحت  
نافذتى . . هيا . . سترانى ذات بأس وقوة .  
ولا أرهب شيئا . ستدق ثلاث دقات ايندانا  
بمجيئك .

هرنانى : الآن عرفت من أنا ؟

دونياسول : مولاي ، لم يعد يهمنى هذا الأمر ، سألحق بك  
جنباً إلى جنب .

هرنانى : لا . . بما أنك تريد اللحاق بى فى كل مكان  
أيتها المرأة المسكينة ، فيجب أن تعلمى كل  
العلم ، الاسم ، والطبقة ، والروح الذى ينطوى  
عليه كيان الراعى هرنانى ، وأن تعرفى المصير  
الذى سيؤول إليه أمرك . .

قبلت بى قاطع طريق ، أتقبلينى مننيا مطاردا ؟

دون كارلوس : ( يفتح في جلبة باب الخزانة ) متى تنتهي من  
حكى قصتك ؟

أو تظن أن المحبوس في هذه الخزانة يكون في  
راحة ودعة ؟

( يتراجع هرناني خطوة وقد لبسته دهشة أذهلته ،  
وتصدر دونيا سول صرخة فزع ، مرتمة بين  
ذراعي هرناني وقد سمرت عيناها المدعورتان  
في وجه دون كارلوس ) .

هرناني : ( ويده على مقبض سيفه ) من يكون الرجل ؟

دونيا سول : يا الهي . . النجدة

هرناني : صمنا يادونيا سول ، ولا توقظي عيون الحساد ،  
حينما أكون إلى جانبك فأرجو ألا تطلين العون  
من غيري ، مهما يحدث .

( إلى دون كارلوس )

ماذا كنت تصنع هناك ؟

دون كارلوس : أنا ؟ واضح اني لم أكن أستعرض جوادى في  
الغابة ،

هرناني : ان من يسخر باهانة غيره ، يكون أهلا لأن  
يسخر منه .

دون كارلوس : لكل منا دوره . . لتكلم بصراحة ياسيدى ،  
أنت تحب هذه السيدة ، وفي كل مساء تسعى  
أنت إلى هنا ليراعى كل منكما في نظرات

صاحبه فتلتقى هذه النظرات من جانبكما في شبه  
عناق . .

أمر جميل للغاية ، ولا اعتراض لى عليه . .  
الا أنى بدورى أهيم حبا بهذه السيدة . . كما  
أريد أن أعرف من الرجل الذى ألمحه مرارا ،  
وهو يدخل عليها من النافذة ، بينما أبقى أنا  
واقفا على الباب ؟

هرنانى : اعلاء لقدرك أيها السيد ، سأجعلك الآن تخرج من  
حيث كنت ترانى ادخل .

دون كارلوس : سرى . . غير أنى أقدم مشروعا إلى السيدة . .  
أن تجعلنا نتقاسم حبا ، نحن الاثنان . . ألا  
توافق ؟ انى أحبها ، وقد رأيت أن روحها  
الطيب يتفجر عن فيوض من الحب والطية  
والرقة ، مما يجعل السيدة أهلا لأن ترضى . وفي  
هذا المساء ، وقد نويت أن أحقق هذا المشروع  
بعد عرضه عليها ، فاقترحت الطريق إلى هنا ،  
فإذا هم يحسبوننى أنت ، وتواريت مرهفا أذنى  
إلى الاستماع ، ولكننى - ولا أنكره القول . .  
لم أستطع أن أسمع جيدا ما يجرى هنا ، وكادت  
أنفاسى تزهق لضيق المكان ، ورأيت أن ثوبى  
الفرنسى قد تجعد وفقد استواءه وبهائه ، فلم أجد  
بدا من الخروج .

هرنانى : وخنجرى أيضا تضيق أنفاسه بالبقاء في غمده . .

دون كارلوس : ( محيا ) أنا عند ما يروقك



- هرنانى : ( وهو يمتشق حسامه ) خذ حذرك  
( دون كارلوس يمتشق حسامه بدوره )
- دونيا سول : ( وهى ترتدى بين السيفين المشرعين ) هرنانى . .  
أتوسل اليك
- دون كارلوس : تمالكى نفسك ياسيدتى  
هرنانى : ما اسمك ؟
- دون كارلوس : هيه ! ! بل قل لى أنت ما اسمك ؟
- هرنانى : أبقيه سرا لا أبوح به الا لشخص واحد ،  
وسيسمعه وأنا جاثم فوق صدره وقد اخترق  
خنجرى قلبه
- دون كارلوس : إذن ما اسم هذا الشخص الآخر ؟
- هرنانى : وما يعنيك من شأنه ؟ خذ حذرك ودافع عن  
نفسك .
- ( يتلاقي السيفان ، دونيا سول تقع وهى ترتعد فوق  
تكأة ، وفجأة يسمع طرق على الباب الكبير القائم  
في مؤخرة المنظر )
- دونيا سول : هناك من يطرق الباب . . يا الهى ! !
- ( يمسك المتبارزان عن الحركة وتبدو دونيا  
جوزيفا داخلة من الباب الصغير وقد تملكها  
الفرع الشديد )
- هرنانى : ( الى جوزيفا ) من عسى أن يكون هذا الطارق ؟

دونيا جوزيفا : ( الى دونيا سول ) شخص لم يكن منتظرا مجيئه  
ياسيدتى ، انه الدوق ، وقد عاد على غير انتظار .

دونيا سول : ( وهى تمسك يدا بالأخرى ) . . الدوق ؟ ضاع  
كل شيء . . وياالتعاستى !

دونيا جوزيفا : يا للمسيح ! ! الرجل المجهول ! ! سيوف  
ومبارزة . مفاجآت لم تكن تخطر لي بال ! !  
( يرجع كل من المبارزين سيفه الى غمده ،  
ويتدثر دون كارلوس في عباءته كما يرخى حوافي  
قبعته على عينيه ، ويسمع الدق من جديد )

هرنانى : ما العمل ؟

( الدق من جديد )

صوت : ( من وراء الباب ) دونيا سول افتحى

( تخطو دونيا جوزيفا خطوة نحو الباب ولكن  
هرنانى يعترضها )

هرنانى : لا تفتحى .

دونيا جوزيفا : ( وهى تخرج مسبحتها من جيبها ) أيها القديس  
سان جاك ، مولانا ، أنقذنا مما نحن فيه .

( الدق يعود من جديد )

هرنانى : ( مشيرا بيده الى دون كارلوس والى الخزانة )  
فلنختبئ .

دون كارلوس : في الخزانة ؟

هرنانى : ( مشيرا الى بابها ) ادخل ، أتكفل بأن أجعلها  
تسعنا نحن الاثنين .

دون كارلوس : لك جزيل الشكر ، انها أكبر من أن تسعنا .

هرنانى : ( مشيرا بيده الى الباب الخفى ) اذن لنهرب من  
هنا .

دون كارلوس : مساء الخير ، أما أنا فباق .

هرنانى : ستدفع غالبا حين يحىء حسابك ، دمك ورأسك  
( موجهها الكلام الى دونيا سول )  
ماذا اذا حصنت المدخل بالأثاث ؟

دون كارلوس : ( الى جوزيفا ) افتحى الباب .

هرنانى : ماذا تقول ؟

دون كارلوس : ( الى جوزيفا وقد ترددت في فتح الباب ) افتحى  
قلت لك .

( الدق مستمر على الباب ، ففتجه جوزيفا وهى  
ترتعد لتفتح الباب )

دونيا سول : انتهيت ..

### المشهد الثالث

السابقون - روى جوميردى سيلفا

( في لحيته وفي شعره الأبيض وفي بزته السوداء ، ثم أتباع يحملون  
في أيديهم المشاعل وهى مضاءة )

روى جومير : رجال في حضرة ابنة أخى في مثل هذه الساعة من  
الليل !!

ادخلوا جميعكم فالموقف يحتاج الى الاشهاد والى  
الايضاح ، الى المجاهرة بالصوت العالى .

( الى دونيا سول )

قسما بالقديس يوحنا دافيللا ، أننا ثلاثة في هذا  
المكان ، وأقسم بنفسى أن في اثنين منا كفاية  
يا سيدتى !!

( موجهها الكلام الى دون كارلوس وهرنانى )

أيها الفارسان الشابان ما تعملان هنا ؟ في الزمن  
الماضى كان ( السيد ) و ( برنار )<sup>(١)</sup> هذان  
العملاقان اللذان كانت تخضع لهما اسبانيا ، بل  
العالم كله ، كانا يحترمان الشيوخ ويحميان الفتيات  
وكانا من الأبطال ذوى البأس الشديد ، الذين  
يجدون فيما يحملونه من أثقال العدة والسلاح شيئاً  
أنحف من لباس المخمل والحرير . . أقول كان  
هؤلاء الرجال يحترمون الشيوخ ذوى اللحى  
الغبراء ، وكانوا يخضعون لواعج الحب في  
قلوبهم ، لما تقضى به شريعة الكنيسة ، فلا تراهم  
الا ركعا أمام الهيكل ، وفي عقد قران ،  
ولا يخذعون ولا ينجادعون ، اعلاء لشرف الأسرة  
فاذا رغب أحدهم في امرأة أخذها تقية العرص ،  
وفي النهار المبصر ، وأمام كل الناس ، وقد  
أمسك بيده السيف أو الفأس ، أو الرمح .

---

١ - من كبار فرسان قشتاله باسبانيا ومن كبار قادتها .

أما هؤلاء الخبثاء المراءوغون . الذين يركبون  
الليل متسللين الى مقاصدهم الدنيئة وعيونهم  
لا تنقطع عن النظر الى الوراء ، والى كعوب  
أحذيتهم ، ليستوا على شرف الزوجات اللواتي  
غفلت عنهن عيون الأزواج . . فاني أوكد لو أن  
( السيد ) ، وهو سيدنا جميعا ، يعلم أمرهم ،  
لألقى بهم على وجوههم احتقارا لهم ، ولنحى  
عنهم النبل الذي اغتصبوه ، صافعا بالسيف  
شاراته وشعاراته .

هذا - وباللألم الذي أحسه - ما كان يفعله رجال  
الزمن السابق برجال الزمن الحاضر .

تكلمما فيما جئتما من أجله ؟

الآنكما تريان في شيخا فانيا جديرا بأن يضحك  
منه الشباب ويسخروا ؟

أتسخران مني أنا بطل ( زامورا ) (١)

اتضحكان مني اذ ترياني أتعر في شعري الأبيض ؟  
اذا كان الأمر كذلك فلستما انتما على الأقل ،  
اللدان يضحكان في آخر الأمر .

هرناني : أيها الدوق . .

روى جوميز : صمنا . . عجيب أمركم !! بين أيديكم السيف ،  
وتتبارون في التقاط الخاتم بسنان الرمح وتحتكم

---

١ - مدينة في إحدى المقاطعات الاسبانية أكسبتها شهرة معركة حريتان قامت فيها  
احدهما في عام ٩٠١ ، والأخرى ١٠٩٣ .

الحيول تركض . تركبون للصيد تتقدمكم الصقور  
والكلاب المدربة . تقصفون في المآذب . تنشدون  
الأغاني بالليل تحت الشرفات . لكم الريش يزين  
قبعاتكم ، والصديرية من الحرير . ترتادون  
المراقص . تلهون في المركبات . هذا والصببا  
ملء أعطافكم ، والمرح يصطخب في أجسامكم .  
ولكن ما أن ينالكم السأم أيها الفتية حتى تنطلقوا  
بلا تبصر ، وحيثما اتفق ، تبحثون عن العوبسة  
تلهون بها ، وتتخذون من شيخ طاعن في السن  
ألهيّةً لكم !!

آه .. انكم حطمتم هذه الألهيّة ، ولكن الله  
يأبى الا أن يصيب حطامها المتطاير وجوهكم !!  
اتبعاني ..

هرناني : سيلدى الدوق ..

روى جوميز : اتبعاني قلت لكما . اتبعاني ..

أيها السادة هذا الموقف ليس للتندر والضحك !  
ماذا !! هنا في بيتي كتر ثمين .. انه شرف  
فتاة ، وكرامة امرأة وسمعة أسرة . وأنا أحب  
هذه الفتاة وهي ابنة أخي ، ويجب أن تستبدل  
قريبا بنخاتم القران منى ، هذا الخاتم الذي في يدها ،  
لتصبح زوجتي .

اننى أعتبرها عفيفة ونقية ، ومقدسة في نظر كل  
رجل ، وأهلا لاحترامه ، فاذا وقع أن أترك بيتي  
ساعة أنا ( روى جوميز دى سيلفا ) ، فانى

لا أستطيع أن آمن عليها من أن يتسلل اليها لص  
من لصوص الشرف ؟

الى الورياء يا رجالا بلا أرواح وبلا ضمائر . نظفوا  
أيديكم من الدنس ، اذ لا تكاد تمتد الى نساتنا ،  
حتى يصبحن ملوثات .

ولكن فيم يفيد كلامي ! حسن ما انتم عليه  
وتابعوا ما جئتما من أجل سلبه أتريدان شيئا آخر ؟

( وهو ينخلع قلادته من حول عنقه ) إليكما هذه  
القلادة فاهرساها بأقدامكما وأهرسا أيضا هذا  
الوسام ، وسام الفروسية

( ويلقى بقبعته الى الأرض )

واليكما شعري فشداه شدا ، ولوثاه ، كما يجلو  
لكما واجعلا مني أضحوكة . .

وفي وسعكما غدا أن تفخرا في المدينة <sup>(١)</sup> ، بأنه لم  
يسبق من قبل لفسقة مفسدين مثلكما ، أن أتيح  
لهم من أسباب المهاترة واللهم ، مثلما أتيح لكما  
اليوم ، وأن يلوثوا رأسا أنصع بياضا من هذا  
الرأس .

□

دونيا سول : سيدى .

روى جوميز : أيها الأتباع ، أيها الأتباع انى أدعوكم الى أن تقفوا  
الى جانبي وتشهدوا أزرى . هاتوا نى الفأس

١ - مدينة في احدى المقاطعات الاسبانية أكسبتها شهرة معركة حربية قامتا فيها  
احدهما في عام ٩٠١ ، والأخرى ١٠٩٣ .

والخنجر وهاتوا سيفى الطليطلى<sup>(١)</sup>

( الى الرجلين )

اتبعاني أنتما الاثنان .

دوق كارلوس : ( متقدما خطوة ) أيها الدوق ، اعلم أولا أن الموقف ليس كما تقول وتقدره ، ان الأمر — فيما نحن فيه الآن — يتعلق بوفاة مكسيميليان ، امبراطور ألمانيا . ( يلقي بعباءته جانبا ويزيح القبعة عن وجهه )

روى جوميز : أتسخر مني ؟ . . ويا الهى . . الملك !

دونيا سول : الملك ؟

هرنانى : ( وقد التمعت عيناه ) ملك اسبانيا .

كارلوس : نعم كارلوس . ما هذا يادوق ! هل فارقك

حسن الادراك ؟ جدى الامبراطور توفي . ولم يبلغنى نعيه الا هذا المساء ، فبادرت لأطلعك عليه بنفسى ، أيها التابع الأمين ، نظرا الى حبي اياك ، ثم لكى أستهدى بنصائحك ثم . . ثم كان أمرا لازما أن أجيء اليك متخفيا وفي الليل .

فالأمر ، كما ترى ليس بنذى بال ولا يستأهل كل هذه الضجة التى أثارها !! ( يصرف روى جوميز أتباعه بإشارة ثم يقترب من دون كارلوس . هذا

---

١ - نسبة إلى مدينة ( طليطلة ) وكانت لها شهرة فى صنع السيوف .



بينما بقيت دونيا سول في مكانها تحد وجه بنظرات  
ملوؤها الفزع والدهشة . أما هرناني فبقي في ركن  
يغطي دون كارلوس بنظرات من نار )

روى جوميز : اذن ولم تأخرتم كل هذا التأخير في فتح الباب ؟

دون كارلوس : لم تأخرنا !! لانك جئت في حرس كبير .  
وحيثما يكون مجيئي الى قصرك لتناول سر من  
أسرار الدولة ، أكون من اللائق أن يقف خدمك  
عليه ؟

روى جوميز : يا صاحب السمو سامحي ، فالمظاهر ..

دون كارلوس : أيها الأب الطيب اخترتك محافظا على قصر  
( فيجير ) ولكنني لا أدري من اختاره الآن  
ليحافظ عليك !!

روى جوميز : أرجوك الصبر ..

دون كارلوس : يكفي . ولنمسك عن الكلام في هذا الأمر . أقول  
أن الامبراطور توفي .

روى جوميز : أليس هو جدكم أيضا يا صاحب السمو ذاك الذي  
توفي ؟

دون كارلوس : وها أنت ذا تراني الآن يا دوق والألم يفيض بي .

روى جوميز : ومن سيخلفه ؟

دون كارلوس : يتحدثون عن ترشيح دوق ساكس ، وهناك  
منافس آخر ، فرنسوا الأول ملك فرنسا .

روى جوميز : وأين يجتمع ناخبوا الامبراطور ؟

دون كارلوس : اختاروا ، فيما أظن ، مدينة ( ايكس لا شيبيل )  
وقد يجتمعون في مدينة ( سير ) أو ( فرانكفورت )

روى جومير : وملكينا — حفظه الله وأطال أيامه — ألم يفكر في  
أمر هذه الامبراطورية ؟

دون كارلوس : لم أنقطع يوما عن التفكير فيها .

روى جومير : سيؤول أمرها اليك .

دون كارلوس : أعرف هذا .

روى جومير : والدك كان أرشيدوق النمسا ، فلن يغيب عن  
أذهان الناس بالامبراطورية انه جدكم هو من  
يلف الآن بالكفن ، بعد أن خلع بزة الحكم  
الأرجوانية .

دون كارلوس : وفوق هذا فاني من مواطني مدينة ( جاندا )

روى جومير : في مستهل صباى شاهدت جدكم ، وأنا وحدى  
الآن من تبقى من جيل قدمات ناسه ، أقرر أن  
جدكم كان امبراطورا عظيما وحازما ،  
وأسفاه . .

دون كارلوس : ( منساقا مع خياله ) ستقف روما إلى جانبي . . .

روى جومير : وكان شجاعا صلب الارادة في غير تعسف ومن  
غير أن ينزل ظلما بأحد ، كان من ألبق الرؤوس التي  
علت الجسم الجرمانى القديم ، وساست أموره .  
كم أرثى لك اذ أراك — وأنت مازلت في مقتبل  
العمر — تحمل ارزاء هذه المحنة .

دون كارلوس : ( متابعا خياله ) البابا يريد أن يعود إلى بسط كفه  
على صقلية . . ولكن هيهات فانها لى . ويزعم  
انه لا يمكن للامبراطور أن يحتفظ بهذه الجزيرة .  
ولكن إذا وقع ووافق على تنصيب امبراطورا ،  
فسأكون ملزما — بحكم طاعة الابن لأبيه — بأن  
أعيد اليه أيضا نابلي !!!

لنستولى أولا على الامبراطورية يزين مفرقها شعار  
النسر ، ثم لنر بعد ذلك هل نترك له أن يقص  
ريش جناحيه .

روى جومير : كم سيسعد سلفك الراحل إذ يرى جبينك الواسع  
ينزل فيه تاجه الكبير ويستقر .

ايه يامولاى .. معك سنبكي سويا ذلك الامبراطور  
الطيب الشديد التمسك بشعائر الكنيسة !!

دون كارلوس : ( يناجى نفسه على حدة ) حق ان قداسة البابا  
لرجل حذق ومهارة !!

فما هي صقلية ؟ انها جزيرة مدلاة من احد  
أطراف مملكتى . نعم هي جزيرة صغيرة ،  
أشبه ما تكون بخرقة ، أو قطعة مهلهلة من ثوب ،  
هي تكاد ترتبط باسبانيا بنحيط رفيع ، وتعلق  
بجوارها ..

وينخيل إلى أنه سيسألنى « ما عساك أن تفعل يابنى  
بهذه الجزيرة الحدباء التى شدت بنحيط إلى  
أطراف امبراطوريتك ؟ ان امبراطوريتك ،

ولا شك غير متناسقة الأقسام والأحجام ..  
تعالى سريعا الىّ ومعك المقص ولنصلح الأمر .  
ايه أيها الأب الأقدس ، شكرا لك ! !  
ولكن اعلم ، انى إذا وافانى الحظ السعيد ،  
فانى من هذه الخرق الصغيرة المهلهلة سأضم  
أرضا جديدة إلى الامبراطورية المقدسة ، توسع  
من رقعتها . وإذا حدث أن انتزعت منى هذه  
الشرائح من جزر أو دوقيات ، عمدت الى  
ترقيع جوانب دولتى بأشباه لها .

روى جومير : لتعزفنى السماء امبراطورية تضم الاخيار  
والصالحين ، وفيها يرى الموتى وقد تألقوا قداسة  
ومجدا ا

دون كارلوس : هذا الملك فرنسوا الأول طموح وطمّاع ! !  
ما ان توفى الامبراطور الشيخ ، حتى أسرع  
يتطلع بعينه إلى الامبراطورية ويرمقها بنظرات  
محب وامق ! ! عجباً ! !

أليست له فرنسا العريقة في مسيحيتها وتقواها  
آه . . . ولكنّ الصفقة في الحق مغرية وأهل لأن  
يُسْتَحْوَذَ عليها . كان جدى الامبراطور يقول  
للملك لويس : « لو كنت الرب الأب ، وكان  
لى ولدان ، لجعلت الأكبر منهما ربا ، ولجعلت  
من الآخر ملك فرنسا »

( موجه الكلام إلى روى جومير )

أو تظن انه في وسع فرنسوا ان يحقق أمله في  
نيل الامبراطورية ؟

روى جومير : ازدان جبينه أخيرا بانتصارات حربية .

دون كارلوس : لكى يتحقق له ما يريد ، ، يجب أن تغير الأمور  
من طبيعتها ، لأن بقانون الانتخاب شرطاً يحرم  
انتخاب أجنبي ...

روى جومير : ولو أجرى تطبيق هذا الشرط يامولاي ، فأنت  
بدورك ملك اسبانيا ...

دون كارلوس : انى من مواطنى مدينة ( جاندا )

روى جومير : حملته الأخيرة في ايطاليا وانتصاره فيها رفعتنا  
من شأن الملك فرنسوا .

دون كارلوس : النسر الذى ربما يستقر شعاره في أعلى خوذتى ،  
يستطيع أن ينشر جناحيه ليكتسب انتصارات  
حربية .

روى جومير : سموكم ، هل يعرف اللاتينية ؟

دون كارلوس : معرفة ناقصة .

روى جومير : خسارة ، فان نبلاء ألمانيا يميلون إلى أن يخاطبوا  
باللاتينية ، وهى اللغة الرسمية .

دون كارلوس : بل سيقنعون بأن يخاطبوا بلغة اسبانية مترفعة ..  
ان الذى يهم في مخاطبة الناس — وصدق ما  
ما يقوله لك الملك كارلوس — هو أن ترفع  
الصوت مجلجلا قاطعا ، ولا يهم أمر اللغة التى  
تخاطبهم بها .

سأسير إلى الفلاندر .. يجب أن يعود اليك الملك  
امبراطوا ، ياعزيزى . « سليفيا » ، سيثير ملك  
فرنسا متاعب كثيرة ، ولكننى سأخذه بسرعة  
المبادرة ..... سأسافر بعد قليل ..

روى جومير : تفارقنا يامولاي قبل أن تقضى على هؤلاء  
الصوص وقطاع الطرق وهم يعيشون فسادا في  
الأراجون بعد أن شمخوا بأنوفهم في أعلى  
الجبال ؟

دون كارلوس : سأصدر أمرى إلى دوق ( أركوس ) بالقضاء  
على هذه العصابات .

روى جومير : ورئيسهم ؟

دون كارلوس : ومن يكون هذا الرئيس ؟ وما اسمه ؟

روى جومير : أجهل كل هذا ، ولكننى سمعت أنه رجل  
شديد المراس .

دون كارلوس : لا يهم .. أعرف الآن أنه مختلف في ( جاليس )  
ومن الحزم أن أسير إليه حملة من الجند تقصفه  
في وكره .

روى جومير : لا بد أنها اشاعات لا نصيب لها من الصحة  
وقد تواترت بأنه يحوم على مقربة من هنا .

دون كارلوس : نعم انها اشاعات كاذبة .. ستضيفنى الليلة في  
قصرك ؟

روى جومير : ( وقد أحنى هامته حتى قاربت رأسه وجهه ،  
الأرض ) شكرا يا صاحب السمو :

( مناديا يا خدمه )

أدوا واجب الشرف كله في خدمة ضيفي الملك  
( يدخل خدم يحملون المشاغل ويجري السدوق  
تنظيمهم بحيث يملؤون مؤخرة المسرح حتى الباب  
الكبير في صفين متقابلين ، وفي أثناء ذلك تقرب  
دوينا سول من هرناني ، وان كانت نظرات الملك  
تلاحقها في كل مايدر منهما )

دوينا سول : ( بصوت منخفض الى هرناني ) غدا تحت  
نافذتي ، عند منتصف الليل فايك أن تتأخر ،  
ثم تصفق ثلاث مرات

هرناني : ( بصوت منخفض ) غدا

دون كارلوس : ( على انفراد ) غدا ! !

( ثم يرفع صوته وهو يتقدم نحو دوينا سول في  
لطف وأدب )

اسمحي لي أن أمد يدي اليك لأسير بك الى مخدعك  
( تمد يدها ويسير هو بها نحو الباب لتخرج منه )

هرناني : ( ويده في صدره يتحسس خنجره ) ياخنجري

الأمين .

دون كارلوس : ( وهو يتجه منفردا نحو هرناني ) رجلنا أراه

منقبض الوجه ( وقد اقترب من هرناني ) شرفتك  
بأن جعلت سيفي يلمس سيفك يا سيدي . واني  
لشديد الارتياب فيك لاسباب عدة ، ولكن  
الملك كارلوس يأنف من الغدر والخيانة. انطلق ،

وسأتنازل أيضا بحماية خروجك .

روى جومير : ( يكون قد انتهى من اعداد الخدم في صفيين ،  
وعاد نحو الملك فيشير بيده نحو هرناني ) ومن  
يكون هذا السيد ؟

دون كارلوس : سينصرف . . انه أحد أتباعي .

( يخرج جميع الخدم يتقدمهم الملك يتبعه الدوق  
وفي يده مشعل )

هرناني : ( على انفراد ) نعم من أتباعك أيها الملك . . من  
أتباعك ! !  
اني لكذلك .

ففي الواقع انني ، ليل نهار وخنجري ملء يدي ،  
أمضى مرسما خطاك الواحدة بعد الأخرى ،  
وعيني لا تفارق أثرك ! !

ان حسبي ودمي يطاردان فيك حسبك ودمك  
ثم ها أنت ذا أصبحت منافسي وغريمي ! !  
مرت بي لحظة كنت أتأرجح فيها بين الحب  
والبغضاء اذ لم يكن قلبي يتسع لك ولها ويشغل  
بكما . .

بل نسيت في حبي لها حقدي عليك . .

ولكن بما أنك أردت أن تذكرني من أنت ، بل  
جئت بنفسك تحيي هذه الذكرى ، وهذا جد  
جميل ، فليكن لك ماتريد . . انني أذكر الآن  
كل شيء ، وضعت حبي اياها في احدي كفتي



ميران ، أمام حقدى عليك ، فاذا كفة الحقد  
ترجح الكفة الأخرى .

نعم أنا من أتباعك . . أنت نفسك الذى قاله  
حسن جدا . . اعلم اذن أنى في اقتفاء أثرك  
ومتابعة سيرك أشد حرصا وأبعد مواظبة مسن  
المرائى الذى يتملقك ، ومن السيد الذى يقبل  
ظلك طمعا في رفقك ، ومن رئيس الخدم الذى  
يلاحقك وقد أفرغ قلبه من كل شيء لتحل أنت  
فيه محل الرب ، ومن الكلب الذى ألف أن يلاحق  
الملك أينما مشى . ان ما يطمع فيه ، كل عظماء  
قشتالة ، لا يتجاوز أمره الألقاب الجوفساء ،  
اللعب البراقة ، القلائد اللامعة تحيط بالأعناق .  
أما أنا ، فلم يبلغ بي العتة ، أن اكتفى منك بتحقيق  
هذه الرغبات التافهة . ان ما أريده منك ليس منحا  
سخية تجود بها . .

ان ما أريده انما هو روحك الذى يسكن بدنك ،  
الدم الذى يتدفق في عروقك . هو كل ما يمكن  
أن ينزعه الخنجر الثائر وقد أوغل في اختراق  
القلب وغاص في سويدائه . .

ان الانتقام الذى يشاركنى السهر ، يرافق دائما  
خطوى ، ويهمس دائما في أذنى . .

سر أمامى . فأنا في اثرك أراقب وأتمسح في غير  
جلبة -

خطاى تبحث عن خطوك وتقتفى أثرها . .  
فى النهار لا تملكك أيها الملك ، أينما وليت  
وجهك ، الا أن ترانى رأى العيان فى حفلاتك  
ومواكبك . . .

واذا جن الليل ، فلا منصرف لنظراتك ، أيها  
الملك ، من أن ترى عيني ، وهما يشتعلان  
وتتقدان خلفك ( يختفى من الباب الصغير )

( ستار )

\* \* \*

## الفصل الثاني

### قاطع الطريق

في مدينة سرقسطة

ساحة في فصر سيلفا . إلى اليسار تبدو في الليل جدران القصر  
شامخة متماسكة ، وتتراعى في أحد الجدران نافذة تؤدي إلى شرفة ،  
وفي أسفل الشرفة باب صغير .

وإلى اليمين ، وفي مؤخرة منصة التمثيل ، تتراعى منازل ، وطرق  
هنا وهناك . وفي واجهات المباني المحيطة بالقصر ترى نوافذ ما برحت  
مضيئة .

## المشهد الأول

( دون كارلوس - دون سانشو سانشيردي روينجا - كونت دي  
موتيري - دون ما تياس سانتوريون - ماركيدي المونان - دون  
ريكاردو دي روكاس - سنيور دي كازابالما » يقدون أربعة ، وعلى  
رأسهم دون كارلوس ، وقد أرخى الجميع قبعاتهم ، وتلففوا في  
عباءات طويلة ، ترفع سيوفهم أطرافاً من ذيولها » )

دون كارلوس : ( وهو يتفحص الشرفة بنظراته ) تماما - هذه  
هي الشرفة ...

وهذا هو الباب . آه يثور بي دمي !!

( وهو يشير إلى النافذة المطلة على الشرفة )

- ما برحت مظلمة حتى الآن  
( ثم يتابع بنظرة النوافذ المضيفة )  
الضوء في كل مكان ، فيما عدا النافذة التي  
أريده فيها !!
- دون سانشو : فلنتابع الحديث يامولاي عن ذلك الخائن . تقول  
انك تركته يمضى بسلام !
- دون كارلوس : كما تقول
- دون ماتياس : ولعله يكون قائدا قطاع الطريق .
- دون كارلوس : ليكن القائد أو القائم بأمرهم ، انى ماشاهدت حتى  
بين حملة التيجان رأسا يشمخ كبرياء مثل رأسه .
- دون سانشو : ما اسمه يامولاي ؟
- دون كارلوس : ( دون أن يحول نظره عن الشرفة ) مونوز ..  
فرنان ( في حركة من تذكر أمرا فجأة )
- دون سانشو : لعله هرنانى ؟
- دون كارلوس : نعم .
- دون سانشو : هو بعينه .
- دون ماتياس : اذن فرئيسهم هو هرنانى ؟
- دون سانشو : ( للملك ) أما زلت تذكر شيئا من كلامه ؟
- دون كارلوس : ( وهو لم يحرك نظره عن النافذة ) لم يصل إلى  
سمعى شىء وأنا في تلك الخزائنة الملعونة
- دون سانشو : أعجب لماذا أطلقت سراحه ، وقد كان بين  
يديك ؟

دون كارلوس : ( وقد استدار نحو نحو محادثه في وقار ، ثم حدجه  
بنظراته وجها لوجه ) انك تقف منى موقف  
المحقق ؟

( يتراجع دون سانشو )

ومع ذلك فلم يكن هو من يشغل بالى ويستأثر  
باهتمامى . كنت أريد عشيقته ، ولم أكن أطلب  
برأسه . .

آه انى بها لفتون ، وأكاد أجن بهذه العيون  
السود أحلى وأقن ما تكون بين العيون ! !  
ايه أيها الأصدقاء .. عيناها ؟ تصوروا مرآتين  
صافيتين !

شعاعين من نور !! مصباحين يتوهجان ..

أقول انه لم يصل إلى سمعى ، من كل حديثهما ،  
غير هذه الكلمات الثلاث : غدا ، تعال ، بالليل .  
وهذا هو كل ما يهمنى في الأمر .

أليس أمرا طريفا ومستغربا ما وقع ؟ بينما كان  
قاطع الطريق ذو الوجه الوسيم ، قد تأخر عن  
موعد حضوره لانشغاله بازهاق روح ، أو  
بجر رمس أجمى أنا مفاجئا ، وأتسلل في لطف  
إلى عش حمامته ؟

دون ريكاردو : كان الأجدر بانهاء هذه المغامرة ، قتل النسر  
لانتراع الحمامة من العش

- دون كارلوس : ( يا كونت ) . اليك نصيحة ذات بال فتدبر  
أمرك .. ان لك يدا سريعة في الخطف
- دون ريكاردو : ( وقد انحنى نحو الأرض ) ما اللقب الذي يروق  
للملك أن يحمله الكونت ؟
- دون سانشو : ( متدخلا ) وموجها كلامه إلى دون ريكاردو (   
هذا لقب سقط سهوا
- دون ريكاردو : ( محتجا ) خلع الملك على لقب كونت .. وقضى  
الأمر .
- دون كارلوس : كفى . كفى . ( الى ريكاردو ) .. حسن .  
تركت هذا اللقب يسقط مني فالتقطه .
- دون ريكاردو : ( مبالغة في انحناءة أخرى ) شكرا يامولاي .
- دون سانشو : ( الى دون ما تياس ) ياله من كونت !! كونت  
صدفة !!
- ( الملك يزرع مؤخرة المنصة وهو يتفحص في  
قلق النوافذ التي ينبعث منها الضوء ، هذا بينما وقف  
الشريفان السابق الذكر في مقدمة منصة التمثيل
- دون ماتياس : ( الى دون سانشو ) ولكن ما عسى أن يصنع  
الملك بالحسنة بعد أن يستولى عليها ؟
- دون سانشو : ( وهو مازال يلاحق دون ريكاردو بنظراته )  
يصنع بها كونتيسة ، ثم وصيفة شرف . فاذا  
أنجبت ولدا فسيصبح ملكا في المستقبل ..

دون ماتياس : ماذا تقول ؟ ابن سفاح يمكن أن يصبح كونتا .  
وقد يغدو صاحب سمو ، ولكنه أمر متعذر كل  
التعذر أن يجيء من أحشاء كونتيسة .

دون سانشو : اذن يجعل الملك منها مركيزة . . يا عزيزى المركيز

دون ماتياس : انهم يحتفظون بأولاد السفاح لتولى امارات البلدان  
التي يقهرونها ، يولونهم أمرها بأسماء ( نواب  
الملك ) انهم لا يصلحون الا لمثل هذا الأمر

دون كارلوس : ( وهو يمشى الى المقدمة بعد أن يقذف بنظرات  
غاضبة ما تبقى من نوافذ يشع منها النور ) ألا  
يصح القول أن هذه النوافذ التي تطل علينا أشبه  
ما تكون بعيون يواظظ تشتعل بنار الغيرة ؟  
أخيرا انطفأ النور في نافذتين . . هيا أيها السادة  
ما أمض واطول فترات الانتظار !!  
الا يوجد من يستحث الساعة على أن تسرع في  
المسير ؟

دون سانشو : هذا ماتقوله أحيانا اذ نكون في حضرة سموكم !

دون كارلوس : وهذا ما يكرر قوله شعبي حينما يجتمع بكم !

( ينطفىء النور في النافذة الأخيرة )

انطفأ النور في النافذة الأخيرة

( يتجه نحو شرفة دونيا سول التي ما برحت غارقة  
في الظلام ) أيتها النافذة الملعونة . . متى سـطـع  
فيك النور ؟

ان الظلام دامس في هذه الليلة ، ولكن طلعة دونيا  
سول ستبدده ، كما يفعل النجم المنير .

( ملتفتا الى ريكاردو )

كم الساعة ؟

دون ريكاردو : سيتصف الليل بعد قليل .

دون كارلوس : يجب أن نفرغ من هذا الأمر ، فان الآخر قد  
يفاجئنا بحضوره في آة لحظة .

( يسطع النور من نافذة دونيا سول ويبدو ظلها  
مرتسما على زجاجها ) أيها الأصدقاء . اشتعل  
المصباح في حجرتها ، وها هو ذا ظلها ينطبع على  
زجاج النافذة ، ما رأيت صباحا يولد في مثل هذه  
البهجة . لنسرع ولنرها الاشارة التي تنتظرها .  
يجب أن أصفق ثلاث مرات وما أن تنقضي لحظة  
بعد ذلك ، حتى ترونها يا أصدقائي ، ولكن ربما  
يفزعها أن ترانا مجتمعين . هيا ثلاثة منكم يسترون  
في الظلام هناك ، وعليهم أن يترصدوا القادم  
الآخر . أيها الأصدقاء لنقتسم العاشقين . . لى  
السيدة ، ولكم قاطع الطريق .

دون ريكاردو : لك عظيم الشكر .

دون كارلوس : فاذا جاء الآخر فاخرجوا اليه سراعا من الكمين  
وخذوه بأطراف سيوفكم في رفق ، فاذا ما  
استعاد صوابه وهو ملقى على الأرض ، أكون أنا قد  
هربت بالحسنة .. وسنضحك كثيرا بعد ذلك .



ولكن حاذروا أن تقتلوه ، انه رجل مقدام قبل أى اعتبار ، هذا فضلا عن أن ازهاق روح إنسان ، أمر بالغ الخطورة ( ينحى الثلاثة ويخرجون ويصفق دون كارلوس مرتين بمجرد أن ينحفي السابقون )

وتنفتح النافذة وتظهر دونيا سول<sup>7</sup> بالشرقة )

## المشهد الثاني

دون كارلوس - دونيا سول

دونيا سول : ( في الشرقة ) اهذا أنت ؟ هرنانى

دون كارلوس : ( منفردا ) يا للشيطان ! فلنصمت

( يصفق للمرة الثالثة )

دونيا سول : سأحضر .

( تغلق دونيا سول النافذة فينطفى النور بالحجرة ، وبعد لحظة قصيرة يفتح الباب الصغير وتخرج منه دونيا سول وفي يدها مصباح وعلى منكيها معطف ) هرنانى ..

( دون كارلوس وقد أرخى أطراف قبعته على وجهه يتقدم مسرعا اليها ) ويلي .. هذه ليست خطاه !

( يسقط المصباح من يدها وتحاول الرجوع الى الباب ولكن دون كارلوس يهرع نحوها ويمسكها من ذراعها )

- دون كارلوس : دونيا سول .
- دونيا سول : وهذا ليس صوته !! ا لشقوتى !
- دون كارلوس : وأى صوت يجيء فياضا بالحب أكثر من هذا الصوت تريدین سماعه ؟ انه صوت عاشق متيم ، وهذا العاشق المتيم ، هو الملك
- دونيا سول : الملك !!
- دون كارلوس : اشتهى ما تريدین . . مرى . ان مملكة بأسرها طوع أمرك : ان الذى تصدين عنه ، هو الملك مولاك ، وهو كارلوس عبدك .
- دونيا سول : ( وهى تملص بين ذراعيه وتحاول الفكاك )  
النجدة هرنانى . . .
- دون كارلوس : انه خوف مشروع وجدير بك ، ولكن الذى يمسك بك الآن قاطع الطريق . وانما هو الملك .
- دونيا سول : كلا ، بل قاطع الطريق أنت . ألا تستحى مما تفعل ؟ انى لأحمر خجلا بالنيابة عنك . أهذه احدى المآثر التى يطيب للملك أن تدوى أخبارها بين الناس ؟ يركب الملك الليل متسللا ليسطو على امرأة على كره منها ؟؟ ان لصى خير منك مائة مرة . وانى لأجهر أيها الملك بالقول . لو أن المرء نزل حيث توّهله سجايا نفسه ، لو ان الله يضع الناس درجات بما يسكن قلوبهم من السمو والترفع اذن لكان هو الملك ، ولكنك أنت أيها الملك ، قاطع الطرق :

هون كارلوس : ( وهو يحاول أن يجتنبها نحوه ) سيدتى  
دونيا سول : أنسيت أن والدى من النبلاء وكان كونتا  
دون كارلوس : سأجعل منك دوقة .  
دونيا سول : ( وهى تدفعه بعيدا عنها ) أمسك . . ان ماتأيسه  
هو العار .

( تراجع خطوات )

لا يمكن أن يقوم بيننا شيء يادون كارلوس . ان  
والدى الشيخ بذل أنهارا من دمه في سيلك ، وانى  
لفتاة نبيلة ، وبهذا الدم أعتز وعليه أغار . وهو  
يجعلنى أرفع من أن أكون لك خلية . وأقل من  
أن أصبح زوجا لك .

دون كارلوس : اجعل منك أميرة .

دونيا سول : أيها الملك كارلوس ، هذه المعابث الصبوية  
أبقها لفتيات الهوى . والافني وسعى أن أريك  
انى سيدة ، وانى امرأة اذا تماديت في جرأتك  
ولم تحفظ على كرامتى

دون كارلوس : حسن تعالى وكونى شريكة لى في تاجى وفي اسمى  
تعالى ستكونين ملكة . . . امبراطورة .

دونيا سول : لا . . هذا اغراء خادع . . طعم لاصطياد السمك .  
وفوق هذا ، فاعلم يا صاحب السمور ، أنه اذا  
وجبت المصارحة ، لقلت لك - ولو لم أعنك أنت  
بالذات - انى لا أبغى أحدا غير هرنانى ، فهو  
مليكى ، ومعه أوثر أن أهيم على وجهى طوال

العام وأنا خارجة على القانون ولا سلطان لأحد.  
على ، أتمرس بالجوع والعطش ، وأقسامه حظه  
العائر بين الالهمال والحرب ، والنفي ، والفاقة  
والجزع ، أوثر أن أكون معه بكل هذا ، على أن  
أكون امبراطورة تجلس الى جانب امبراطور

دون كارلوس : شد ما هو سعيد هذا الرجل !!

دونيا سول : حتى وهو فقير ومطارد ؟

دون كارلوس : ما أسعد ما يكونه الفقير المطارد اذ يحس أنه  
محبوب ومرغوب فيه !!

أما أنا فوحيد ، هذا في حين أن ملاكا كريما  
يرعاه ويسير الى جانبه . . يبدو انك تبغضيني

دونيا سول : لأحبك .

دون كارلوس : ( وهو يشد على ذراعها ) اسمعي . . تحبيني أو  
تبغضيني ، هذا أمر لم أعد أهتم به ستمضين معي ،  
ان يدي أقوى من يدك . ستصبحيني لانني أريدك .  
وسترين جيدا اذا كنت حقا ملك اسبانيا والهند ،  
ولى السلطان كله . . .

دونيا سول : ( وهي تحاول أن تملص من قبضته ) مولاي .  
أناشدك الرأفة . ماذا ؟

أنت صاحب سمو وصاحب جلالة ، وملك  
يدك نبيلات ، دوقات ، مركيرات ، وكونتيسات ،  
وما عليك الا أن تختار من بينهن من تشاء ، هذا  
وسيدات القصر كلهن ، وفي كل وقت .

متحفزات على أن يبادلنك حبا بحب . ولكن  
طريدى . . ما حظه من القدر الضنين ؟

آه لك قشتالة ، والأراجون ، ونافارا ، ومورسيا  
وليون . . مع عشر ممالك أخرى . لك القلمنك .  
والهند ، بما فيها من مناجم الذهب ، لك  
الامبراطورية الشاسعة التي لا تغيب عنها الشمس ،  
والتي لم تنهياً لعاهل من قبل ، فهل تريد ، على  
كل ما تملكه أنت الملك القادر - أن تنزعني  
منه ، أنا الفتاة المسكينة ، في حين أن ليس له أحد  
سواى ؟

( ترتمى جاثية على ركبتها في حين أن الملك  
يحاول أن يشدها لتسير معه )

دون كارلوس : سيري معى . لن أستمع لشيء مما تقولين . . سيري .  
إذا صاحبتي جعلتك تختارين أربعاً من مقاطعاتي  
الاسبانية أهبها لك . قولى أيها تريدين ؟  
( وهى تتقلب بين ذراعيه )

دونيا سول : لا أخذ منك شيئاً سوى هذا الخنجر يامولاى  
لأدافع عن شرفي .

( وتنزع الخنجر المعلق في حزام سترته فبتركها  
مراجعا خطوة )

تقدم نحوى الآن . . اخط خطوة واحدة . .

دون كارلوس : لاجب في أن تتدلى بثائر عاص ؟

( يحاول أن يتقدم نحوها خطوة فتشرع الخنجر  
عاليا في يدها )

دونيا سول : ان خطوات قتلتك وقتلت نفسي .

( يتراجع خطوة بينما هي تستدير ناحية وتصيح )  
هرنانى . . هرنانى .

دون كارلوس : اصمتى .

دونيا سول : ( والخنجر مشرع في يدها ) خطوة واحدة وينتهى  
كل شيء .

دون كارلوس : سيدتى أمام هذا التمرد ، لم يبق مجال للتلطف معك  
هناك ثلاثة من أتباعى وفي وسعهم ارغامك على  
ما أريد

هرنانى : ( وقد ظهر فجأة من وراء الملك ) نسيت واحدا  
آخر .

( يستدير الملك فىرى هرنانى وقد وقف لا يبدى  
حراكا ، مشبكا ذراعيه فوق صدره وقد لفته  
عباءة واسعة ، وارتفعت حوائى قبعته فظهر وجهه  
واضحا وتبدر من دونيا سول صرخة ثم ترمى  
بين ذراعيه )

## المشهد الثالث

دون كارلوس - دونيا سول - هرنانى

هرنانى : ( فى هيئته السابقة الذكر وقد صوب نظراته البراقة  
نحو الملك ) وتشهد السماء أننى كنت أجد فى طلبه

في كل مكان ، وها هو ذا في منال يدي !!

دونيا سول : هرناني انقذني منه .

هرناني : اطمئني يا هواي .

دون كارلوس : وماذا يفعل أصدقائي هناك في المدينة ، وكيف

يتركون الزعيم البوهيمي يدخل على !!

( مناديا ) مونتيري

هرناني : جميع أصدقائك تحت سلطان رجالي ، فلا تستنجد

بسيوفهم العاجزة . لولبي نداءك ثلاثة منهم .

فان ستين من أعوانى سيفدون اذا دعوت .

والواحد منهم يوازي أربعتكم . لنته من تصفية

حساب هذا النضال . ما هذا ؟ ترفع يدك على هذه

الشابة !! لا يجرؤ على اتيان هذه الفعلة غير

الأحمق ، غير الجبان ياملك قشتالة .

دون كارلوس : ( مبتسما في ازدياء ) أيها المولى قاطع الطريق . .

ليس لمثلك أن يتوقع بلوم على مثلي .

هرناني : هو يسخر !! لست ملكا ، ولكن اذا أهانني

ملك وسخر مني ، فان غضبي يرفعني ويطيئ من

قامتي بحيث تعلو قامته . ثم حذار ، فان من

يهينني يفرع من روية احمرار جيبني أكثر مما

يخاف الشعار على خوذة الملك وانك لمعتوه اذا

راودك الأمل في انك ستخلص من يدي .

( ممسكا بذراع دون كارلوس )

أتعرف صاحب اليد التي تمسك بك الآن ؟ أصغ

إلى ، قتل أبوك أبي فأنا أبغضك . وسلبتني لقبى

وثروتى فأنا أبغضك.. وكلا نأمدله نى حب امرأة واحدة  
فأنا أبغضك. أبغضك. نعم أبغضك من كل جوانحى

دون كارلوس : عظيم . . .

هرنانى : نسيت حقدى عليك تلك الليلة ، ولم يكن يملأ

نفسى غير رغبة واحدة وشوق واحد ، ولم أكن  
أهتم الا بأمر واحد . . أن ألقى دونيا سول .

كان الحب — وهو ملء جوانحى — يدفعنى دفعا  
الى هذا المكان . ولكن — ويا عجباً — أفاجئك  
وأن تحاول أن تنال منها أمرا مشينا !!

يا لله . . ما هذا الذى يجرى !! كنت قد نسيتك  
فاذا بى أيها المولى أتعثر بك فى طريقى .

ها أنت ذا تقع فى شرك لا منجاة لك منه ، ولن  
يفيدك للخلاص منه صراخ واستنجد . أنت الآن  
فى قبضة يدي وحيدا منفردا ويحاصرك أعداء  
من كل صوب . فما أنت صانع ؟

دون كارلوس : ( بكبرياء ) أتسألنى أنت ؟

هرنانى : كن مطمئنا فلن أكل أمر عقابك الى ذراع خامل

مجهول ، ولن أضيع على انتقامى بأن ينالك أحد  
غيرى . . دافع عن نفسك .

( يشهر هرنانى سيفه )

دون كارلوس : انى الملك مولاك . اطعن اذا شئت ، ولكن لن

تقوم مبارزة بينى وبينك .

هرنانى : تذكر أن سيفى قارع سيفك أمس



دون كارلوس : كان ذلك في الأمس ، إذا كنت أجهل اسمك ،  
و كنت أنت تجهل اسمي ومررتي ، أما اليوم أيها  
الرفيق ، ، فكلانا يعرف الآخر

هرنانى : ربما

دون كارلوس : لا مبارزة .. اقتلى .. تقدم !!

هرنانى : أو تحسب انى ممن يرون في الملوك قداسة تعصمهم  
من كل شيء؟ لا .. دافع عن نفسك

دون كارلوس : لك أن تقتلى .

( يتراجع هرنانى الى الوراء تحديق به نظرات نسر  
من جانب دون كارلوس ) واها لكم ياقطاع  
الطريق !! أو تحسبون أنه في وسع عصاباتكم  
الشريرة أن تزرع الاثم في البلاد ، وتثير الرعب ،  
وتعتدى ، وهى تقتل وتنهب ، من غير أن ينزل  
بها القصاص ؟ ثم يحلو لها بعد ذلك أن تتعاطى  
مظاهر النبيل ، وتطلب الينا نحن من كنا هدفا  
لاعتدائهم ، ان نشرف خناجرهم بأن تقارع  
سيوفنا !! لا ، لن يكون هذا ، ان الجريمة تدمغ  
جباهكم .. أينما ذهبتم !

لا . لن تقوم مبارزة .. الى الوراء .. أو اقتل .  
( يريد وجه هرنانى ، وقد أخذ برهة إلى  
التفكير ، وإلى مداعبة قبضة سيفه ، ثم يستدير  
فجأة نحو الملك ويكسر سيفه أمامه )

هرنانى : اذهب .

( يستدير الملك نصف استدارة نحو هرنانى وهو  
يرمقه في استعلاء )

سنتقى في مجالات أفضل من هذه . . اذهب .

دون كارلوس : حسن ياسيدى سأذهب . وبعد ساعات سأكون  
بقصر الحاكم . أناملكك وسيكون أول عمل  
أقوم به أن أستدعى القائم على الخزانة العامة . .  
ألم يرصدوا جائزة مالية لمن يأتي برأسك ؟

هرنانى : بلى .

دون كارلوس : يا أستاذى . . أعتبرك منذ اليوم نائرا وخائنا .  
وانى أنذرك سأطاردك في كل مكان . وسأذيع  
انى أسقطت عنك جميع الحقوق المدنية . وانك  
منفى من جميع أرجاء مملكتى .

هرنانى : انى لكذلك من قبل .

دون كارلوس : حسن وسرى . .

هرنانى : ولكن فرنسا قريبة من اسبانيا . وهى ملجأ  
أمين .

دون كارلوس : سأكون امبراطور ألمانيا . سأعلن نفيك وأبيع  
دمك .

هرنانى : افعل ما يحلو لك . ستبقى لى بقية من العالم لا  
يمتد اليها سلطانك .

دون كارلوس : وإذا ملكت العالم بأسره ؟

هرنانى : حينئذ يبقى لى القبر .

- دون كارلوس : سأدق رأس مؤامرتكم الوقحة .
- هرنانى : الانتقام أعرج ، يسير على مهل . ولكنه يصل إلى ما يريد .
- دون كارلوس : ( وهو يضحك ساخرا بجانب من فمه ) أنا ألمس بيدي المرأة التي يتعشقها قاطع طريق !!
- هرنانى : اذكر انك ما برحت في قبضة يدي . ولا تنس أيها القيصر الروماني المقبل . انك الآن رهن كفى ، وأراك بين أصابعي شيئا هزيلا هشا . بحيث إذا شددت على هذه الكف التي هي منى . سحقت داخل البيضة نسرک الامبراطورى
- دون كارلوس : افعل .
- هرنانى : اخرج .. قلت لك اخرج ( يخلع عباءته ويلقى بها على كتف الملك )
- اهرب ، واياك أن تنحى عنك هذه العباة . لاننى أخشى عليك ، بدونها ان تنالك نصال رجالي
- ( الملك يندثر في العباة )
- انطلق مطمئنا الآن . ان ثأرى منك لن يقوم به أحد سواى ، ولن أنخلى عنه ليد غير يدي المتعطشة إلى دمائك ، وفي هذا ما يجعل رأسك منى شيئا مقدسا أحافظ على سلامته .
- دون كارلوس : أيها السيد ، يامن جرؤت على مخاطبتي على هذا

الوجه ، لا تسألني يوما رحمة ولا عفوانا .

( يخرج )

## المشهد الرابع

هرناني - دونيا سول

دونيا سول : ( ممسكة بيد هرناني ) والآن فلنسرع بالهرب

هرناني : ( وهو يبعتها عنه في لطف ووقار ) يا حبيبي ،  
يجمل بك أن تراجعى أمرك .

انه لشعور نبيل وكريم أن تبقى مصرة على أن  
تشاركيني قدرى الجائر ، وعلى ألا تراجعى عن  
أن تكونى إلى جوارى طوال أيامى حتى النهاية .  
شعور كريم لا يصدر الا عن قلب ملؤه الوفاء و  
والانخلاص . الا أنى يا الهى - لا أجد الراحة  
في هذا ، فانى رغم سعادتى ، اذ أرانى أضمر إلى  
جانبي هذا الكنز من المحاسن ، ورغم ما أحسه  
من الزهو ، إذ أجد دونيا سول طوع أمرى وملك  
يميني أثرت غيرة الملك ، فان كل هذا يخلد بي  
إلى الخجل ويسلمنى إلى ونخر الضمير . ان  
منصة الاعدام أصبحت قريبة منى ، ولم يعد  
أمامى متسع في الحياة .

دونيا سول : ما تقول ؟

هرناني : هذا الملك منزل بي عقابا لاشك ، لانى واجهته ،  
ثم جرؤت على العفو عنه قادرا ، إنطلق هاربا

من هنا ولعله الآن في قصره يحيط به أعوانه  
وحراسه وخدمه والجلادون .

دونيا سول : يا الهى ، هرنانى انك تجعلنى أنتفض رعبا . . هيا  
لنسرع بالفرار جنبا الى جنب . . .

هرنانى : جنبا إلى جنب . . لا . . لا ، ان الوقت قد فات  
ويا للأسف ! !

دونيا سول . . . حينما تنازلت فخصصتني  
بحب هو الاعزاز والغوث ، استطعت على  
فقري ، وبؤس حالى . . أن أقدم لك غابتي  
وجبلى ، ومشرى من السبيل المتدفق ، ثم زادنى  
جرأة ، اشفاقك علىّ ، فبذلت لك خبر الطريد ،  
وجانبنا من مرقدى الأنخضر المبطن بالعشب الذى  
أهدته لى الطبيعة ، أما أن أمنحك اليوم نصف  
منصة الاعدام ، فلا ، وأرجوك المعذرة ، دونيا  
سول ان هذه لى أنا وحدى من غير شريك .

دونيا سول : ومع ذلك سبق أن وعدتني بها

هرنانى : ( جاثيا على ركبتيه ) أيها الملاك . في هذه الساعة  
التي أرى فيها الموت مخلقا فوق رأسى ، اذ أنا  
أحسه وهو يقترب منى متسللا في الظلام ليضع  
نهاية محزنة لحياة ملوؤها الأحزان ، أرفع الصوت  
عاليا بأنى - رغم كونى طريدا ، أنوء بأثقال  
الهجوم وقد ولدت في مهد ينضح بالدم ، وعشت  
حياة لها سواد الحداد . . أرفع الصوت بأنى  
رجل سعيد ، وأود أن يحسدنى الناس ، لأنك

أحببتني ، لأنك صارحتني بهذا الحب ، لأنك  
باركتني همسا ومسحت اللعنة التي تعلو جبيني .

دونيا سول : ( وقد انحنت برأسها فوق كتفه ) هرناني .

هرناني : فلأحمد لهذا القدر الرفيق الحاني . إذ وضع  
هذه الزهرة على حافة الهاوية التي تنتظرنى

( يهم هرناني واقفا )

ولا أعترف بما قلت لكى تسمعيه ، ولكن لكى  
تردد أصداءه السماء وليصل الى مسامع الله .

دونيا سول : اسمح لى أن أتبعك .

ه ناني : انها لجريمة أن نقتلع الزهرة ونحن نتحدر في الهاوية

يكفى انى تنشقت أريجها . لا . . صلى أيامك التي  
كدت أكدر صفوها بأيام رجل غيرى . تزوجى  
ذلك الهرم . أنت في حل منى . سأعود أنا الى ليلى  
الملهم السواد ، كوني سعيدة ولوذى بالنسيان .

دونيا سول : كلا . . سأتبعك . أريد حصنى من كفتك . .  
أربط نفسى بأقدامك

هرناني : ( وهو بضمها بين ذراعيه ) آه . . دعيني أهرب  
وحيدا

( يحاول الابتعاد عنها )

دونيا سول : ( في حزن وقد أمسكت احدى يديها بالأخرى . )  
هرناني ، أتهرب منى ؟

مجنون من يهب حياته لمن يعن في الابتعاد عنه .

أليس من حتى - بعد ما كابدت من آلام  
الحب ومتاعبه - أن أسعد بالموت الى جواره ؟

هرناني : اننى مجرم منى . . أنا طريد . . أنا شؤم وبؤس  
وشقاء

دونيا سول : أنت جحود ناكر جميل .

هرناني : ( وهو يعود ) لا ، لا . . ها أنا ذا باق . . أنت  
تريدين ذلك ، فليكن ، تعالى بين ذراعى ،  
سأبقى . . سأبقى ما أردت أنت هذا . البقاء  
لنفس مافات . . لنجلس

( وهو يجلسها على مقعد حجري )

اجلس فوق هذا الحجر . .

( وهو يجلس عند قدميها )

النور وقد اشتعل في عينيك يبهر ناظرى . هيا  
انشدى ما كنت تنشدينه أحيانا والليل ساج  
كنت تنشدين والدمع يجول في عينيك الدعجاوين  
لنكن سعداء لنمرح ، لنحتس الكأس فقد قاربت  
أن تفيض بما فيها . . هذه الساعة لنا ، وما تبقى  
بعد ذلك فهباء وخيال . تكلمى ، أفرغى علينا  
فتنة وسحرا .

ألا ترين ما أحلى الحب ؟ وما أمتع أن ترى من  
تحبين يجثو دائما عند قدمى محبوبته ؟ ! ثم ما أروع  
أن نكون اثنين منفردين يتشاكيان الجوى في الليل  
والناس يغطون في النوم ! !

دعيني أسند رأسي الى صدرك وأستسلم الى الحلم  
الجميل

دونيا سول : يا غرامى .. ما أبدع ...

( يسمع من بعيد قرع أجراس )

دونيا سول : ( تهب واقفة وقد تملكها الفزع ) ناقوس الخطر  
يدق لإيقاظ الناس

ألا تسمع ناقوس الخطر ؟

هرنانى : ( مالبث جاثيا على ركبتيه ) ليس هذا ناقوس  
الخطر . انه الناقوس الذى يعلن عرسنا

( تزداد عنفا دقات النواقيس وتخالطها صيحات  
غير واضحة المعالم ، وتظهر وسط الظلمة مشاعل  
تضيء هنا وهناك ، وأنوار تسطع في النوافذ وعلى  
أسطح المنازل )

دونيا سول : انهض .. اهرب .. يا الهى ان سرقسطة تشتعل .

هرنانى : ( وقد هب في نصف قومة ) سيكون لنا عرس  
على أضواء المشاغل .

دونيا سول : عرس المونى . عرس المقابر .

( يسمع صليل سيوف وصراخ )

هرنانى : ( وهو يضجع على المقعد الحجري ) الى صدرى .

أحك الجبلين : ( وهو يدخل وسيفه في يده ) مولاي ان رجال  
الشرطة والحراس يتدفقون جماعات خلف  
جماعات في الميدان . تنبه ونخذ حذرنا يا سيدى .



( يهب هرنانى واقفا )

دونيا سول : ( وقد علاها الشحوب ) كنت أتوقع هذا .

أحد الجبلين : النجدة . .

هرنانى : ( الى الجبلى ) هاأذا وعلى تمام الاستعداد .

( أصوات من الخارج تصبح الموت لقاطع الطريق )

هرنانى : ( الى الجبلى ) هات سيفك ( الى دونيا سول )

الوداع .

دونيا سول : أنا من عملت على فقدك . الى أين أنت ذاهب؟

( تشير الى الباب الصغير ) تعال . . لنهرب من

هذا الباب .

هرنانى : يا الهى . . أترك رفاقي ! ! ماذا تقولين ؟

( ضجيج وصياح )

دونيا سول : هذا الصراخ يمزق قواى . ( ممسكة بهرنانى ) اذكر

أنك اذا لقيت حتفك فانى لاحقة بك .

هرنانى : ( وقد أمسك بها فى عناق ) قبلة .

دونيا سول : . . . . . روحى ، سيدى . . هرنانى

هرنانى : ( وهو يطبع قبلة على جبينها ) ويحى هذه هسى

القبلة الأولى .

دونيا سول : أسفاه . . ولعلها القبلة الأخيرة .

( ينطلق هرنانى خارجا وتقع هسى على المقعد الحجرى )

( ستار )



## الفصل الثالث

قصر دى سيلفا

( ويقع في جبال مقاطعة أراجون )

بهو قامت به صور كبيرة لوجوه من أسرة دى سيلفا ، بهو واسع الأرجاء تزينه هذه الصور وقد علقت على الجدران ضمن اطارات ثمينة تعلوها تيجان الدوقية وشعاراتها . وبين هذه الاطارات تقوم مجموعات من أسلحة ، كل واحدة منها تنتمى الى عصر من العصور . وفي مؤخرة البهو باب كبير على الطراز القوطى .

## المشهد الأول

دونيا سول : ( وقد ارتدت ثوبا أبيض اللون ووقفت الى جوار  
نضد )

روى جومير :  
دى سيلفا : ( جالس على المقعد الدوقى الكبير المصنوع من  
خشب السرو )

روى جومير : أخيرا .. لن ينقضى هذا النهار ، بل لن تمر  
ساعة من الزمن يا دوقى ، الا أصبح لك الزوج ،  
بعد أن كنت لك العم . ولكن أخبرينى هل  
صفحت عنى حقا ؟ كنت مخطئا .. اعترف

بذلك . . كنت السبب في أن يحمر جبينك وفي أن  
تعلو الصفرة خديك . . كنت متسرعا في شكوكي  
. . وما كان لي أن أقضي بأمر في حقلك قبل أن  
أسمعك . ما أكثر ما نتورط في اصدار أحكام  
خاطئة ! ! حقا كان هناك الشبان الوسيمان  
ولكن ماذا يهم ؟ كان يجب ألا أحكم بما رأيته  
عيناى . ولكن ماذا تريدن يا صغيرتى . . انها  
الشيخوخة ! !

دونياسول : ( في جمود وفي تحرز ) تعيد ذكر هذا الحديث  
دائما ! ! هل لامك أحد في شيء ؟

روى جومير : أعترف أنا المذنب . كان يجب أن أعرف أن من  
لها نفس مثل نفسك يادونيا سول ، يجرى فيها  
الدم الاسباني الأبى ، لا يمكن أن يدير رأسها  
عبث من معابثات الهوى .

دونياسول : حق يامولاى انه دم أبى ونقى وقد نرى مصداق  
ذلك عما قريب (١)

روى حومير : ( ينهض ويقرب منها ) أصغ الى . بعدنا علينا أن  
نسيطر على فعالنا حينما تقع في شرك حب مثل  
حبي اياك . . ويكون هذا الحب في الوقت نفسه  
طاعنا في السن . ثم . . . هو يكون غيورا ويكون  
يجيئا . . ولماذا ؟ لأن السن تكون قد تقدمت بنا ،  
لأن الوسامة واللطافة في الآخرين ، تخيفنا

١ - لعل في هذه العبارة تلويحا غامضا انها تعزم الانتحار .

وتهددنا ، وتسلمنا في الوقت نفسه الى أن ننجل  
من نفوسنا .

ثم يا للسخرية ! ! ان هذا الحب يدبّ على قدم  
واحدة فهو ، وان أعاد الى القلب نشوته  
وحرارته ، فانه ينسى الجسم . . لا يعيد اليه شبابه  
وفتوته . نعم واني كذلك . . . .

ويقع أخبانا أن يمر بي راع في مقتل الشاب وهو  
يغنى في خفة في حين أن أجدني نهب تأمل عميق  
جاد . وبينما هو يضرب بسيره في مروجـه  
الخضر ، أراني أسير في دروب قصرى القاصم .  
ايه أيتها الأبراج ذات الشرفات العالية . .

ايه أيها البرج الدوقي الشامخ والطاعن في القدم !  
شدا ما أنا مستجيب الى أن أتنازل عنك ! ! نعم  
أعطيك ، كما أعطى حنطى ، وغاباتي ، وقطعاني  
الكثيفة التي تجتر العشب في تلالى بل وكم يسعدني  
أن أنزع عنى اسمى القديم ، ألقابى العتيقة ،  
أطلالى القائمة . . وأن أخلع عنى أسلافي الذين  
يرقبون أن أصير اليهم . . أنزل عن كل هذا ،  
في مقابل كوخ هذا الشاب الحديث العهد بالبناء ،  
ومن أجل أن يكون لي جبينه المشرق ، وشعره  
الفاحم السواد وعينه التي تلمع مثل عينك أنت .  
فاذا وقع نظرك عليه لم تتمالكى عن أن تقولى :  
آه . . من هذا الشاب ! ! ثم سرعان ماتعودين

الى التفكير في شخصي أنا الشيخ الذي أثقلت به  
السنون !! !

أعرف كل هذا ..

حق أن اسمي (سيلفا) ، غير أنه لا يكفي ، كما  
أنه لا يعوضك شيئاً فتأملى اذن مقدار حبي لك ! !  
انني أعطى كل شيء في سبيل أن أعود شاباً  
ووسيماً ، كما أنت شابة وجميلة .

ولكن ما الفائدة في أن أتمادي في هذا الحلم ؟  
أنا أعود الى الصبا والجمال ؟ أنا من سيتقدمك الى  
القبر ؟

من يدري ؟

دونيا سول

ولكن اسمعى - وصدقيني فيما أقول :

روى جومير

ان ما يحمله كل من هذين الفارسين الطائشين في  
قلبه ، لا يزيد عن كونه عاطفة تفتى مع الكلام .  
فاذا استسلمت فتاة الى حب أحدهم هؤلاء المراهقين  
فلا تلبث أن تفضى بحبها ، وهو واقف يسخر  
منها ! !

ان شأن هؤلاء المراهقين العابثين ، شأن عصفير  
الزينة ، لها الريش الملون الجميل ، والصوت الغريد  
الحنون الا أن حبه لا يستقر على حال اذ هو  
دائم التغير ، شأن الريش في أجنحتهم .

أما نحن .. فنجيد الحب ، ونصدق فيه ونفنى ،  
لأنه في قلوبنا عقيدة راسخة .

حق أن أقدامنا ثقيلة الخطا . . أليس كذلك ؟ . .  
وان نظراتنا يعوزها الدفاء . . كما أن جباهنا  
تخططها الغضون ، ولكن قلوبنا لا تعرف هذه  
الغضون والتجاعيد .

ثم ان الشيخ - وأسفاه - اذا أحب فواجب أن  
تحوطه أسباب الرفق والرعاية . ان القلب لا يهرم ،  
هو في شباب دائم ، وفي وسعه دائما أن يتفصدا.

ثم . . ثم اعلمى أن حبي ليس العوبة من الزجاج  
تلمع ، يرتعش الضوء عليها ويرقص ، بل هو حب  
عنيف صارم ، عميق الأغوار ، متين ، مستوثق من  
ذاته ، أبدي ، ودّي ، وفيه صلابة خشب  
السنديان الذي صنع منه هذا الكرسي الدوتي . .  
كذلك حبي لك . .

بل هو يتجاوز كل هذا ، ، في دلالتة وفي  
أسلوبه . .

ان حبي لك ، شوي الى طلعة الفجر ، ونضرة  
الزهر ، واشراقة النور في السماء . واني لأصخب  
فرحا وابتساما ، بل أحس أنني أعيش أفراحا  
لا تنتهي ، ومآدب . . لا تنقضي ، كلما شاهدتك  
أنت كل يوم ، نعم أنت . . وأنت تتمايسين  
دلالا ، وتتمايدين في خطوطك الرشيق ، ولك الجبين  
الوضاء ولك العين الدعجاء ، المتألقة وال نظرة الشامخة .

دونيا سول : وا أسفاه !

روى جوميز

: ثم هناك أمر آخر . .

ان الناس يقفون أمام مظهر رائع من مظاهر الجمال والرفقة حينما يرون رجلا وقد استسلم يجود بروحه على مهل ، بحيث اذا أوشك أن يقف على حافة القبر وجدوا امرأة تقف الى جانبه ، هي الملاك في طهارته ، والحمامة في وداعتها ، تسهر عليه وترعاه ، وتسكنه الى جوارها وتكابد في علاجه وتتألم . . هذا الشيخ الطاعن في السن الذي لم يعد يصلح لأمر الا أن يموت .

ألا ترى ان هذا عمل مقدس جدير بالثناء والاكبار لأنه نبض قلب يفيض بالبروءة والمودة !!

وما أروع القلب اذ ينحنى يواسى الراحل عن هذه الدنيا ويتظاهر بأنه يحيطه بالحب ، وان كان هذا القلب لا يجب حقا !!

ستكونين أنت منى هذه المرأة التي تحمل قلب ملاك ، وسترعين نهاية أيامى رعاية شطر منها هو حنان الابنة ، وشطر منها هو اشفاقة الأخت .

دونيا سول : قد أسبقك الى القبر يا مولاي ، بدلا من أن ألحق

بك . . اننا لا نعرف متى نموت ، والصبا لا يعصم من الموت وأسفاه ! . وكثيرا ما يبطن الشيوخ ، في حين يسرع الشباب ، وتنغلق جفونهم على العيون ، كما تنطبق جنادل وصفائح على قبر مفتوح .



روى جوميز : هذا كلام محزن وكئيب ، اذ يجيء في يوم له  
قداسته . انه يوم يجب أن يكون للهزة والمرح . .  
ولكن ما هذا ؟ أراك لم تنتهيء بعد للذهاب الى  
الكنيسة ؟ هيا وارتندي ثياب العرس . انى أحسب  
اللحظات .

دونياسول : ما برح هناك متسع من الوقت.

روى جوميز : بل لم يعد . . ( يدخل أحد خدام القصر )  
ما وراءك أيها المراقب ؟

الخادم : بالبواب رجل يامولاي ، وما أدري أهو من الحجاج  
أم من المتسولين !! المهم في الأمر انه يلتمس  
المأوى في القصر . .

روى جوميز : مهما يكن من أمره فهو على الرحب والسعة ، ان  
السعد في ركاب الوافدين . ليدخل ، وفيما عدا  
ذلك ما عندك من الأخبار ؟ وماذا سمعت منها  
خاصا بزعيم قطاع الطرق . هذا المتمرذ الذى  
خرج على القانون ، وأثار العصيان في غاباتنا .

الخادم : انتهى أمر هرنانى ، وقضوا على أسد الجبال

دونياسول : ( منفردة ) يا إلهى

روى جوميز : أفصح .

الخادم : تفرقت العصانة وتحطمت ويقولون ان الملك نفسه  
تعقب آثارها وهو يرصد الآن جائزة قدرها ألف  
قطعة ذهبية تحمل صورته ، لمن يأتي برأس  
هرنانى . والشائع على الألسن أنه قتل .

دونيا سول : (على حدة) ماذا؟ أهكذا تموت يا هرنانى وحدك  
وبدونى !!

روى جومير : حمدالله ، مات الناثر العاصى ، ولنا أن نبتهج  
الآن يا جمياتى ، يا كبرياتى وزهوى ، هيا . .  
ارتدى ثياب العرس وتجملى ، اليوم لنا عيد وعيد .

دونيا سول : (منفرده) سأرتدى ثياب الحداد

روى جومير : (الى الخادم) اسرع وأحضر الحلية التى اخترتها  
هدية لها ( وهو يجلس على المقعد الكبير )

بى شوق الى أن أراها فى زينة تشبه تلك التى عليها  
صورة العذراء ، ان جمالها اذا تألق فى حلاوة  
عينها ، وفى طرافة الحلية التى أهديتها اليها . لم  
يملك العابد المتبتل الا أن يحنو أمامه . . .

ولكن ما هذا !! انصرفت عن الرجل الذى جاء  
يلتمس المأوى عندنا . . قل له أن يدخل ، وأبلغه  
اعتذارنا اذ أبقيناه فى الخارج . . أسرع .

( ينحنى الخادم ويخرج )

من سوء الأدب ترك الضيف ينتظر

( ينفتح باب المؤخرة ويظهر هرنانى متكارا فى  
زى أحد الحجاج وينهض السدوق ويسرع  
لاستقباله . )

## المشهد الثانى

روى جومير - هرنانى

هرنانى : ( وهو على عتبة الباب ) مولاي . . انى أحمل  
اليك السلام والسعادة .

- روى جومير : ولك مثلها يا ضيفى . .
- ( يتقدم هرنانى . ويجلس الدوق على المقعد )  
أمن الحجاج أنت ؟
- هرنانى : نعم يامولاي
- روى جومير : جئت ولا شك من أرميلاس ؟
- هرنانى : سلكت طريقتا آخر لأهم يتقاتلون في ذلك الطريق
- روى جومير : يقاتلون عصابة ذلك الطريد المنفى . أليس كذلك
- هرنانى : لا أدرى
- روى جومير : وزعيمها هرنانى . . أتعرف ماذا انتهى إليه أمره ؟
- هرنانى : أيها المولى . . ومن يكون هذا الرجل ؟
- روى جومير : ألا تعرف ؟ خسارة . أضعت مبلغا كبيرا من المال . . مكافأة رصدت لمن يأتي برأسه . اعلم أن هرنانى متمرد على الملك ولكنه ظل مدة طويلة من غير أن يناله عقاب . . إذا انتهى بك المطاف إلى ملريد ، فيمكن أن تراه وهو معلق في المشنقة
- هرنانى : ليست ملريد في طريقى
- روى جومير : ان رأسه ملك لمن يناله
- هرنانى : ( منفردا ) ليتقدم من يريد أن يناله
- روى جومير : أى مكان تقصد أيها الحاج الصالح ؟
- هرنانى : سرقسطة أيها المولى .
- روى جومير : لتفى ولا شك بنذر نذرته على شرف أحد القديسين ، أو لسيدتنا العذراء ؟

- هرناني : نعم يادوق . لسيدتنا العذراء .
- روى جومير : سيده بيلا .
- هرناني : نعم سيده بيلا .
- روى جومير : ججود ووضيع من لا يفى بندوره للقديسين .  
ولكن ما مقصدك بعد أن تفي بندرك ؟ أن تكتفي  
بمشاهدة العذراء فحسب ؟
- هرناني : نعم أريد أن أملاً ناظري بالشعل والشموع .  
وبالسيده العذراء وقد استقرت في نهاية الرواق  
المظلم وهي تسطح داخل صندوقها الوهاج الذي  
يتضمن بعضاً من مخلفاتها .. أملاً ناظري بكل  
هذا ، ثم أعود .
- روى جومير : عظيم جدا . . وما اسمك يا أخي ؟ أنا روى  
جومير دي سيلفا .
- هرناني : ( مترددا ) اسمي ؟
- روى جومير : أبقه سرا إذا أردت ، فليس لأحد هنا أن يعرفه —  
أجئت تلتمس المأوى ؟
- هرناني : نعم ادوق .
- روى جومير : أهلا وسهلا ولك كل ما تريد أما اسمك ، فهو  
ضيقي ، ولتكن من تكون . اني لأمنح الشيطان  
ضيقتي ، مادام الله أرسله لي .
- ( يفتح باب المؤخرة على مصراعيه وتدخل دونيا  
سول مرتدية ثياب العرس في زيه القسطلاني ،

وخلفها غلمان وخدم ، وسيدتان تحملان ، على  
وسادة من المخمل ، صندوقا مجدولا بالفضة ،  
ويدعانه على المنضدة ، هذا وفي داخل الصندوق  
التاج الذى تلبسه الدوقة وقد وضع داخل علبة  
ثمينة ثم أخلاط من عقود وأساور وجوهر (   
هرنانى ، وقد فوجئ بهذا المنظر ، يلتقط أنفاسه  
مبهورا وقد استقرت عيناه على دونيا سول ،  
ولم يعد يصغى إلى ما يقوله الدوق )

### المشهد الثالث

السابقان - دونيا سول - غلمان وخدم ووصيفات

روى جومير : ( مستمرا في حديثه ) وهاك سيدتى أنا ، سيدتى  
العدراء ، وإذا ابتهلت اليها جاءك السعد والاقبال  
( يهب واقفا ويمد يده إلى دونيا سول التى عراها  
جمود واصفرار ثم يقدم دونيا سول إلى (الضيف)  
زوجتى الحسنة . . تعالى . . ما هذا ؟ ألم تضعى  
بعد خاتم الخطبة في إصبعك؟ والتاج على رأسك؟  
هرنانى : ( منفجرا في صوت يرعد ) من يبغى ألف  
دينار ذهباً

( يلتفت إليه الجميع وقد لبسهم العجب ثم يشق  
هرنانى ثوب الحاج الذى يرتديه ويظهر في لباس  
أهل الجبل )  
أنا هرنانى

دونيا سول : ( منفردة في فرح شديد ) الهى !! انه حى .

هرناني : (الى الخدم) أنا هو ذلك الرجل الذي يبحثون عنه  
( الى الدوق ) كنت تريد إذا كنت أسمى  
بيريز أو دياجو ؟ لا . . لست واحدا منهما .  
اسمى هرناني ، وهو اسم أغلى وأشهر منهما  
لأنه اسم منفي وطريد مطلوب . أترى هذا  
الرأس ؟ انه يساوي من الذهب ما يكفي دفع  
نفقات عرسك .

( إلى الخدم )

هذا الرأس أعطيه لكم جميعا وستنقدون عنه مالا  
كثيرا ، خذوا هذا الرأس هيا . . أوثقوا يدي ،  
ضعوا الأغلال في قدمي ، تقدموا ولا تهابوا  
شيئا ، فاني مكبل بسلسلة لا أقوى على تحطيمها .

دونيا سول : ( منفردة ) ما أشد تعاستي !!

روى جوميز : هذا جنون . . ان ضيفي مجنون .

هرناني : ضيفك قاطع طرق !

دونيا سول : لا تلقوا بالا الى ما يقول .

هرناني : قلت ما يجب أن أقول .

روى جوميز : ألف دينار ذهباً . . يا سيدي هذا مبلغ كبير من  
امال . . ولا أثق في كل رجالي .

هرناني : وماذا يهم !! من الخير أن يكون بينهم واحد  
يغريه هذا المال .

( الى الخدم )

أسلموني . . خذوا ثمن رأسي .

روى جوميز : ( وهو يحاول اسكات هرنانى ) حسبك والابجدت  
بينهم من يأخذك بكلامك

هرنانى : ( مستمرا ) أيها الأحياء . . الفرصة سانحة . .  
أوكد لكم أننى هرنانى المطارد الثائر . .

روى جوميز : صمتا

هرنانى : أنا هرنانى

دونيا سول : ( وهى تهمس في أذنه ) وماذا بعد ذلك ؟ اصمت

هرنانى : ( مستديرا نحو دونيا سول ) عرس يقام هنا !  
وأنا بدورى أريد أن يكون لي عرس إن عروسى  
تنتظرني أيضا .

( الى الدوق )

هى دون عروسك<sup>١</sup> جمالا يامولاي ، ولكنها  
ليست أقل وفاء . . عروسى هي الموت ( الى  
الخدم )

ألم يتقدم أحد منكم حتى الآن ؟

دونيا سول : ( في صوت خافت ) رجمة بي

هرنانى : أنا هرنانى . . ألف دينار ذهبيا .

روى جومير : هذا هو الشيطان بعينه .

هرنانى : ( مشيرا الى شاب بين الخدم ) تعال أنت . تقدم

لتربح هذه الجائزة ستثري ، وستصبح بعد ذلك  
حرا بعد أن كنت خادما . .

( الى الخدم الذين جمعدوا في أماكنهم دهشة )

وأنتم أيضا ترتعدون !! الى هذا الحد انتهى  
مصاىي ؟

روى جوميز : يا أخ . . ان من يمس رأسك ، يخاطر بفقد رأسه ،  
ولو كنت أنت حقا هرنانى ، أو كنت من هو  
أخطر منه وأسوأ مائة مرة فلن أبيع رأسك ولو  
أعطيت امبراطورية بأسرها وليست حفنة من  
الذهب .

يا ضيفى ، لك منى واجب الحماية حتى من  
الملك ، ما دمت في هذا المكان ، ان الله هو الذى  
أرسلك إلى ، ومنه تسلمتك . انى أدفع حياتى اذا  
سقطت شعرة واحدة من رأسك .

( الى دونيا سول )

يا بنته أنخى ستصبحين زوجتى بعد ساعة فالجئى  
الى غرفتك . سأتولى تحصين القصر ، وسأوصد  
أبوابه .

( يخرج يتبعه الخدم والغلمان )

هرنانى : (وهو يتأمل حزامه الذى نخلا من السلاح ) حتى  
ولا مدة !!

( دونيا سول تخطو نحو الباب الكبير بضع خطوات  
على أثر خروج الدوق تريد الانصراف ، ولكنها  
تتوقف فجأة وتأذن لوصيفاتها بالخروج . فاذا  
انصرفن تقدمت الى هرنانى يمزقها الألم والفرع )



## المشهد الرابع

هرنانى - دونيا سول

( هرنانى يرمق باستخفاف صندوق الجواهر ثم  
يهز رأسه وقد اتقدت عيناه )

أهنتك ، هذا أكثر لها أقدر على وصفه .  
هذه الزينة وتلك الجواهر تجذب وتأسر . . انها  
تستأثر بإعجابى . .

( تقرب من الصندوق القائم فوق المنضدة )

الحاتم في صنعه ينم عن ذوق مرهف . . وهذا  
التاج يعجبني رواؤه ، والعقد خرج من يد صناع  
مبدعة . . وهذا السوار ينذر أن يكون له مثل .  
الا أن هذا كله يرخص ويفقد قيمته مائة مرة اذا  
تحلت به امرأة تخفى وراء وجهها الصبيح قلبا  
ملؤه الحزى والحياة .

( وهو مستمر في قلب ما بداخل الصندوق باحدى  
يديه )

وماذا أعطيت في مقابل كل هذا ؟ لى . . أعطيت  
قليلا من الحب ؟

ولكنك في الواقع أعطيته من أجل شيء تافسه  
لا يستحق . . ونخت العهد . يا الهى يا قادر . .  
تخونين على هذا الوجه من غير استخذاء ولا خجل !  
( يفحص علبة التاج )

ومع ذلك فقد يكون كل هذا الحلى مزيفا . .

اللالى مقلدة ، النحاس الرخيص يأخذ مكانـ  
الذهب الثمين ، زجاج ، رصاص ، ماس كاذب ،  
ياقوت مزور . . . اذا صح ما أقول فان قلبك  
يا دوقه ، لا بد أن يكون مزيفا مثل حليك . .  
وأنك لست الى مسحة الذهب وليس الذهب نفسه !

( وهو يعود الى الصندوق )

ولكن لا . . لا . ان كل ما أراد أصيل وجيد  
وجميل . ان شيئا يقف على حافة القبر لا يجرو  
ان يخادع . . كل شيء أراه في تمام كما له وأصالته  
( وهو يتناول بدوره قطع الحلى الواحدة بعد  
الأخرى )

العقود والماس ، والأقراط ، وتاج الدوقية ،  
والخاتم ، كله من أثنى ما يكون ، ان الحب العميق  
الصادق الأمين لا يمكن أن يمنح الا ما هو ثمين  
غال . وهذه العلبة الغالية . . .

دونيا سنول : ( تتقدم نحو الصندوق وتمد يدها باحثه في أعماقه  
لتخرج وفي قبضتها خنجر ( يدك لم تهبط الى قاع  
الصندوق . هذا هو الخنجر الذى انترعته من  
الملك كارلوس حينما كان يغربنى بأن يمنحنى  
عرشا فرفضته من أجلك ، أنت يامن يهينى الآن

هرنانه : ( وهو يركع ) ويلي ! دعيني وأنا جاث على  
ركبتى ، أمسح هذا الدمع المرير الذى تدرفه  
عينك الفاتتان ، ولك أن تأخذى حياتى ثمنا لهذا  
الدمع .

دونيا سول : (وقد عاودها حنان) هرزاني . . أحبك وأغفو  
عنك . لأنني لا أملك الا أن أحبك . .

هرزاني : هي تصفح عني . . تحبني . . آه من في وسعه أن  
يجعل مني شخصا آخر . بعد أن قلت ما قلت .  
لأسامح نفسي عما قلته لها وأغفر . ولا أعود الى  
حبها ؟ آه أريد أن أعرف . ياملكا مختارا من  
أملاك السماء . أين مواطئ قدميك وأنت تسيرين  
لأشبعها تقبيلا .

دونيا سول : حبيبي .

هرزاني : لا . جدير بي أن أمقت نفسي . . ولكن أصغ  
الى . . قولي لي أحبك ، أعيدى الطسأينية الى قلب  
يمزقه الشك ، أعيدى هذه القولة . فكم شففت  
هذه الكلمات القليلة أوجاعا ومسحت آلاما .

دونيا سول : (في غاية التأثر) أكان يظن أن قلبي على ضعف  
في الذاكرة بحيث يقذف الى خارجه من هو شغله  
وهواه ، لينزل مكانه رجالا لا قيمة لهم وينطوون  
على ميول دنيئة يزعمون انها أعلى مرتبة وأنتي  
معدنا منه ؟

هرزاني : شد ما أنا آسف . . تناولت على الطهارة  
وسببتها ، لو كنت مكانك يادونيا سول لعيل  
صبري وفي جلدی من تحمل هذا المجنون  
الغاضب ، هذا المسوس الكئيب ، الذي  
لا يلاطف غيره ويدلله الا بعد أن يؤذيه ويؤلمه .  
لو كنت مكانك لقلت له اغرب عن وجهي .

وهأنذا أناشدك أن تبعدينى عنك . أن تقصينى  
من جوارك . انى أرحب بهذا النفى . بهذا البعاد  
لأريحك منى . كنت بى حفية ، ووسدتى الحنان  
والرفق ، ولم تضيقى بما تحملت من أجلى ، انى  
سيىء الخلق ، أسود نهارك بظلمة ليلى . . وان  
هذا لكثير . . فان روحك أنى وأرفع . واذا  
كنت أنا على طبع نخشن خبيث فما ذنبك أنت بى  
هذا !!

هيا تزوجى الدوق ، الشيخ ، هو كريم ونبيل ،  
وواسع الثراء ، ورث عن أمه مدينة ( أوليدو )  
وعن أبيه مدينة ( أنكادا ) وسيكون لك ما هو  
أكثر من هذا فاسعدى به وبثرائه .

أما أنا . . أفتعلمين ما تقدر هذه اليد ، على  
سخاها ، أن تقدم لك من المنح والنفائس ؟ مهر  
من الآلام تختارين فيها بين الدم والدموع .  
النفى ، الاغلال ، الموت ، الفزع ، من هذا كله  
يتألف عقدك الذهبى ، وتاجك الفخم .

ولن يستطيع زوج ذو اباء وشمم أن يقدم الى  
زوجته غير هذا التاج الذى صيغ من البسوس  
والأحزان .

تزوجى من هذا الشيخ الهرم . . انه يستحقك  
ولأنت جديرة به .

من يصدق ان رأسى — وهو رأس شريد مطارد—

يصح أن يقف الى جانب رأس يتدفق الطهر من  
جيبه . . هو رأسك ؟

ان المقارنة مستحيلة . .

ومن يطالع كلانا ، انت في وسامتك ، وهدأتك  
وأنا في عنفي وجرأني . أنت في سكونك . وفي  
رقة نموك كزهرة تينع في الظل ، وأنا في صخبي  
وفي شرتي وقد اصطدمت بما لا يحصره عدد  
الأنواء في هوج العواصف . . . . من يطالع  
هذا ، ويحكم بأننا ولدنا تحت طالع واحد وأن  
كلامنا للآخر ؟ لا ، لا . . ان الله الذي أنزل  
بحكمته الأمور كما يجب أن تكون . لم يتدعك  
من أجلى . فأنا لاسلطان لي عليك ، وليس لي الا  
أن أستسلم ، وأن أتحنى وأوسع الطريق لغيري .  
حق أن لي قلبك . . ولكن هذا سلب وسرقة ،  
ويجب أن أردده الى من هو خليق به .

ان السماء لاتسمح بأن يستوثق حب بيننا .

واذا قلت ان حبي هو قدرك ، أكون من  
الكاذبين .

وفوق كل هذا ، فليس أمامي الآن الا أن أقول  
وداعا للثأر وللحب . . . . ان يومى قد انتهى .  
سأرحل لايرجى منى شئ ، حاملا بين ضلوعى  
خجلا مزدوجا ، لقد منيت بالخيبة في الانتقام  
وفي الحب .

ماذا أصنع ؟ دفعوا بي في طريق الكره والمقت ،

بينما أنا خائفت لأن أحب ! ! ساحيني ، اهـربني  
مني ، أتضرع اليك . . فلا تروى هذه الضراعة .  
لأنها آخر ما أصبو اليه .

كوني للحياة . . ودعيني للموت .

فلا أعرف لماذا تأحين في أن ترقدى معي في الحد  
واحد ! !

دونيا سول : أيها الجاحد

هرنسان : يا جبال أراجون . . وجاليس . . واسترامادور (١)

انبي أحمل الشوم والشقاء الى من يحيط بي .  
أخذت زهرة شبابك لاسترداد حقوتي ، قذفت  
بهم ، بلا وازع من ضمير الى جحيم المعارك .  
وها هم أصبحوا في عداد الموتى ، وكانوا أشجع  
من أنجبتهم اسبايا الشجاعة .

سقطوا جميعا على الجبل ، سقطوا على ظهورهم  
شأن الشجعان الذين يتلقون الموت بوجوههم—  
ليسلموا الروح ، ولو تفتحت عيونهم لما وقعت  
الاعلى السماء الزرقاء .

هذا ما أنزله بكل من يحيط بي ، فهل من مثل هذا  
الحظ العاثر تغارين ؟

دونيا سول ، تزوجى الدوق . . اعقدى عقدا مع  
الجحيم . . نخذى الملك ، كل هذا معقول وأهون

---

١ - أساء لمقاطع في اسبانيا ، وقد اختارها المؤلف خاصة لأن في أسائها رنيناً  
يتسق مع ايقاع الشعر الذى ينظم به حوار هذه المسرحية .

شرا . كل ما ليس أنا خير منى أنا ! لم يبق لى  
صديق يحمل ذكراى . الجميع بندونى وتفرقوا  
عنى . وأخيرا حان الوقت لأن تبتعدى عنى . .  
يجب أن أبتى وحيدا .

اهربى من صحبتي . لاتجعلن من الحب عبئدة  
تأسرك .

آه شنتمة بي ورحمة . . اهربى منى . .

لعلك تحسبن انى رجل مثل بقية الرجال . كائن  
انسانى ذو ذكاء ورجاحة عقل ، ينطلق مباشرة  
ومن غير التواء نحو تحقيق الهدف الذى يريدہ ؟  
تخدعين نفسك . . انى قوة تسير لأنه مقدر لها  
أن تسير ، وهى لا تسمع ولا تبصر لأنها صدى  
لأسرار جنانثرية محزنة .  
أنا روح الشؤم والتعاسة .

أين ينتهى بي المطاف ؟ لا أعرف !!

ولكنى أحس أنى أدفع دفعا من جانب قـوة  
لا تقاوم ، ويبد قدر مخبول ، فاذا بي أهبط . . .  
أهوى . . ولا أمسك عن الهبوط أبدا . .

واذا وقع أحيانا ، وأنا التقط أنفاسى وجروئت أن  
أدير رأسى لأرى أين أنا ارتفع صوت ينادى . .  
سر . .

هذا والهوة تحى بعيدة الأغوار ، تتأجج فيها النيران ،  
وتهدر الدماء فلا أرى فى قاعها إلا حمرة قانية .

ومع ذلك ، ففي أثناء انحداري المخيف ، أبصر  
كل شيء حولي يتحطم ويفنى والويل لمن يمدّ يده  
نحوي

آه . . اهرابي . . حيدى عن طريقى الذى رسمه  
القدر ، والا ، وبالشقوتى ، آذيتك من حيث  
لا أقصد .

دونيا سول : رباه !!

هرنانى : انه شيطان مخيف ومهاب وقادر ، هذا الذى  
يلا بسنى . . أقول لك هذا . الا أن سعادتى هى  
الأمر الوحيد الذى لا يقدر على تحقيقه . . وهذه  
السعادة هى أنت .

ولهذا فأنت لست لى . . فابغ سيدا غيرى ،  
اذهبى واذا وقع أن السماء التى حرمتنى وأنكرتنى  
ابتسمت لى ، فلا تصدقنى . ان الأمر لا يتجاوز أن  
السماء تسخر منى .

تزوجى الدوق .

دونيا سول : ماذا ؟ ألا يكفى انك مزقت قلبى ، وتريد الآن  
أن تحطمه !! انك لم تعد تحبى .

هرنانى : ويحى . . قلبى ، وروحى . . أنت .

مصدر أشواتى ومبعث صبابتى . . أنت !!  
ألا تريدن أن تهربى يا معبودتى ؟

دونيا سول : لم أعد أريد شيئا الا أن أموت .



هرناني : تموتين ؟ من أجل من ؟ من أجل أنا ؟ أيقع انك  
تموتين من أجل شيء تافه مثلى ؟

دونيا سول : ( وقد أطلقت العنان لدموعها ) هذا ما سيقع  
( تقع على المقعد )

هرناني : ( جالسا الى جانبها ) ويحى تبكين . . تبكين !!  
هذا أيضا ذنب من ذنوبي ومن سيعاقبني عليه اذا  
كنت ستغفرينه ايضا ؟

ومن مخبرك بما أكابد من عذاب عندما أرى دمة  
تغرق النور الذى يسطع في عينيك ؟ ومن وهجه  
استمد نشوتي وسرورى ؟

أفقدنى الموت اصدقائى ، فأصبحت وبقى مس  
من الخيال .  
اعفى عني . .

نى شوق الى الحب ، ولكننى أجهل كيف أحب !!  
أسفاه ، اننى مع ذلك أجدنى غريق حب بعيد  
الأغوار .

أمسكى عن البكاء ، والا فمن الخير لنا أن نموت  
الا لیت لى دنيا بكل ما فيها لأعطيها اباك ؟ !  
ولكن أين لى هذا وأنا تعيس ومحروم ! !

دونيا سول : ( وهى تتعلق بعنقه ) أنت أسدى المغوار الجميل  
. . أحبك .

هرناني : يصبح الحب نعمة كبرى ليس بعدها نعمة ، اذا  
استطعنا أن نفنى به ونموت . .

دونيا سول : أحبك . . مولاي وسيدى أحبك . وانى كلى ملك لك .

هرنائى : ( وهو يلقي برأسه على كتفها ) آه . . ما أعذب طعنة من خنجر تسدها يدك !!

دونيا سول : ( متوسلة ) ألا تخشى عقاب الله . وأنت تبيع لنفسك أن تكلم على هذا النحو ؟

هرنائى : ( وهو ما زال ملقيا برأسه على كتفها ) ليجمع الله اذن بيتنا ، وما دمت تريدان ذلك ، فليكن على هذا الوجه . فاومت كثيرا ولم أعد أطيع . ( الاثنان كل منهما مرتم بين ذراعى الآخر ، وكل منهما يحلق في وجه الآخر في نشوة بحيث لم يعد يرى أو يسمع شيئا ، وكأنهما غابا عن الوجود بعد أن امتص كل منهما صاحبه . . ويدخل روى جومير من باب المؤخرة ، ويرى ماتقدم ذكره فيتسمر في مكانه مبهوتا وذاهلا . )

## المشهد الخامس

هرنائى - دونيا سول - روى جومير

روى جومير : ( على عتبة الباب ، لا يبدى حراكا ، وقد عقد ذراعيه فوق صدره )

هكذا يكون شكر الضيف للمضيف !!

دونيا سول : يا الهى . . الدوق

( تلتفت هي وهر ناني وكأنما أوقظا من نوم عميق )

روى جومير : ( وهو على الموقف السابق ذكره ) كذا يكون

أجرى منك يا ضيفي ؟

إيه أيها المولى الطيب القلب . . اذهب لترى إذا  
كانت أسوار القصر عالية وحصينة ، ولتستوثق  
أن الأبواب محكمة الاغلاق ، وان حملة النبال  
قابعون في الأبراج ، واقطع ساحة القصر ذهابا  
وايابا ، وابحث في مستودع السلاح عن عدة  
قتال تناسب قامتك ، وجرب وأنت في الستين  
أن تعيش فيها .

هذا ما يقضى به واجب الولاء نحوك لنحميك  
ممن يطلبونك ، فانظر إلى ما تقدمه أنت إلينا ،  
بما أنت عليه الآن !!

أيها القديسون ! ! قطعت أكثر من ستين عاما  
من العمر ، شاهدت خلالها الكثير من قطاع  
الطريق ممن تتجاوز جرأتهم كل المحظورات  
شرعت السيف في وجوه مجرمين هم طلبة الجلال  
وصيده ، ورأيت أخلاطا من القتلة والسفاكين ،  
ومن المزيفين ، ومن الخونة ، ووقع بصري  
على من يلبسون زى الخدم - وهم ليسوا من  
الخدم - ليدسوا السم في طعام السادة . .

ووقفت أمام من أسلموا الروح من غير أن  
يباركهم الصليب ، أو تحوطهم مراسم الجنازة ،

علمت بما انتهى إليه أمر ( سفورزا ) (١) و  
( بورجيا ) (٢) و ( لوثر ) (٣) ولكننى  
لم ألتق بفساد وعفن مثل ماأراه ماثلا أمامى !  
من ذا الذى لا يخشى أن تصعقه الصواعق إذا  
جروا على خيانة مضيفه ؟

مثل هذه الخيانة الدنسة لم تكن في زمنى  
مثل هذه الخيانة السوداء تحيل الشيخ الهرم إلى  
حجر وقد وقف إلى عتبة بابه ، وتجعل منه تمثالا  
يصح أن يوضع فوق قبره ، حينما ينخر ميتا ،  
هذا السيد الطاعن في السن .

أيها البربر ، أيها القسطلانيون ، مسلمين كنتم  
أو مسيحيين بماذا تصفون هذا الرجل ؟

( يمر ببصره على الصور المعلقة على الجدران )  
وأنتم يا آل سيلفا جميعا ، يامن تسمعوننى هنا ،  
صفحا إذا قلت ما قلت أمامكم وغفرا إذا دفعتنى

---

١ - هولودفيج سفورزا ولقبه المغربى ، حكم مدينة ( ميلان ) بايطاليا بالسيف  
والنار و دس السم لابن أخيه وغدر بالفرنسيين بعد أن لبوا الدعوة لنجدته ثم هزمه  
لويس ١٢ ومات سجينا فى قصر ( لوثر ) .

٢ - ( سيزار بورجيا ) الابن غير الشرعى للبابا اسكندر السادس ، وشقيق ( ليوكريس )  
التي عالج شخصيتها نفس مؤلفنا فى مسرحية كتبها عام ١٨٣٣ باسم ليوكريس  
بورجيا ومثلت . وعاش سيزار حياة كلها مؤامرات وفضائح .

٣ - ( مارتن لوثر ) مصلح دينى اثار ألمانيا بمطالبه الاصلاحية فى شئون الدين وتجاوز  
هذا الأمر إلى إنغماسه فى مؤامرات سياسية .

سورة الغضب أن أقول ان الدعوة إلى الضيافة  
نصيحة يجفوها بعد النظر !! !

هرناني : ( وهو ينهض ) يادوق . . .

روى جومير : صمتا ( يمشى روى جومير أمام الصور في  
خطوات قصيرة وهو يمسحها بنظراته أيها الموتى  
المقدسون يا أسلافي . أيها الرجال الأشداء  
يامن ، عركوا من يأتي من الجنة أو تقذف به جهنم  
الأخيار منهم والأشرار ، قولوا أيها السادة من  
أية طينة جبل هذا الرجل ؟ ليس هذا من يسمى  
هرناني ، هل أسميه يهوذا ؟ حاولوا أن تتكلموا  
لتذكروا لي اسمه .

( وهو يعقد ذراعيه فوق صدره )

هل شاهدتم طيلة حياتكم شيئاً مثل الذي يجري  
في هذا المكان الآن ؟ لا ....

هرناني : أيها المولى الدوق

روى جومير : ( وهو مستمر في مناجاة الصور ) ترون ؟ ها  
هوذا يجرو على الكلام . . هذا الوغد ، ولكنكم  
تقرأون في طوايا نفسه ما يفوتني أن أراه .

لا تصغوا اليه . . هو خب مخادع . .

يتوقع بلا ريب ، أن يرى ذراعي تمتد اليه  
لتلطيخ بدمه سقف بيتي .

بل هو يؤمل أن تتمخض ثورتى عن انتقام يضرب  
به المثل . .

سيقول لكم انه مطارد التجأ إلى . وسيتمسح ،  
من أجل خلاصه . بأسماء الأجداد من آل  
« سيلفا » و « لارا » وبأنه ، فوق كل هذا .  
ضعيف و ضعيفكم .

يا أجدادى ياسادتى . هل أذنبت فيما وقع ؟  
كونوا حكما بينى وبينه .

هرنانى : أى روى جومير دى سيلفا ، إذا ارتفع نحو السماء  
جبين ملوؤه النبل . .

إذا كرم قلب ، وعلت نفس ، فلن يكون ذلك  
الجبين غير جبينك ، ولن يكون هذا القلب  
وتلك النفس ، غير . . قلبك ونفسك ، أيها المولى .  
يا مضيعى الكريم ، أقر بأننى مخطئ ومدنب ،  
وليس عندى ما أزيد ، إلا أننى هالك ملعون  
مقضى عليه بالعذاب .

نعم اختطفت امرأتك . .

نعم أردت أن أغطى فراشك بالدنس .

نعم أنا العار . . والفضيحة .

أسفك دمي ، ثم نظف سيفك منه ، ولا تفكر  
بعد ذلك فيما وقع .

دونيا سول : أيها المولى ، ليس هو المجرم . . أسفك دمي  
أنا وحدى .

هرنانى : صممتا يادونيا سول ، ان هذه الساعة رهيبة ،

وهي لي وحدي . إذ لم يبق لي سواها . ولهذا  
اتركيني أعبر عن نفسي إلى الدوق

أيها الدوق - وصدق هذه الكلمات التي هي  
آخر ما أقول - أقسم لك اني أنا المجرم الآثم  
وحدي . وهي الطاهرة الذيل النقية العرض .  
هذه هي المسألة في جوهرها : أنا المجرم وهي  
البريئة ، فامنحها ثقتك ، وجد عليّ بضربة من  
سيفك أو بطعنة من خنجرك ، هذا ما يجب أن يكون  
ثم لك أن تقذف بجثتي من الباب ، وأن تنظف  
الأرض من دمي ، إذ لم يعد يهمني شيء بعد الآن .

دونيا سول : أنا وحدي المسئولة عما وقع . . لأنني أحبه .

( يتنفض الدوق عند سماعه العبارة الأخيرة .  
ويستدير نحو دونيا سول ويحدجها بنظرة قاسية  
فلا تملك الا أن ترتمي على ركبتيها )  
نعم أحبه . . وأرجوك المغفرة . . أحبه يا مولاي .

روي جومير : تحيينه ! ! ( الى هرناني ) ارتعدى مما ستلاقين  
( تسمع ضجة ، وأبواق تصدح في الخارج  
ويدخل ( وصيف ) ماذا في الأمر ؟

الوصيف : ان الملك ، يامولاي قدم يتبعه فريق من حملة  
النبال ، وحامل البوق هو الذي يعلن الآن عن  
قدوم سموه

دونيا سول : رباه الملك . . هاهي ذي الضربة الأخيرة .

الوصيف : ( الى الدوق ) وهو يسأل لماذا أوصدنا أبواب القصر ، ويريد أن تفتحوها .

روى جومير : افتحوا الأبواب للملك .

( ينحني الوصيف ويخرج )

دنيا سول : ضاع هرناني

( روى جومير يتجه نحو اللوحة التي تضم صورته والقائمة في آخر الجدار الأيسر ، ويضغط على لولب خفي فتتفرج اللوحة عن باب لمخبأ داخل في الجدار )

روى جومير : ( ملتفتا الى هرناني ) أيها السيد (١) أدخل هنا

هرناني : رأسي ملك لك أيها السيد ، فتصرف بها كيفما تشاء ، واني لأسيرك .

( يدخل المخبأ ويضغط روى جومير على اللولب فينغلق الباب وتعود اللوحة الى مكانها )

دونيا سول : ( الى الدوق ) رحمة بنا أيها المولى

الوصيف : ( يدخل معلنا ) حضرة صاحب السمو الملك .

( تبادر دونيا سول بأن تسدل خمارا على وجهها ، وينفتح الباب الخفي على مصراعيه ، يدخل دون كارلوس في لباس الحرب يتبعه رهط من النبلاء مدججين بدورهم بالسلاح وخلفهم جنود مسلحون بالنبال وبغيرها من أسلحة الحرب )

---

(١) - على الرغم مما وقع بين روى جومير وهرناني ، فان الأول يعتبر الآخر ضيفا وله حرمة ، والضيف دائما جدير بالاحترام من جانب المضيف .



## المشهد السادس

روى جومير - دونيا سول - دون كارلوس - أتباع

( يدخل دون كارلوس في خطى وثيدة ، ويده اليسرى على مقبض سيفه ، وقد استقرت يده اليمنى على صدره . ويحجج الدوق بنظرة ملوؤها الغضب ، ويتقدم الدوق نحو الملك محيا وينحني أمامه انحناءة كبيرة ، وتمر برهة من الزمن يسودها صمت متوتر . . .

ويتقدم الملك ليقف أمام الدوق ، فيرفع هذا رأسه )

دون كارلوس : ما السبب في أن أرى باب قصرك اليوم محكم الاغلاق بالرتاج يا بن العم ؟

وحق القديسين ، كنت أحسب أن سيفك قد أفقد الصدا لمعته ، وما كنت أظن حينما أجيئك زائرا ، أن أرى هذا السيف ، عاوده بريقه واستقر في قبضة يدك ! !

( يحاول روى جومير أن يتكلم ولكن الملك يقطع عليه الأمر في حركة حادة )  
ألا ترى انه فاتك الزمن الذي تتعاطى فيه الشباب والفتوة ؟

هل جئنا اليك نحمل فوق رؤوسنا عمائم المغاربة ؟

هل هم يدعونني ابا عبدالله (١) أو محمد (٢)

---

١ - آخر ملوك العرب بالأندلس وقد هزمه وطرده من الأندلس الملك فرديناند الكاثوليكي ١٤٨١ .

٢ - يعنى المسلمين .

ولست كارلوس ؟ أجب . . لم أنزلت الباب  
الحديدي المشبك وأغلقت مدخل القصر . بعد أن  
رفعت الجسر الذي يؤدي إليه ؟ ؟

روى جومير : ( منحنيا في تحية ) مولاي ..

دون كارلوس : تسلموا مفاتيح القصر ، واحرسوا الأبواب  
( يسرع ضابطان بالخروج ، ويقوم غيرهما  
بتنظيم الجنود في صفوف تملأ ما بين الباب الكبير  
والمكان الذي يقف فيه الملك )  
( ويلتفت دون كارلوس الى روى جومير )  
آه . . أنت تعمل اذن على بعث التمرد وإيقاظ  
العصيان ؟

وربى . . اذا خطر لكم أيها السادة الدوقات أن  
تسلخوا معى هذا المسلك ، فان الملك لن يتوانى عن  
حزم الأمور معكم ، حزم من يرى الأخطار تحيط  
به سأنهض بنفسى ، وأطلق يدي اللتين ألفتا القتال  
للقضاء على سيادتكم بأن أدك حصونكم .

روى جومير : ( رافعا قامته ) يا صاحب السمو . ان آل سيلفا  
يدينون لكم بالولاء . .

دون كارلوس : ( مقاطعا ) من غير موارد تكلم يادوق ، والا  
أمرت بأن تسوى بالارض أبراجك الأحد عشر  
من الحريق الذى أطفأناه بقيت شرارة . .  
قضينا على جميع قطاع الطرق ، ولم يبق حيا غير  
رئيسهم .

ومن يتستر عليه ؟ أنت بعينك .

هرنانى . هذا المتمرّد الذى يدس سموم الفتنة ،  
هنا فى قصرك ، وأنت تحبوه .

روى جوميز : أيها المولى هذا حق .

دون كارلوس : حسن جدا ، أطلب رأسه . أو أقطع رأسك ،  
أسمعنى يا بن العم ؟

روى جوميز : ( منحنيا فى احترام ) الأمر أقل أهمية من أن  
يشغلك . ولسوف ترضى .

( دونيا سول تغطى وجهها بيديها وتسقط على  
مقعد )

دون كارلوس : ( وقد خفت حدة غضبه ) آه . . أراك تتدارك  
أخطاءك . . . اذهب وأتى بأسيرى

( يعقد الدوق ذراعيه فوق صدره ويخنى رأسه  
وقد استغرقه تفكير عميق . الملك ودونيا سول  
يراقبانه فى صمت ، وكل منهما تمزقه عوامل  
نفسية . وأخيرا يرفع الدوق رأسه ويتقدم الى  
الملك ويأخذ بيده ويسير به برفق أمام اللوحات  
المعلقة بالجدران ليقف أمام أقدام اللوحات ،  
وهى الأولى فى البهو من ناحية يمين المتفرج )

روى جوميز : ( وهو يشير بيده الى اللوحة ) هذا هو الأكبر  
والاعظم من آل سيلفا ، وهو رأس العائلة ،  
والجد الأول ( دون سيلفيوس ) الذى نصبته روما  
قنصلا ثلاث مرات يحكم فيها .

( ينتقل الى لوحة أخرى )

وها نحن أمام ( دون جالسيران دي سيلفا ) ومقامه  
مقام ( السيد ) ويحرسون له في بلده ( تورو )  
القريبة من مدينة ( الوليد ) صندوقا مذهبا تملأه  
مخلفات قديسين ، وتضيء حوله ألف شمعة ،  
لأنه حرر مدينة ( ليون ) من جزية المائة عذراء  
التي كانت ترسلها الى المغاربة

( أمام لوحة أخرى )

« دون بلاس » الذي أسلم نفسه مختارا الى النفي  
الدائم ، لأنه أحس بأنه لم ينصح الملك النصح الصائب .  
وهذا هو « كريستوفال » حضر معركة « أسكالونا »  
فرأى الملك « دون صانش » وهو يفر على قدميه  
وريشته البيضاء مغروزة في خوذته وقد انهالت  
عليها ضربات السيوف وصاح مستنجدا « كريستوفال »  
فكان أن نزع كريستوفال الريشة وغرزها في  
سرج جواده .

( أمام لوحة أخرى )

« دون جورج » الذي دفع فدية « رامير » ملك  
أراجون الى البرابرة في نظير اطلاق سراحه

دون كارلوس : ( وقد عقد ذراعيه على صدره وهو يتأمل الدوق  
من رأسه الى موطئ قدميه ) وربى ، انى لمعجب  
بك يادوق . . ولكن ائنى بأسيرى .

روى جوميز : ( وقد سار بالملك الى لوحة أخرى ) وهالك « روى  
جوميز دي سيلفا » الأستاذ الاكبر الذى تزين

صدره أرفع أوسمه الفروسية « سان جاك » و  
« كالاترافا » كانت لأمته الحربية بسلاحها  
وبدروعها الفضيضة لا تصالح لقاماتنا ، غنم مائة  
راية ، وانتصر في ثلاثين معركة و كسب للملك  
مدن « موتريل » و « أنتكوبرا » و « فيجار » ،  
ومات فقيرا معلما . . يا صاحب السمو فلنحي  
البطل . .

( يخلع روى جوميز غطاء رأسه وينحني انحناءة  
طويلة ثم يتقدم الى لوحة أخرى هذا  
والملك يصغى اليه وقد عيل صبره و بدأ الغضب  
يتقد في صدره ) والى جواره يقف ابنه « جيل »  
المحبيب الى النفوس التي تعلق شأن الولاء .

كانت يده اذا ارتفعت تقسم ، تساوت هذه اليه  
بأيدي الملوك . ( منتقلا الى لوحة أخرى )

« دون جاسيا » وهو في نسبه العريق يرجع الى أسرتي  
« دي ماندوس » و « دي سيلفا » إن كل بيت عريق  
وشريف إنما تمتد جذوره الى عائلة « دي سيلفا »

دون كارلوس : ( وقد نفذ صبره ) ماذا . . أتسخر من نفسك ؟

روى جوميز : ( متقدما نحو لوحات أخرى ) وهاك « دون

فاسكينز » الملقب بالحكيم . . و « دون جايم »  
وشهرته القوى العملاق . ووقع ذات يوم ان  
اعترض طريقه « زاميت » أمير البربر ومعه  
مائة من الأعوان ، فتلقاهم بمفرده واستطاع أن  
ينجو بنفسه !!

( وتجاوز عن ذكر آخر من الأجداد، وكلهم  
من خيار الناس . )

( تبدر من جانب الملك حركة تم عن غضب  
يتصاعد في صدره فيتجاوز روى جوميز عن  
التعليق على عدد آخر من اللوحات حتى ينتهي الى  
اللوحات الثلاث الأخيرة ) وهذا هو جدى النيل  
الأنى ، عمر إلى الستين ولم ينقض عهدا عقده  
مع أحد حتى مع اليهود .

( وقد صار أمام اللوحة التي تسبق اللوحة الأخيرة )  
هذا الشيخ . . هذه الرأس المقدس ، هو رأس أبي  
كان بالغ العظمة وان جاء في آخر الصف -  
حدث أن أسر برابرة غرناطة صديقه الكونت  
« ألفار جيرون » ، وهب والدى لنجدته ، فاختار  
ستمائة من رجاله المحاربين كما صاغ من الحجر  
تمثالا لصديقه كان يسحبه وراءه وهو ماض في  
طريقه الى خلاصه من أسره وقد أقسم بشفيعه  
أنه لن يتراجع الا أن يرى التمثال يدير  
رأسه الى الوراء ، أو ينكص على عقبيه ، وحارب  
وانتصر وفك أسر صديقه ، وأعادہ سالما !!

دون كارلوس : أريد أسيرى .

روى جوميز : « هو من آل سيلفا وكفى » هذا ما يقوله عن أيهم  
بين هؤلاء ، من يقف في هذا المكان ويشاهد  
هؤلاء الأبطال .

دون كارلوس : أسيرى أريده في الحال .

( ينحني روى جوميز انحناءة طويلة أمام الملك ،  
ثم يتناول يده ويسير به الى أمام اللوحة الأخيرة  
التي يقوم وراءها المخبأ الذي فيه هرناني وتتبعه  
أثناء ما تقدم نظرات محمومة من جانب دونيا  
سول . ثم تعقب ما تقدم فترة صمت قصيرة )

روى جوميز : وهذه الصورة لى . وشكرا لك أيها الملك دون  
كارلوس ، لانك تريد أن يقول الناس اذ يرونها  
في هذا المكان . وهذا الأخير الذي انحدر من  
اصلاب مجيدة كان خائنا حقيرا : اذ ارتضى أن  
يبيع رأس ضيفه .

( تهتز دونيا سول فرحا ، وتخيم الدهشة على  
الحاضرين ، هذا في حين أن الملك يتفصد ضيقا  
وغضبا ، فينحدر خطوات من مكانه ، وقد مزقه  
الغضب فاذا شفتاه ترتعشان والعينان تتقدان )

دون كارلوس : يادوق ، أرى قصرك هذا يضايقني ، فلا بد من  
أن أسويه أرضا .

روى جوميز : لا بأس ، مادمت ستقدي ثمنه . . أليس كذلك؟

دون كارلوس : سأجعل أعلى هذه الأبراج أسافلها . . واجتثها  
من أصولها جزاء جرأتك هذه يادوق ،  
ثم سأجعلهم يزرعون القنب مكانها

روى جوميز : لأن أرى القنب يزكو في مكان أبراجي ، خير  
من أن أصم اسم سيلفا العظيم بوصمة عار .

( مخاطبا اللوحات )

أليس ما أقوله هو الحق الصريح ؟ أجيئوا جميعكم

دون كارلوس : أيها الدوق . . رأس هذا الثائر لنا ، وقد سبق لي  
وعد منك بذلك .

روى جومير : وعدت برأس من رأسين .  
( مخاطبا اللوحات )

أليس ما أقول هو الحق الصريح ؟ ( مشيرا الى  
رأسه ) اني أعطى هذا الرأس فخذ

دون كارلوس : حسن جدا يدوق ولكن هذه صفقة خاسرة بالنسبة  
لي وشكرا

الذي أطلبه هو رأس في اذا ما سقط أمكن حمله  
من شعر رأسه . أما رأسك فلا يهمني ، لأن الجلاذ  
سيحاول عبثا حمله ، اذ الشعر في هذا الرأس  
لا يملأ قبضة يده .

روى جومير : يا صاحب السمو ، أمسك عن الالهانه ان رأسي  
ما زال جليلا ، وهو أعلى قيمة من رأس عاص  
شرير . انه رأس لأحد أسرة ( سيلفا ) . . أراك  
ممتعضا . . .

دون كارلوس : أسلمني هرناني .

روى جومير : مولاي قلت كلمتي :

دون كارلوس : ( الى أعوانه ) نقبوا في كل مكان ، لا تركوا  
جناحا ، ولا كهفا ، ولا برجاً دون أن تمعنوا في  
تفتيشه .

روى جومير : ان أبراج قصرى أمينة مثلي والسر لا يعرفه غيرى  
وغيرها ، وكلانا حربص على ألا يبوح به .



- دون كارلوس : أنا الملك .
- روى جومير : لن تحققوا رغبتكم الا اذا هدمتم القصر حجرا حجرا وجعلتم من أنقاضه قبرا لى
- دون كارلوس : لم يجد معك رجاء أو تهديد . يادوق أسلمنى قاطع الطريق وإلا أزلت رأسك والتصر
- روى جومير : قلت كلمتى .
- دون كارلوس : حسن ، بدلا من رأس واحد ، سيكون لى رأسان ( الى الدوق الكالا )
- جورج ، الق القبض على الدوق
- دونيا سول : ( وقد نرعت عنها خمارها ووقفت بين الملك والدوق من ناحية وبين الجند )
- أيها الملك دون كارلوس ، أنت ملك سيئ .
- دون كارلوس : يا الهى ! من أرى . . دونيا سول ؟
- دونيا سول : يا صاحب السمو ، ليس لك قلب اسبانى
- دون كارلوس : ( وقد مال بجسمه من شدة الاضطراب ) ياسيدتى أراك قسوت في حكمك على الملك .
- ( يقرب منها ويتحدث اليها هامسا )
- أنت التى أثرت هذا الغضب في نفسى ، ان الرجل ينقلب ملاكا أو شيطانا اذا اقترب منك ، وسرعان ما يصبح شريرا اذا أحس أنه غير محبوب من جانبك ، ولو انك استجبت الى ، أيتها الشابة ، ربما كنت أبدوا عظيما الآن ، أغدو

أسد قشتالة . انك جعلت مني . بغضبك على ،  
نمرا شرشا ، وهما هو ذا يزأر . فلنمسك عن  
الكلام .

( ترميه دونيا سول بنظرة قاسية يجيب عليها  
بأخناءة تفيض بالاحترام )

ومع كل هذا ، سأنزل على ماتريدين

( موجهها الكلام الى الدوق )

يا بن العم ، اني أقدر موقفك هذا ، وأراك  
بتصرفك انما تصدر عن ضمير حي ونفس عالية .  
كن وفيا لضيفك وغير وني للملك . حسن جدا ،  
اني أصفح عنك لأنني خير منك . ويكفي فقط أن  
أخبرت ابنة رهينة عندي .

روى جومير : فقط

دونيا سول : ( مرتاعة ) أنا يا مولاي ؟

دون كارلوس : نعم أنت ولا شيء أكثر من ذلك .

روى جومير : ولا شيء أكثر من ذلك ! ! يا للرحمة الرحيمة ،

ويا لها من رأفة تلك التي تصدر عن القادر  
المنتصر ، حينما يبقى على الرأس ويعذب القلب . .  
ياللصفح الجميل ! !

دون كارلوس : لك أن تختار تسليم دونيا سول أو الخائن ، لا بد  
لي من أحدهما .

روى جومير : أنت صاحب الأمر فاقض بما تريد .

( يتقدم دون كارلوس نحو دونيا سول ، ولكنها  
تتجه الى روى جومير )

دونيا سول : أغثبي . . أنقلنى . ( تم تمسك عن الكلام وتحدث  
الى نفسها )

ياشقوقى ! ! تحتم أن يأخذ رأس عسى أو رأس  
هرنانى . . لماذا لا يأخذ رأسى أنا ! !

( الى الملك )

أسير معك

دون كارلوس : ( الى نفسه ) وحق التديسين ، نجح تدبيرى ،  
( الى دونيا سول ) بحب أن تترقى بنفسك وتتلطفى  
يا أميرتى .

( دونيا سول تسير نحو الصندوق الذى يحوى الحلوى  
وتأخذ منه خبزجرا تخفيه في صدرها ويسير نحوها  
دون كارلوس ويقدم يده اليها يدعوهما الى  
مبارحة المكان )

دون كارلوس : وماذا أخذت من الصندوق ؟

دونيا سول : لاشيء .

دون كارلوس : حلية ثمينة ؟

دونيا سول : نعم .

دون كارلوس : أرنيها . .

دونيا سول : سترها .

( وتمد يدها اليه ويتهيأن للخروج . روى جومير )

وكان واقفا لا يبدى حراكا يلتفت فجأة الى ما يجرى ، ويتقدم بضع خطوات وهو يصيح

روى جومير : : دونيا سول ! يا أرض !! يا سماء !! ماذا .  
تذهب عني دونيا سول ؟

أنجديني يا أسلحتي ، وأنت أيتها الجدران تهدمي  
فوق رأسي مادام هذا الرجل يتصرف بلا قلب  
ولا رحمة .

( وهو يجرى نحو الملك )

أترك لي ابنتي . ليس لي أحد سواها أيها الملك .

دون كارلوس : ( وهو يترك يد دونيا سول ) أعطني أسيري .

( ينخفض روى جومير رأسه وقد مزقه الألم  
والحيرة ثم يرفع رأسه ثانية مصوباً نظراته الى  
اللوحات السابقة الذكر ، ثم يمد ذراعيه نحوها )

روى جومير : : كونوا رحماء بي . . أنتم جميعا .

( يخطو خطوة نحو المخبأ فتبعه دونيا سول بنظراتها  
المدعورة ، ولكنه يلتفت الى اللوحات ويخاطبها )  
غضوا من أبصاركم ، فان نظراتها تشل ارادتي  
( ويسير مترنحا نحو المخبأ ثم يستدير فجأة نحو  
الملك )

تريد أن تأخذه ؟

دون كارلوس : نعم .

( يرفع الدوق يدا مرتعشه نحو اللولب )

- دونيا سول : ربي . . .
- روي جومير : لا ، لا . ( يمشو عند أقدام الملك )  
باسم الرحمة ، خذ رأسي
- دون كارلوس : بل آخذ ابنة أخيك
- روي جومير : ( وقد هب واقفا ) خذها اذن ، وأبق لي شرقي
- دون كارلوس : ( يعود الى أن يمسك بيد دونيا سول ) الوداع  
يا أدوق .
- روي جومير : بل الى لقاء .
- ( يتابع بنظراته خروج الملك مع دونيا سول من  
الباب الكبير ثم يضع يده على مقبض خنجره )  
ليحرسك الله أيها المولى .
- ( ثم ينحدر الى مقدمة منصة التمثيل وهو يجسر  
قدميه جرا ، وقد جمدت ملامح وجهه حتى  
ليبدو وكأنه لا يرى ولا يسمع . ثم يعقد ذراعيه  
فوق صدره في حركة عصبية )
- ( وفي أثناء ما تقدم يخرج الملك مع دونيا سول  
ويتبعه الأشراف مثنى مثنى ، وتبعاً لمستوياتهم  
الاجتماعية ، ثم تخرج الحاشية فالجنود )
- روي جومير : ( على انفراد ) أيها الملك ، بينما تبرح أنت داري  
فرحا جذلان فان ولأني القديم لك يبرح قلبي الباكي .  
( يدبر نظراته في أنحاء المكان ، واذ يستوثق أنه  
أصبح منفردا ، ينتزع سيفين من شكمة سلاح

مثبتة بأحد الجدران . وبعد أن يضاهاى بينهما  
ويقارن يضعهما فوق المنضدة . ثم يتجه نحو  
الاطار الذى يتضمن صورته ويضغط على اللواب  
فينفتح الباب الخفى .

## المشهد السابع

روى جومير - هرنانى

روى جومير : أخرج .

( يبدو هرنانى أمام الباب الخفى ويشير «جومير»  
بيده الى السيفين فوق المنضدة )

اختر أحدهما . خرج دون كارلوس ، وحنان  
الوقت الآن لتصفية حسابنا .

اختر أحد السيفين وعجل . . ما هذا ؟ ان صدك  
ترتجف !

هرنانى : مبارزة ؟ لا يمكن أن تقوم ، لانك شيخ طاعن  
في السن .

روى جومير : ولم ؟ انك خائف ؟ ألم تكن يوما من النبلاء فيحق  
لى أن أقرع لسيفى سيفك ؟ يا للجهيم . . نبيلا  
كنت أو لم تكنه . فان اهانتك لى ترفعك الى مقام  
النبلاء .

هرنانى : أيها الشيخ .

روى جومير : أيها الشاب ، تقدم ، إمّا قضيت عليك ، وإمّا  
قضيت أنت علىّ

هرناني : بل اقض أنت على . أنقذت حياتي على الرغم  
من أنك عرفت كل شيء عن حبي فحياتي ملك  
لك . . خذها

روى جومير : أهذا ماتريد ؟ ( مخاطبا الصور ) اشهدوا جميعا .  
هو يريد أن آخذ حياته .

ليكن . . قم بصلاتك .

هرناني : بل اليك أيها المولى صلاتي الأخيرة .

روى جومير : ارفعها الى المولى العظيم .

هرناني : لا . . لا بل اليك أنت أيها الشيخ . اقتلني . فكيفما  
كان قتلي ، بضربة سيف أو فأس ، أو خنجر ،  
فانه قتل محب إلى ، ولكن يحق الرأفة . حقق لي  
هذه الأمنية الكبرى ، قبل أن ألقى حتفي ، اسمح  
لي أن أراها .

روى جومير : تراها ؟

هرناني : أو اسمح لي أن أسمع صوتها على الأقل ، وللمرة  
الأخيرة ، لاشيء أكثر من سماع هذا الصوت !!

روى جومير : تسمع صوتها !!

هرناني : نعم أدري مبلغ غيرتك عليها أيها المولى . ولكن  
ما الغيرة من شخص مقدم على أن يودع الشباب  
والدنيا وأرجوك المندرة !! قل لي أتريد أن أتريد  
أن أسمع صوتها من غير أن أراها اذا لزم الأمر ؟  
انني سأموت هذا المساء . . أسمع صوتها لأكثر .  
أطفئ هذا الشوق ولكن شد ما اسلم الروح في

راحة وشفاء . اذا تفضلت قبل أن أهرب الى السماء ، أن أرى روحى في عينيها ، وهى تتراءى لتطالع روحها . لن أنبس بينت شفة . ستكون أنت هناك يا أبى . وستأخذنى بعد ذلك للقاء منيتى

روى جوميز : ( مشيراً بيده الى المخبأ الذى ما برح بابه مفتوحاً )  
عجبا ! هل بلغ هذا المخبأ من الصمم ومن العمق  
ومن الاحكام في الغلق ، بحيث أنه لم يكن يسمع  
شيئاً مما كان يجرى هنا ؟

هرنانى : لم يصل الى أذنى أى شىء .

روى جوميز : كان على أن أسلم دونيا سول أو أسلمك .

هرنانى : لمن ؟

روى جوميز : للملك .

هرنانى : يا للشيخ الغبى الغافل ! إنه متم بها .

روى جوميز : متم بها !!

هرنانى : اختطفها من أيدينا . هو غريمنا ومنافسنا في حبها

روى جوميز : يا للجنة !! يا رجالى الى جياذكم ، الى جياذكم

وطاردوا هذا السلاب المغتصب . اصغ الى

الانتقام الواثق في خطاه لا يحدث جلبة فى مسيرته .

انى ملك يدريك وفي وسعك أن تقتلنى . ولكن

ألا تريد أن تجعل منى أداة لأثار لابنة أخيك

ولشرفها ؟ ان لى ضلعا في هذا الثأر فلا تحرمنى

متعة المشاركة فيه ، امنحنى هذه الأكرومة .

إنى أقبل قدميك إذا لسزم الأمر من أجل منحنى



هذه المشاركة . فلنقتف نحن الاثنان اثر الملك .  
تعال . . سأكون منك الساعد الذى يثأر لك . ولك  
بعد أن يتم ثأرك . أن تقتلنى .

روى جوميز : وهل ترضى أن تقتل اذ ذاك ، كما أنت راض  
الآن ؟

هرنانى : نعم يا دوق .

روى جوميز : وبم تقسم ؟

هرنانى : برأس أبى .

روى جوميز : أيقع أن تذكر هذا ولا تنساه ؟

هرنانى : ( يقدم اليه البوق بعد أن ينتزعه من حزامه )

أصغ . . اليك هذا البوق ، ومهما يقع من أمر ،  
وحيثما تكون أنت ، وفي أية ساعة ، اذا رأيت  
أيها المولى أن موتى قد تحتم ، فما عليك الا أن  
تنفخ في هذا البوق ، فيتحقق لك ما رأيت من  
غير عناء . .

روى جوميز : ( يمد يده الى هرنانى ) هات يدك ولنتعاهد .

( يشد كل منهما على يد الآخر في مصافحة ثم  
يلتفت روى جوميز الى الصور ) أنتم جميعا كونوا  
شهودا عليه .

( ستار )



## الفصل الرابع

### القبر

مدينة اكس لاشايل (١)

المغائر والكهوف التي تحوى قبر شارلمان في مدينة (ايكس لاشايل) في جانب منها تقوم عقود كبيرة من البناء على النمط اللومباردى . وفي الجانب الأخرى تنهض أعمدة قصيرة تحمل أقواسا مستديرة ، استقرت على تيجان تلك الأعمدة ، وهي تيجان تحمل نقوشا للطير والزهر .

والى اليمين يقوم قبر شارلمان . هو بتصورة ذات باب غير مرتفع مصنوع من البرونز وقد جاء أعلاه على شكل عقد مستدير ، هذا ويندى مصباح واحد قد ثبت بمسمار في جدار ، ويضئ ما جاء مكتوبا على لوحة . . ( شارلمان ) .

الوقت ليل ، ولا يمكن للعين أن ترى ما هو قائم في أعماق هذا المكان ، بل ان النظر قد يفضل وسط هذه العقود والأعمدة التي تتكاثف تارة وتتعارض تارة أخرى وسط هذا الظلام .

---

١ - الواقع التاريخي ينص على أن انتخاب الامبراطور جرى في مدينة (فرانكفورت) وليس في مدينة (ايكس لاشايل) ، ولكن المؤلف خالف هذا الواقع ، وأجرى هذا الانتخاب في هذه المدينة التي تتضمن قبر (شارلمان) من أجل أن يفسح المجال لتأملاته وانتفاضاته وهو واقف أمام هذا القبر .

## المشهد الأول

دون كارلوس - دون ريكاردى رو كاس -  
كونت دى كازابالما

( يحمل أحدهم مصباحا . وقد تدثر كل منهم  
في عباءة وأرخی أطراف قبعته على وجهه )

دون ريكاردو : ( وقبعته في يده ) . هنا في هذا المكان .

دون كارلوس : هنا يجتمع المتآمرون ، وهنا سأضع يدي عليهم جميعا .  
أيه أيها السيد « تريف » <sup>(١)</sup> ! ! سيكون هنا  
الاجتماع . أعرتهم هذا المكان ليجمعوا فيه ! !  
حقا انه لاختيار موفق ، اذ ما أسرع ما تنمو  
المؤامرة وتزكو وهي تتنفس ریح الرفات ، وانه  
لأمر صائب أن تشحذ الحناجر على رخام المقابر ! !  
الا أنى أراهم يبالغون في لعبتهم ويركبون الخطر .  
ان قطف الرأس هو الرهان في هذه اللعبة ،  
وسوف نرى أيها السادة القتلة . يا لله ! ! لقد أصابوا  
اذ اختاروا مدفنا لهذه اللعبة ، اذ بهذا يختصرون  
من طريقهم اليه .

( الى دون ريكاردو )

هذه الكهوف تحت الأرض . . هل تمتد الى بعيد؟

دون ريكاردو : حتى الحصن

دون كارلوس : هذا أكثر مما يحتاجون اليه لضم رفاتهم .

---

١ - هو كبير أساقفة مدينة ( ايكس لاشابيل ) وأحد الناخبين المعادين لدون كارلوس .

دون ريكاردو : ومن الناحية الأخرى تمتد الكهوف الى ديسر  
« التانهايم »

دون كارلوس : حيث قضى « رودلف » على « لوثر » . حسن ..  
مرة أخرى ياكونت أعد ذكر الأسماء ،  
والشكاوى ، وأوضح أسبابها وبواعثها .

دون ريكاردو : جوتا ..

دون كارلوس : أعرف لماذا يتآمر الدوق الجرىء .. هو يريد  
ألمانيا من ألمانيا لتولى حكم الامبراطورية .

دون ريكاردو : هو هينبورج

دون كارلوس : هو هينبورج ، كما أعتقد ، يفضل الجحيم وهو  
في صحبة « فرنسوا » ملك الفرنسيين ، على أن  
يكون مصاحبى بالحناءة .

دون ريكاردو : دون « جبل تلبرج جرون »

دون كارلوس : بحق قشتالة والسيدة العذراء ، انه ليشق عصا  
الطاعة على مليكه ، هذا الغارق في حزنه وكده .

دون ريكاردو : يحكون أنه وجدك ، ذات ليلة ، مندسا في حجرة  
زوجته ، وانك من أجل ذلك رفعتة الى مرتبة  
« بارون » ، ويبدو أنه يريد أن يثار لشرف زوجته  
الرقية .

دون كارلوس : ومن أجل ذلك يثور ويرفع راية العصيان في  
اسبانيا ؟

ومن غير هؤلاء ؟

دون ريكاردو : يذكرون اسم نيافة أسقف أنيلا .

- دون كارلوس : وهل هو أيضا يتآمر ليثأر لعرض زوجته ؟
- دون ريكاردو : ثم « جوزمان دي لارا » وهو ممتعض وغير راض ويطلب بأن تكون له قلادة الوسام الذي أصدرته
- دون كارلوس : آه . . . جوزمان دي لارا ! ! إذا كان كل مطالبه هذه القلادة فستكون له
- دون ريكاردو : دوق دي لوتزيلبورج . . . وينقلون عنه . . .
- دون كارلوس : ( مقاطعا ) دوق دي لوتزيلبورج له رأس تشمخ أكثر مما يجب .
- دون ريكاردو : جوان دي هارو الذي يطلب بأن يكون له ملكية مدينة استورجا .
- دون كارلوس : آل هارو يضاعفون دائما من أجر الجلاد .
- دون ريكاردو : ذكرتهم جميعا ، كل المتامرين .
- دون كارلوس : كل هؤلاء لايساوون رأسي ، أيها الكونت . ذكرت منهم سبعة ولم ينته حسابي بعد .
- دون ريكاردو : تجاوزت عن ذكر نمر من قطاع الطرق يعملون بأجر من جانب « تريف » أو من جانب فرنسا .
- دون كارلوس : نفاية من رجال لا وزن لهم ، خناجرهم دائما مشحوزة لأن تعمل ، ويدورون في فلك من يبذل لها الأجور الكبيرة . كما تدور ابرة البوصلة نحو القطب .
- دون ريكاردو : الا أنه لفتني بينهم رفيتمان جريثان انضما الى الجماعة جديثا أحدهما شاب والآخر شيخ .

دون كارلوس : ما اسمهما ؟

( رفع دون ريكاردو كتفيه اشارة الى أنه  
لا يعرف ما السن التي عليها كل منهما )

دون ريكاردو : الشاب في العشرين . . .

دون كارلوس : خسارة !

دون ريكاردو : والشيخ تجاوز الستين .

دون كارلوس : الأول ما برح في أول العمر والآخر تجاوزه . شيء

يوسف له . سأعنى بهما ، وللجلاد أن يعتمد على

مساعدي ، اذا لزم الأمر ، انى سأجرد سيفي من

بهرجه ليتلطح بالدم وهو يطيح برءوس الخارجين

والعصاة . بل انى لأعير هذا السيف للجلاد

اذا ثلمت فأسه . واذا لزم الأمر ، أيها الكونت ،

فإنى سأوسع من الرقعة التي تغطي منصة الاعداء

بأن أخبط بسوادها أرجوان ردائى الملكى . ولكن

هل أصبح حقاً الامبراطور ؟

دون ريكاردو : المجلس المقدس يعقد الآن جلسته ويتبادل الرأى

ويدير الامر .

دون كارلوس : ترى ما عسى أن يكون أمرى معهم ؟ قد

يختارون فرنسوا الأول ، أو ينتخبون ذلك

السكسونى فردريك الحكيم الذى ينتمى اليهم .

آه ان « لوثر » كان على صواب فالأمور تسير

سيرا سيئا .

ايه أيها الناخبون ، يا صناع القاب أصحاب الجلالة  
المقدسة (١) ! !

أراهم لا يخضعون في انتخابهم الا للأسلوب الذي  
يحمل رنين الذهب .

فهناك سكسونى مارق في عقيدته الكاثوليكية . .  
وهناك « كوزنت » يسمونه « البلاتيني » وهو  
مدخول في عقله . . .

ثم أسقف « تريف » ، رجل دين ، ولكنه تحلل  
من الدين ومن الأخلاق . . .

أما ملك بوهيميا ، فانه لى ، وهو يشد أزرى . . .  
والى جانب هؤلاء ، أمراء من « هيس » وهم  
أصغر شأنًا من الولايات التى يحكمونها . . .  
ثم هناك شبان أغبياء . . .  
وشيخ فسقة . . .

نعم توجد تيجان كثيرة - وهذا حسن ولاشك -  
ولكن أين الرؤوس التى تحملها عن جدارة ؟ -  
ابحثوا عنها ! !

أيها الناخبون الجديرون بالثناء انى لا أرى غير  
أقزام ، وأستطيع اذا جد الأمر أن أحزمهم تحت  
ردائى ، وهو مثل جلد الأعد الذى كان يرتديه  
« هرقل » وزج بمناوئته في طياته . . .  
أما اذا حلا لى أن أعريهم من عبااتهم ، فلن

---

١ - هو اللقب الرسمى للامبراطور .



تروا الا رووسا جوفاء يعشش فيها السخف ،  
وهى أكثر فاعلية في البعث على الضحك من رأس  
( تريبوليه ) (١)

أنا في حاجة الى ثلاثة أصوات يا ريكاردو ، هي  
لي كل شيء ، وبدونها أفقد كل شيء .

آه .. انى أمنح «جانند» و «توليد» و «سلامانك»  
ثلاث مدن كبيرة ، أمنحها يا صديقي ريكاردو  
لمن يعطونى هذه الاصوات الثلاثة اذا رغبوا فيها.  
أترى انى من أجل ثلاثة أصوات ، نعم ، أعطى  
ثلاث مدن من قشتالة ، أو من الفلاندر ، أعطىها  
الآن ، على أن استردها فيما بعد بالطبع !!

( دون ريكاردو ينحنى باحترام ويضع قبعته فوق  
رأسه ) ماذا .. أتغطى رأسك ؟

دون ريكاردو : رفعت الكلفة في مخاطبتي يامولاي ( ينحنى محميا  
مرة ثانية ) وها أنا ذا عظيم من عظماء الاسبان ..

دون كارلوس : ( منفردا ) شد ما تثير شفقتى عليك ، أيها الطامع

فيما لا يستحق أن يطمع فيه !! يا حقيرا ووصوليا  
بالفطرة . هذه الفئة من الناس لا تستطيع أن تحقق  
أمانيتها الا بالاستجداء وتبعها لما تجود به أفكارنا  
وكأنى بهم الدجاج الجائع وقد التف حول الملك  
ليتلقى من بين أصابعه فتات الأكل .

( وقد غاب في حلم )

---

١ - هو مضحك الملك في عهد لويس الثانى عشر ثم في حكم فرنسوا الأول بفرنسا ،  
وقد أنشأ المؤلف مسرحية بطلها هذا المضحك أساها ( الملك يلهو ) .

الله وحده ، ثم الامبراطور . . فيهما تتمثل  
العظمة وكذلك في الأب المقدس . . أما من يجيء  
بعدهم من الملوك والديوقات . . فما شأنهم وماذا  
يساوون ؟

دون ريكاردو : انى لأرجو أن يقع الاختيار على سموكم

دون كارلوس : سموى . . سموى ؟ ان سوء الطالع سيبقى ملازمى  
في كل شيء ، اذا بقيت الملك صاحب السمو !!

دون ريكاردو : ( على انفراد ) ماذا يهيم !! اختاروه امبراطورا ،  
أو بقى ملكا ، هأنذا عظيم من عظماء اسبانيا

دون كارلوس : واذا فرغوا من أمر اختيارهم امبراطور ألمانيا ،  
فبأية اشارة يعلنون اسمه في المدينة ؟

دون ريكاردو : اذا انتخبوا « دوق ساكس » أطلقوا مدفعا واحدا  
واذا انتخبوا ( فرنسوا ) أطلقوا المدفع مرتين ،  
فاذا وقع اختيارهم على سموك أطلقوا المدفع  
ثلاث مرات .

دون كارلوس : ودونيا سول هذه . آه كل شيء يعمل على غيظى ،  
وجرح كبريائى . .

أيها الكونت اذا وقع عفوا واختارونى امبراطورا ،  
فأسرع اليها واحضرها الى هنا . ربما تتطلع العيون  
لمن سيصبح قيصرًا !!

دون ريكاردو : ( مبتسما ) سموكم-مفرط في طيبة القلب

دون كارلوس : ( مقاطعا في حدة وتعال ) الى هنا . . ولا تزد

حرفا ، لم أفصح . بعد عما أريد أن يرانى الناس  
عليه . .

( مغيرا وجه الحديث )

ومتى نعرف من سيقع عليه اختيارهم ؟

دون ريكاردو : آه . . يبدو لى أن الأمر سيتم في مدى ساعة أو فيما  
بعدها بقليل .

دون كارلوس : ثلاثة أصوات !! لاشيء أكثر من ثلاثة . . ولكن  
لنسحق أولا هذه النفايات من المتآمرين ، وسنرى  
بعد ذلك من سيؤول اليه أمر الامبراطورية .

( وهو يعد على أصابعه ويدق بقدمه على الأرض )  
هى دائما تلك الثلاثة الأصوات التى تنقضى ،  
وهم من يملكونها !! تنبأ لى بها « كورنى أجريبا »  
(١) منذ زمن ، اذ شاهد ثلاثة عشر نجما تشق  
محيط السماء وتتجه نحوى آتية من الشمال ، وهى  
مطلقة الشراع . . معنى هذا أن الامبراطورية  
سيؤول أمرها الى . . أياكون ذلك حقا !!

ولكن من ناحية أخرى ، هناك من يقول ان  
الراهب « يوحنا تريتم »<sup>(٢)</sup> تنبأ بأن الامبراطورية  
ستكون من نصيب فرنسوا !!

كان الأجدربى ، لكى أتبين مسيرة حظى ، أن

---

١ - طيب ومنجم وساحر ذائع الصيت فى زمنه (١٤٨٦ - ١٥٣٥)

٢ - عالم فى اللاهوت (١٤٦٢ - ١٥١٦) كان يطالع النجوم للملك فرنسوا الأول  
ويقرأ طالع .

أعد جيشا يساعد على تحقيق هذه النبوءة .  
كل تنبؤات المنجمين - مهما علا قدرهم -  
لا تحقق النتائج المرجوة الا حينما يقوم وراءها  
جيش لجب ، تقصف مدافعه وتسطع أسننته ،  
وتتتابع فرق مشاته وفرسانه على ايقاع العرف  
الموسيقى ، والنفخ في الأبواق . هذا الجيش  
وحده ، هو من يفتح الطريق المسدود للحظ اذا  
تعثر ، ويقوم مقام القابلة في أن يستولده ماهو  
صحيح .

أى النبؤاتين ستصدق ؟ نبوءة « كورنى أجريبا »  
أو نبوءة « يوحنا تريتم » ؟ انها النبوءة التى يمشى  
وراءها العمل والانجاز ، وليس القول والتراخى ،  
نبوءة الشخص الذى اذا تكلم ، وضع رما أو  
سيفا خلف كل كلمة يقولها ، وحشد في جيشه  
أخلاطا ممن رضعوا لبان الحروب ، واحترفوا  
ألوان النزال . . بهذا يستقيم الحظ وتتحقق النبوءة.  
وياهم من مجانين جديرين بالثناء أولئك الذين  
يرغبون في أن تكون لهم امبراطورية العالم ، بمجرد  
أن يبخلقوا بعيونهم ويشمخوا بجباههم ، وهم  
يتمشدقون قائلين « ان لنا الحق في هذا »  
وقد تكون ملء أيديهم المدافع وقد صفت خطا  
وراء خط ، ولو فتحت أفواهها وانطلقت قذائفها  
لأذابت بحرارتها جدران المدن . بل ان لهم فوق  
ذلك السفائن وقد شحنت بالجنود ، ولهم الجياد تختال

بمن يركبونها ، فيخيل اليك أنهم سيسرون قدما  
الى تحقيق أهدافهم وهم يسحقون هامات الشعوب  
في مسيرتهم ، ولكن . . . ويا للعجب . . .  
ما أن يبلغوا مفرق الطريق الكبير في حظوظ  
البشر ، حيث تنحرف القدم الى أن تنزلق نحو  
الهاوية ، أكثر مما تستقيم لاعتلاء العرش ، ما ان  
بخطوا خطوات ثلاثا ، حتى يعترهم الجمود  
وتتولاهم الحيرة ويحاولون عبثا أن يقرأوا ماسطره  
القدر في مصائرهم . انهم يترددون في خطوهم  
بعد أن فقدوا الثقة في أنفسهم ، فاذا هم يهرعون  
الى العراف ليستحضر أرواح الموتى ، يسألهم عن  
مصائر الأحياء ، وعن أى طريق يسلكون !!

( ملتفتا الى دون ريكاردو )

اذهب الآن . أظف الوقت لمجيء المتأمرين . . آه  
ولكن أين مفتاح الضريح ؟

دون ريكاردو : ( وهو يمد يده بالمفتاح ) لتذكر يامولاي ، ان  
« كونت ليمبورج » حارس الضريح أعطاني هذا  
المفتاح . . هو دائما في خدمتكم ويأمل في رعايتكم

دون كارلوس : أنجز كل ما كلتفك إياه .

دون ريكاردو : ( ينحنى مسلما ) سأتولى ذلك في الحال يا صاحب  
السمو .

دون كارلوس : ثلاث طلقات مدفع لابد لي منها . . أليس كذلك

( دون ريكاردو ينحنى ويخرج )

( دون كارلوس ، وقد بقي وحيدا ، يخلد الى تأمل عميق وقد شبك ذراعيه فوق صدره ، وأحى رأسه . ولكنه يرفع رأسه بعد ذلك ويستدير الى الضريح )

## المشهد الثاني

دون كارلوس ( وحيدا )

دون كارلوس : شارلمان . . صفحا . هذه العقود والقباب المنعزلة عن العالم لا ينبغي أن تردد جنباؤها غير كلمات الزهد في هذه الدنيا .

أنت ساخط ولا شك ، اذ تسمع هذا الطنين الصاعد من مطامعنا وقد تكاثفت أصداؤه فوق ضريحك .

أشارلمان هنا ؟

كيف وسعت أيها اللحد الضيق ، من غير عن أن تتصدع أركانك ، كل هذا الشيء العظيم ؟ أحق أنت هنا ؟ أنت يا من كنت العملاق في عالم ابتدعته يداك ! !

وكيف أمكن أن ترقد بعليائك وبكامل كيائك في هذا المكان الضيق ؟

انه لمنظر رائع ينشط المخيلة على التأمل ، اذ ترى أوروبا ، كما صنعها ثم تركها أشبه ما تكون بصرح كبير يتربع على قمته رأسان ، بل رئيسان

منتخبان ، يخضع لهما كل ملك منحدر من أصلاب ملوك .

أكثر الدول والدوقيات والاقطاعات العسكرية ، والممالك ، والمركيزات ، كل هذه وراثية<sup>(١)</sup> إلا أن الشعب يكون له في الغالب ، قطبان ، البابا والامبراطور وتجرى الأمور بينهما ، والصدفة الخاطئة تصلحها صدفة غير خاطئة ، هذا ومايجيء عرضا ، يبقى بلا قصد ولا هدف ، ومن هنا يقوم التوازن بين السلطات ، ويستتب النظام ؛ أيها الناخبون ترفلون في الثياب يوشى الذهب حرافيتها ، أيها الكرادلة في أرديتكم القرمزية ومنكم يتألف مجلسا شيوخ مقدسان ، منهما تهتر الأرض ، لستم فيما ترمونه من أمور ، أكبر شأننا ممن يقدمون استعراضا مسليا ، والله وحده ، هو الذى يفعل ما يشاء .

يكفى ان تطل برأسها يوما ، فكرة استوالدها حاجة من حاجات العصر ، حتى ترى هذه الفكرة تنمو ، وتعظم ، وتسعى على قدمين ، بل هى تجرى . . وقد اختلطت بكل شىء ، لتمثل كائنا

---

١ - يبدو غريبا أن ملكا صار إلى ما هو عليه بطريق الوراثة ثم هو مع ذلك يصف الملكية بأنها وراثية ! ! اننا نحس أن المؤلف يقف وراء الملك دون كارلوس ويتكلم بلسانه هو ليس بلسان الملك ! ! وينادى بعودة عائلة (البوربون) إلى الحكم ، وهى العائلة التى حكمت فرنسا قبل الثورة ، ثم عادت إلى الحكم بعد انتهائها وانتهاء حكم بونابرت .

انسانيا يأسر القلوب ، ويحفر في صفحة المجتمع  
خطوطا ، بل يشق أنحاديده .

ويقع أن يخلو للملوك أن يطئوها بأقدامهم ،  
أو أن يلجموا فمها بكمامة . ولكن ما أن تقتحم  
ذات صباح اجتماع الناخبين <sup>(١)</sup> ، أو مجمع  
الكرادله <sup>(٢)</sup> حتى يرى الملوك فجأة هذه  
الفكرة التي سبق أن كبلوها بالأغلال - تمشي  
فوق هاماتهم وقد حملت في يدها صولجان العالم  
بأسره ، أو هي ترفع فوق جبينها التاج البابوي  
فلا يملكون الا أن يحنوا سيقانهم .

البابا والامبراطور . . هما من يتمثل فيهما كل  
شيء ، ويعود اليهما كل شيء على الأرض ، اذ  
فيهما يكمن سر علوى ، ومن السماء هبطت  
عليهما الحقوق الالهية ، بل ان الله ليمد لهما وليمة  
فاخرة ألوانها الشعوب والملوك ، بعد أن يبسط  
فوقها سحبا تقصف رعودها .

يجلس الاثنان ، منفردين ، على هذه المائدة حيث  
يقدم لهما الله العالم طعاما . يجلسان رأسا لرأس ،  
يقطعان ويصلان ، يثبتان ويمحوان ، في شئون  
العالم ، وكأنهما الزارع الذي يفلح أرض حقله .  
كل أمر يتم بموافقة من جانبيهما ، هذا وقد وقف  
الملوك بالباب يستنشقون رائحة الطعام الذي يقدم

---

١ - المجلس المنوط به انتخاب الامبراطور .

٢ - الاجتماع الذي يعقده الكرادلة لانتخاب البابا .



اليهما ، وهم ينظرون من وراء الزجاج في بقطة  
وفي سأم ، وقد اشرأت الأعناق ، وتحاملت  
القامات على أصابع القدم .

ان العالم الذي استوى تحتها يتجزأ صفوفها  
ومستويات ، ثم يعود ليجتمع ويتماسك ، وهما  
في أخذ مستمر يعقدان ويحلان ، في احدهما  
تتمثل الحقيقة ، وفي الآخر القوة ، هما من هما ،  
وسبب وجودهما كامن فيهما .

فاذا خرج الاثنان من الهيكل - وكأنهما فرسا  
رهان يزهو أحدهما في رذائه الاجوانى ، والآخر  
يشرق في ثوبه الأبيض اجتذبا أنظار العالم ، فاذا  
هو يرمقها مبهورا خاشعا . . انه يرى فيهما  
نصفي الإله . . البابا والامبراطور .

الامبراطور . . الامبراطور . . هل سأكون  
امبراطورا ؟ أو لا أكونه ؟ (١)

ولى الويل ألا أكونه ، وان كان قلبي يتفصد  
شجاعة وبأسا . .

ألا ما كان أسعد الراقد في هذا القبر !! وما  
كان أعظم شأنه في زمانه !! كانت الأمور أثقل  
وزنا وأروع رواء . لم يكن البابا والامبراطور  
مجرد رجلين « بطرس » و « قيصر » بل كانا  
يمثلان روما ، في سلطانها المزدوج ، السلطنة

---

١ - يبدو أن المؤلف أورد هذا وهو متأثر بموقف ( هملت ) من البعث بعد الموت !

الدينية والسلطة الدنيوية ؛ وقد تركز السلطان بين أيديهما فاذا هما يمازجان بين السلطتين ، وينسقان بنفس مقدس ، واذا السلطانان تتمخضان عن انسانية ذات طابع جديد وروح جديد ، واذا الشعوب والممالك ، بعد أن يختلط فيها الحابل بالنابل ، تذوب في بوتقة وتنصهر من جديد لتخرج أوروبا الحديثة وفقا للقالب الذي صنعه أيديهما ، وفيه عروق من معدن البرونز ، وهو ما تبقى من أنقاض العالم الروماني القديم .

آه . . . وياله من قدر ! ! مع كل الذي أعطاه هذا العملاق فان هذا القبر مثواه ! !

أكل<sup>٤</sup> ما تعطى الدنيا يتضاءل في النهاية ، ويصغر حتى ينكمش ، بحيث يحتويه هذا المكان الضيق ؟ ما هذا . . . وباللعجب ! !

أبعد أن كنت الأمير ، والملك ؛ والامبراطور ، وكنت السيف ، وكنت القانون أيها العملاق ، الذي استقر بقاعدة تمثاله في المانيا . . . وماذا أعدد أيضا ! ! كان لقبك قيصر ، واسمك شارلمان ، كنت أعظم شأننا من « هانيبال » (١) و« أتيللا » (٢)

---

١ - القائد القرطاجي ( ١٨٣ - ٢٤٧ ) الذي هزم روما وسار اليها في جيش كبير عبر جبال الألب وكاد يستولى عليها .

٢ - ملك الهون ( ٤٣٢ - ٤٥٣ ) الذين سكنوا سهول هنغاريا وزحف على رأس جيش كبير فاجتاز نهر الرين إلى فرنسا وحاصروهم مدنها فيما عدا باريس ، ولكن هذا المد الزاحف توقف بعد ذلك .

بل كنت صنو العالم بأسره . . وكل هذا يصبح  
رهن هذا القبر !!

آه!! جاهد ما استطعت في نيل الامبراطورية، ثم  
انظر الى التراب الذى صار اليه امبراطور !!  
أملأ الخافقين ، سماء وأرضا ، املأهما جلبة  
ودويا ، أعل البناء ودعم امبراطوريتك ولا تقنع  
بشيء ، ولا تقل يكفى . . بل اقطع من الصخور  
الصلبة ما تشيد به صرحا كبيرا . . أتدرى ماذا  
سيتبقى منها يوما . . وباللجنون؟؟

لن يتبقى منها غير هذا الحجر !!  
أتعرف ماذا يتخلف من اللقب المدوى ، ومن  
الاسم المجيد؟

بعض أحرف يدفعون بالأطفال الى تهجيتها !!  
ومهما يكن الهدف الذى تسعى بكبريائك الى  
تحقيقه ، ومهما دفعت بهذا السعى الى تجاوز كل  
حد ، فهذا هو الحد الأخير ، وهنا نهاية السعى !!  
الامبراطورية . . الامبراطورية . .

ومع كل ذلك أريدها ، أريد أن المسها بيدي ،  
وليكن ما يكون ، انى أراها وفق ما أريد . . ان  
هاتفا يسرُّ الى انها ستكون لى ، وسأكون أنا  
لها . آه . لو تكون لى ، سأصبح اذن ، بالله ،  
البداية في كل شيء ، وقد وقفت منفردا على قمة  
ترتفع طبقاتها الواحدة فوق الأخرى في مستويات  
حلزونية . .

سأكون معقد قبة تألفت من ركام عدة دول ،  
فأرى من تحتي الملوك وقد اصطفوا صفوفًا ،  
فأمسح حذائي برءوسهم ، ثم أرى من هم دون  
هؤلاء ، الاقطاعيين فالكونتات ، فالكرادلة ،  
فالأساقفة ، فالدوقات ، ثم الأساقفة ، فروساء  
الأديرة ، فزعماء العشائر ، فأرباب العائلات ، فالسادة  
فالكتاب ، فالجنود ، لتأتي بعدهم جماهير الناس ، وقد  
انزوت في ظلال الحنايا ، المنسية من أعماق الهوة ..  
الناس؟ . . أي الشعب ، وأعني بهم البحر الصاحب  
المسجور بالدموع والصراخ وبالضحك المرير ،  
أحيانًا ، الضحك الذي يجأر بالشكوى التي تصل إلى  
مسامعنا ، خلال هذه الأصداء وكأنها نفخ  
الأبواق . جماهير الناس ؟ ! . . أسراب من  
النحل ، تسكن المدن وتعيش في الأبراج حيث  
تدق النواتيس لا يلاحظهم ولطلب النجدة .

( وهو ما برح غارقًا في تأملاته )

وعلى أكتاف القاعدة ، قاعدة ، الأمم ، ينهض  
ذلك الهرم الهائل ، الذي يتكىء على قطبيه  
ويتوازن ، هذا وجماهير الشعب تتلاحق كالأمواج  
الحية وتتراكب حول هذا الهرم وتضغط عليه ،  
فاذا هو يرتج وييمد ، فتتبدل معه منازل الأشياء  
وتتمايل في ذراه العروش وتهتز ، كما تهتز المقاعد  
وتغير من أماكنها . فاذا قطع الملوك منازلهم  
العقيمة ومدوا أبصارهم إلى العلاء ، سمعوا من  
يهتف : أيها الملوك أجدر بكم أن تنظروا إلى ماتحت

أقدامكم ، فهناك الشعب . الشعب ؟ المحيط . .  
أمواه لا تنقطع عن الحركة . . اذا ألقيت فيه بأى  
شئ فلا بد أن يضطرب فيه كل شئ !!  
الشعب ؟

الموجة العاتية التي تسحق عرشا ، وتهدهد قبرا !!  
المرآة التي قل أن يترأى فيها وجه وسيم لملك !!  
وإذا ألقينا بنظرتنا أحيانا الى هذه الأمواه المعتمة  
نستشف ما وراء سطحها ، فلا نلبث أن نتبين في  
أغوارها أنقاض ممالك ، يضيق بها الحصر ، أشبه  
ما تكون بالسفن الكبرى طواها اليم في جوفه بعد  
أن ضاق بها ، تمخر فوق سطحه ، ثم أسلمها الى  
تحركات المد والجزر تنكر من معالمها وتمحو .

كيف استطاع حكم كل هذا وتدير شئونه !!  
أترضى ، أن تكون له ، أن تجلس فوق هذه  
القمة وأنت تدري انك بطاقتك لا تتجاوز أن  
تكون انسانا ، وأن تحت قدميك هاوية سحيقة  
فاتحة فاها . . .

آه! الويل لى - وأرجو ألا أكون لهذا - اذ ذاك،  
اذا تملكى انبهار ودوار !!

ايه أيها الهرم الدائم الحركة - اذ ما أنت الاأخلاق  
من ملوك وممالك - ما أضيق رقعة قمتك !!  
والويل للقدم الخائفة ، اذا استقرت على أديمك .  
لا أدري بماذا أمسك اذا أحسست بقدمى  
تتخاذلان ؟

ماذا يحلُّ بي إذا شعرت أن قواي تنحور ؟  
إذا وجدت العالم تحت أقدامى يرتعد ، اذ الأرض  
تنبض وتتفجر ؟

ثم إذا استقرت بين يدي كرة السلطة وصوبلحان  
القدرة .. فماذا أنا صانع بهما ؟

أفي وسعى على الأقل أن أقوى على حملهما ؟  
ماذا بي وما هذا ؟

أصبح الامبراطور ؟ يا الهى ! ! وأنا من عييت  
بتحمل أعباء الحكم ملكا ؟

حق انه لا بد أن يكون منحدرًا من سلالة آدمية  
ممتازة ونادرة ذاك الذى يقدر على أن يوسع من  
طاقاته بالقدر الذى يهبوه انبساط الحظ لتولى هذا  
المنصب .

ولكن أنا ! ! من أين أستمد هذه المعظمة ؟  
وما عسى أن يكون القانون الذى أحكم به ؟ ومن  
يكون لى الناصح الذى يجنبى الانحراف والخطأ ؟  
( يجثو على ركبته أمام الضريح )

شارلمان ! أنت وحدك .

وبما أن الله القادر الذى لامرد لقضائه قد أذن  
لجلالتينا أن يقفا وجها لوجه في هذا المكان ،  
فأفرغ في قلبى ، من أغوار هذا القبر ، أقباسا  
من كل ما هو عظيم وسام ، وجميل . اكشف  
لى عن حقائق الأشياء في مختلف نواحيها ومظانها .

أرني أن الدنيا صغيرة وحقيرة لأنني أخاف أن  
ألمسها بيدي . قل لي ان كل انسان في هذه الدنيا ،  
وهي أشبه ما تكون بمدينة بابل من قيصر العظيم  
الى راعي الضأن وهو في درجته وفي مستواه -  
دائم الشكوى . دائم الاعجاب بنفسه ، يسرى  
سواه أقل منه منزلة وقدرًا وبكاد لا يتمالك نفسه  
من أن يضحك منه . أوضح لي أسرارك في كسب  
النصر ، وفي تصريف شئون الحكم !

ألق في روعي أن العقاب خير من العفو وأفضل .  
أليس كذلك ؟

وهل حق انه يحدث أحيانًا أن يوقظ صخب الدنيا ،  
الراقد العظيم في مثواه المنفرد هنا فيستيقظ شبح  
هائل ، واذا القبر الواسع المضيء ينشق ليخرج منه  
الى العالم برق لامع يضيء الظلام ، اذا كان حقا  
ما ذكرت ، يا امبراطور المانيا فقل لي ما عسى أن  
يكون في وسعنا أن نصنعه بعد شارلمان ؟

تكلم . . ولو أن نفخ كلامك الشديد الوقع قد  
يخلع هذا الباب الحديدي ويحطم به جيبني . .  
والا دعني أدخل منفردا الى حرمك لأرى وجهك  
الذي علاه شحوب الموت ، ولا تدفع بي الى  
الخارج بهبة اعصار من أعاصيرك .

انهض من رقادك ، واتكى بمرفقك على سريرك  
الصخري لتتكلم . . نعم اكشف لي بصوتك

الرهيب عما يكفهر من سماعه البصر ، ويصفر  
له الجبين .

تكلم ، ولا تعم بصر ولدك المفزوع بنور مما  
يسطع به قبرك .

واذا لم يرق لك أن تقول لى شيئا ، فابق ثاويا  
ودع كارلوس فى هداة السكون الذى يحيط بك  
يتفحص رأسك ، وكأنه يتفحص العالم ، دعه يسجل  
مقاييس قامتك كما يحلو له أيها العملاق . . اذ لاشيء  
هنا على وجه الأرض ، أروع من الفناء الذى صرت  
إليه ، فلتعظنى رفاتك اذا عز أن يعظنى كلامك .

( وهو يدنى المفتاح من قفل الباب )

فلندخل .

( ولكنه يتوقف فجأة )

يا لله ! ! ماذا ، اذا سمعت منه همسا فى أذنى ؟ اذا  
رأيتك هناك منتصبا على قدمه يسير نحوى فى نخطى  
بطيئة ؟ سأخرج من هذا الضريح وقد ابيض شعر  
رأسى . لندخل . . ( يسمع وقع أقدام )

هناك قادم . . من الذى يجرو ، سواى وفى هذه  
الساعة ، على أن يطرق هذا المكان ليوقظ السكون  
المخيم عليه من الطارق ؟

آه . . نسيت . . القادمون هم من يريدون قتلى . .  
فلندخل .

( يفتح باب الضريح ، ويدخل ثم يغلق الباب



عليه ، وتدخّل جماعة من الرجال في خطسى  
خافته ، وفي أردية تغلف أجسامهم ، وفي قبعات  
تسدل أطرافها على وجوههم .

### المشهد الثالث

متأمرون يسيراً بعضهم الى بعضهم الآخر ، وهم  
يتبادلون اللمس بالأيدى ، والهمس بالكلمات .

المتأمر الأول : ( في يده مشعل يضيء ) أد - أوجستا

المتأمر الثانى : بير - أنغستا

المتأمر الأول : القديسون يحرسوننا

المتأمر الثالث : الموتى ، يخدموننا

المتأمر الأول : الله يحرسنا

( يسمع وقع أقدام في الظلام )

المتأمر الثانى : من هناك ؟

صوت بالظلام : أد - أوجسيا

المتأمر الثانى : بير - أنغستا

( وقع أقدام أخرى ويدخل متأمرون جدد )

المتأمر الأول : انظر . . جاء ايضاً شخص آخر . .

المتأمر الثالث : من هناك ؟

صوت بالظلام : أد - أوجستا

المتأمر الثالث : بير - أنغستا

( يدخل نفر من متأمرين جدد ليتبادلوا مع

الموجودين حركات رمزية بالأيدي ) .

المتآمر الأول : حسن . ها نحن هنا جميعا «جوتا» هات ما عندك ،  
أيها الأصدقاء الظلمة تترقب النور . .

( يجلس المتآمرون متحلقين فوق أحجار القبور .  
المتآمر الأول يدور عليهم والمشعل في يده ،  
فيشعل منها كل منهم شمعة يحملها في يده . ثم  
يذهب المتآمر الأول ليجلس في صمت على قبر  
يتوسط الحلقة ويعلو بقية القبور )

دوق جوتا : ( ناهضا ) أيها الأصدقاء ، ان كارلوس ملك  
اسبانيا أجنبي من ناحية والدته وهو يطالب  
بالامبراطورية المقدسة .

المتآمر الأول : سيكون له القبر .

دون جوتا : ( وهو يلقي بمشعله إلى الأرض ويطؤه بقدمه )  
ليسحق رأسه مثلما سحقته هذا المشعل .

الجميع : ليسحق

المتآمر الأول : له الموت

دون جوتا : ليمنت

الجميع : فليذبح

دى جارو : أبوه ألماني

دى لوتزلبورج : وأمه اسبانية

دون جوتا : لم يعد أسبانيا ، ولم يكن المانيا ، فليمنت

أحد المتآمرين : واذا اختاره الناخبون الآن امبراطورا . . .

المتآمر الأول : هم يختارونه ؟ أيدا . . .

دون جيل : تليزجيرون - وماذا لو اختاروه !! أيها الأصدقاء ، لنضرب الرأس فيموت التاج :

المتآمر الأول : اذا جاءته الامبراطورية المقدسة ، فسيصبح - مهما يكن من يكون - الجليل المعظم والله وحده ، اذ ذاك ، من يستطيع أن يمسه بأصبعه . ؟

دون جوتا : أوثق الأمور أن يموت قبل أن يتم انتخابه .

المتآمر الأول : لن يتم انتخابه .

الجميع : لن تكون له الامبراطورية .

المتآمر الأول : كم من الأيدي تكفى لتلقه في الكفن ؟

الجميع : يد واحدة .

المتآمر الأول : وكم من ضربة في القلب تودى به ؟

الجميع : ضربة واحدة

المتآمر الأول : ومن يضربها ؟

الجميع : نحن جميعا

المتآمر الأول : الذي أهدرنا دمه خائن . . الناخبون يريدون أن

ينصبوا امبراطورا ، فلننتخب نحن رئيس كهنة . .  
لنقرع . .

( يكتب المتآمرون أسماءهم في أوراق صغيرة .

وبعد أن يطووها ، يذهب كل منهم بدوره

ويلقى بها في جرة قائمة على قبر من القبور )

المتآمر الأول : فلنصل . . .

( يركع الجميع . . ثم ينهض المتآمر الأول )

ليكن المختار عن طريق الاقتراع مؤمنا بالله ،  
يضرب بيد ثابتة كما يضرب الروماني ، وليمت  
صامتا كما يموت العبري ، يجب أن يسخر من  
الأم شدة الى عجلة التعذيب ومن عض الكلاب  
الحديدية فيه ، وأن يرفع الصوت عاليا بالغناء كلما  
شدت عليه آلات التعذيب ، وليقابل بالضحك  
لسع المصايغ الحارقة ، ليأت كل هذا راضيا  
مستسلما ، ليفعل كل شيء في سبيل أن يقتل ،  
وأن يموت .

( يمد يده الى الجرة ويلتقط منها ورقة )

- الجميع : ما الاسم ؟  
التأمر الأول : ( يقرأ بصوت عال ) هرثاني  
هرثاني : ( وقد برز أمام صفوف المتأمرين ) رجحت أخيرا ،  
نلت الآن ما كنت أجد في طلبه ، الانتقام .  
روى جوميز : ( متقدما الصف ليأخذ هرثاني جانبا ) تنازل لي  
عن هذه الضربة .  
هرثاني : لا ، وأقسم بحياتي ، ولا تحسدني أيها المولى على  
هذا المغم ، هذه هي المرة التي ألقى فيها السعادة .  
روى جوميز : أنت فقير لا تملك شيئا . . . جميع اقطاعياتي ،  
قصوري ، ما أملك من العبيد ، مائة ألف من  
الفلاحين يعملون في ثلاثمائة قرية تخضع لنفوذى ،  
أنزل لك عن كل هذا يا صديق ، في مقابل  
أن تنزل لي عن هذه الضربة التي ستضربها .

- هرناني : لا ..
- دوق جوتا : ذراعك لا تقوى على تسديد الضربة القاضية ايها الشيخ .
- روى جوميز : الى الورا يا هذا . . اذا أعوزتني قوة الذراع فستنجدني ، دقات النفس الفتية ، لا تحكم على السيف بما يعلو غمده من الصدا .
- ( الى هرناني )
- لا تنس انك ملك لي .
- هرناني : حياتي ملك لك ، ولكن حياته هو ، لي وحدي أنا
- روى جوميز : ( وهو يمسك بالبوق المشدود الى حزامه ) أصغ الى أذن يا صديق ، اني أعيد اليك هذا البوق . .
- هرناني : ( مهتزا ) ماذا . أتعيد الى الحياة ؟ لم أعد أعبأ بها ، كل همي أن أكون للانتقام ، وقد اختارني الله له . . . . أثأر لأبي . . وأكثر من هذا ، فاني أثأر لها . . هل ترجعها لي ؟
- روى جوميز : لا . . وانما خذ هذا البوق .
- هرناني : كلا .
- روى جوميز : فكر جيدا يا بني .
- هرناني : دعني لفريستي يادوق .
- روى جوميز : اذن لتكن ملعونا اذ حرمتني هذه المتعة .
- ( يعيد البوق الى حزامه )

المتآمر الأول : ( الى هرنانى ) من الرأى أياها الأخ أن تر بصر  
لكارلوس من الليلة ، وقبل أن يتم الانتخاب .

هرنانى : لا تشغل بالك ، أعرف كيف أدفع برجل الى  
قبره .

المتآمر الأول : لتقع على رأس الخائن أوزار خيانتة ، وليكن  
الله معنا ، واذا لم يوفق هرنانى في مهمته ، فاننا  
نبتى على العهد ، ونقسم بأن يتولى انجاز هذه  
المهمة ، الواحد منا بعد الآخر ، والا يصرفنا  
شئ عن انجازها . ان كارلوس مقضى عليه  
بالموت

الجميع : ( وهم يشرعون سيوفهم من أغمادها ) نقسم .

دون جوتا : ( الى المتآمر الأول ) نقسم بماذا ؟

روى جومير : ( مديرا سيفه بين يديه بحيث يمسكه من سنانه  
ويرفعه فوق رأسه فيبدو السيف ومتبضه الى العلاء  
وكأنه صليب )

اقسموا بهذا الصليب .

( يرفع الجميع سيوفهم في قسم )

الجميع : أن يموت من غير أن يجد فرصة ليتوب فيها الى ربه

( تسمع طلقة مدفع آتية من بعيد يخلد الجميع الى

الصمت . يفتح باب الضريح في بطاء . يظهر

دون كارلوس على عتبة الباب وهو مصفر الوجه

ويصيح بأذنه لسمع . تسمع طلقة ثانية . ثم طلقة

ثالثة . يفتح باب الضريح على مصراعيه . ولكن

دون كارلوس يظل بلا حراك )

## المشهد الرابع

المتآمرون - دون كارلوس - دون ريكاردو -  
يتبعه سادة وحراس - ملك بوهيميا - دوق دى  
بافير - دونيا سول .

دون كارلوس : أيها السادة استمروا كما يحلو لكم فيما أنتم فيه . .  
الامبراطور يسمع ماتقولون .

( تنطق جميع المشاعل دفعة واحدة سكوت  
عميق يسود المكان . يتقدم دون كارلوس خطوة  
في هذه الظلمة القائمة التي يترآى المتآمرون خلالها  
وكأنهم نصب جامدة )

صمت وليل . أطل أول سرب من النحل الطنان  
ثم غطس . أتخسبون أن هذا الأمر يجرأ كما لو أننا  
في حلم واننى ، بعد أن انطفأت الشعل التي كانت  
بأيديكم ، لن أرى فيكم غير تماثيل من الحجارة  
فوق القبور ؟

ماذا ؟ كنت أيتها التماثيل ترفعين ، منذ هنيهة ،  
الصوت عاليا بالكلام ؟ هيا ارفعوا رءوسكم التي  
انخفضت وانظروا . . هاكم ( شارلكان )  
اضربوا . . . تقدموا ، أتجرءون ؟

كلا لن تجرءوا . انطفأت مشاعلكم الدامية تحت  
هذه العقود وماتت . . قضت عليها نفحة هواء  
من فمى .

وليس هذا كل شيء ، انظروا حوالىكم بعيونكم

الجائرة لتروا ، أنى إذا أطفأت شعلا ، أوقدت  
شعلا أكثر عددا منها .

( يدق بالمفتاح على باب الضريح ، فتمتلى رحاب  
الكهوف ومساربهـا بجنود مسلحين ، يحملون  
بأيديهم المشاعل المضيئة ، وعلى رأسهم دوق  
الكالا ، والمركيز المونان )

انطلقي يا صقورى ، هاكم العرش ، واليكم الفريسة  
( الى المتآمرين )

أنير الآن أنا المكان بدورى . . انظروا ، ان الضريح  
يسطع نورا ويتلأأ .

( الى الجنود )

تعالوا جميعكم وألقوا القبض عليهم فهم متلبسون  
بالجريمة .

هرنانى : ( وهو يراقب الجند ) وضح الأمر وزال اللبس ،  
.. حينما كان قائما بمفرده ، كان يبدو لى عظيما .  
حسبته فى أول الأمر شارلمان ، فاذا هو شارلكان !

دون كارلوس : ( الى دوق الكالا ) أيها القائد الأول . . ( ثم الى  
مركيز المونان )

وأنت يا أمير بحر قشتالة ، جردوا هؤلاء من  
أسلحتهم .

( يلتف الجند حول المتآمرين ويجردونهم من  
أسلحتهم )



دون ريكاردو : ( وهو يجرى نحو كارلوس وينحني أمامه بحيث يقارب جبينه وجه الأرض )  
يا صاحب الجلالة .

دون كارلوس : أنت من الآن قائد حراس القصر .

دون ريكاردو : ( ينحني مرة ثانية ) وفد ناخبان ليرفعا التهنئة الى جلالتكم المقدسة ، نيابة عن المجلس .

دون كارلوس : ليدخلا .

( بصوت منخفض )

دونيا سول . . لاتنسى

( يحى ريكاردو ويخرج . ويدخل ملك بوهيميا ودوق دى بافير يتقدمهما نفر من حملة المشاعل ، ومن الناخبين في الأبواق ، وهما في لباسهما الرسمي المذهب ، ويعلو التاج جبين كل منهما . هذا ويمشى وراءهما رهط من اشراف ألمانيا يحملون علم الامبراطور وهو يمثل راس نسر ذى رأسين ويتوسطه الشعار الاسباني . وينتظم الجنود بحيث يؤلفون صفين منهم ، ابتداء من المؤخرة حتى مكان دون كارلوس ويمر من بينهما الناخبان الوافدان اللذان يتقدمان نحو الامبراطور وينحنيان أمامه . . تحية طويلة يرد عليها دون كارلوس برفع قبعته )

دون دى بافير : اى شارل ، ملك الرومانيين ، صاحب الجلالة المقدسة ، أيها الامبراطور ، ان العالم الآن بين

يديك اذ انتهت اليك الامبراطورية . وبهذا صار  
لك العرش الذي ينعقد عليه طموح كل ملك اختار  
المجلس في أول الأمر فردريك ، دون ساكس ،  
ولكنه رأى انك أنت أجدر منه بهذا المنصب ،  
فاعتذر عن قبوله . فتقدم اذن والبس التاج ،  
وامسك الكرة بيديك . ان الامبراطورية المقدسة  
أيها الملك تخلع عليك الرداء الأرجواني وتقلدك  
السيف الكبير النصل . . وانك للعظيم المتعالى .

دون كارلوس : عند عودتي سأذهب الى المجلس لأشكر له ما  
خصني به ، ثم انى لشاكر لكما مبادرتكما  
بالتهنئة . فتقدموني أيها السادة الى المجلس ، هيا . .  
أخى ملك بوهيميا ، ويا بن العم دوق بافاريا ،  
سألحق بكما

ملك بوهيميا : شارل ، كان أجدادنا معروفين بتبادل الحب  
والوداد بينهما . وكان أبى صديق أيبك وكان  
أبواهما من قبلهما ، متصادقين متحابين . شارل  
كنت في صباك هدفا لمتاعب كثيرة ، وعرفتك  
منذ أن كنت طفلا ، ولا يمكننى أن أنسى ذلك  
فهل تريد أن تتخذنى أخا بين اخوتك ؟

دون كارلوس : ( مقاطعا ) ملك بوهيميا أجدك أسرفت فى رفع  
الكلفة بيننا

( يقدم يده اليه فينحني ويقبلها . وكذلك يفعل  
دوق دى بافيرا ويخرج الناخبان يتبعهما الموكب  
بعد أداء التحية الواجبة )  
تفضلوا .

- لجميع : يحيى الامبراطور
- دون كارلوس : ( منفردا ) انتهيت اليها ، وانفسح لى الطريق ،  
وصرت الامبراطور . بعد أن تنحى فردريك  
الحكيم
- ( تدخل دونيا سول يقودها دون ريكاردو )
- دونيا سول : جنود الامبراطور ! يا الهى .. اية مفاجأة ..  
هرنانى .
- هرنانى : دونيا سول .
- روى جوميز : ( جانبا ) لم ترنى
- ( تجرى دونيا سول نحو هرنانى ، ولكنه يتوقفها  
باشارة )
- هرنانى سيدتى .
- دونيا سول : ( وهى تخرج خنجرا من صدرها ) احتفظ دائما  
بخنجره معى .
- هرنانى : ( وهو يمد يديه نحوها ) يا حبيبى .
- دون كارلوس : صمنا .. جميعكم . ( الى المتآمرين ) هل عاودكم  
الصواب الآن ؟
- يجدر بى أن ألقى درسا على العالم .
- « لارا » القسطلانى ، و « جوتا » السكسونى ..  
تكلما ، بل تكلموا جميعكم ماذا جئتم تعملون  
هنا ؟
- هرنانى : ( متقدما خطوة ) مولاي ، ليس الأمر عسيرا ،

ونستطيع أن نجاهرك به ، جثنا نحفر الحكم على  
جدار بلتزار (١)

( يشهر خنجره ويلوح به في الفضاء )

ونعطى لقبصر ما يجب أن يعطى لقبصر (٢)

دون كارلوس : هذا حسن . ( الى روى جوميز ) وأنت أيها  
الحائن سيلفا ؟

روى جوميز : من منا ، نحن الاثنان الحائن يامولاي ؟

هرنانى : ( وهو يوجه الكلام الى المتأمرين ) رووسنا  
والامبراطورية صارت له ، نال كل ما يرغب  
فيه ( الى الامبراطور ) رداء الملوك الأزرق كان  
يعوقك في مشيتك ، أما الرداء الارجوانى فانه  
وفق ما تريد ، ان السدم اذا خضبه ، فلن تظهر  
أثاره عليه

دون كارلوس : ( الى روى جوميز ) دى سيفا يا بن العم .  
خرجت على ولائك لى ، فمن العدل أن أمحو  
بارونيتك من شعار الدولة . . يادون روى ،  
اقررت الحياة العظمى ، ففكر في الأمر .

روى جوميز : من ملوك رودريك انحدرت كونتات جوليان

دون كارلوس : ( الى دوق الكالا ) لانتجىز الا من هو دوق أو  
كونت ، أما الآخرون . . ( يخرج من زمرة

---

١ - آخر ملوك بابل ، وقد ظهرت نبوءة مكتوبة على جدار قصره بأنه الأخير من  
ملوك بابل .

٢ - من كلام السيد المسيح ، ووارد في الانجيل .

المتآمرين دوق روى جوميز ، دوق دى  
لوتز يلبورج ، دوق دى جوتا ، دون جوان دى  
هارو ، دون جوزمان دى لارا ، دون تيليز جيرون  
البارون دى هوهينبرج ، ويبقى بقية المتآمرين ،  
وبينهم هرنانى ، وقد أحاطهم دوق الكالا  
بحراسة شديدة )

دونيا سول

: ( على حدة ) نجا .

هرنسانى

: ( خارجا من الزمرة ) الآن أطلب بأن أعد منهم  
( الى دون كاروس ) مادامت الأمور قد  
انتهت الى أن تقضى فيها فأس الجلاذ ، وأن  
هرنانى الراعى الحامل الذكر سيمر من بين قدميك  
دون أن ياله عقاب ، لأن رأسه لا يرقى الى مقام  
سيفك ، وانه لكى أموت ، لا بد أن أكون من  
العظماء ، فلا مفر اذن من أن أرفع قامتى وأكشف  
عن حقيقتها .

ان الله الذى يعطى الصوبلجان لمن يشاء ، وقد جاد  
به عليك ، جعلنى دوقا لسفورا ودوقا لكردونه ،  
ومركيزا لونروا ، وكونتا للبراء ، الى غير  
ذلك من أماكن يفوتنى أن أحصى عددها .  
أنا يرحنا الارجوانى ، الحامل درجة أستاذ فى  
وسام ( دافيس ) .

ولدت فى المنفى ، ودرجت ابنا طريدا لاب قتل  
بحكم من أبك يا كارلوس باملك قشتالة ، فللقتل  
بين اسرتينا أعمال تجارية . . أنتم تعدون منصة

الاعدام ونحن نجهز الخناجر . وعليه فان الله  
جعلني دوقا ، ولكن النفي جعل مني جبليا ،  
فاذا كان سيفي الذي شحذته على صخور الجبال  
وفي مجارى السيول الندية لم يفدني في شيء ، فأنا  
أضع قبعتي فوق رأسي .

( موجهها الكلام الى المتآمرين )

فلنضع قبعاتنا فوق رعوسنا يا عظماء اسبانيا .  
( الى كارلوس ) من حقنا ألا تسقط رعوسنا  
أمامك الا وهى . تحمل قبعاتها ( الى  
الأشراف المتآمرين ) سيلفا ، هارو ، لارا ،  
يا من تحملون ألقاب الشرف ، ويارجال المناصب .  
المناصب . يادوقات ياكونتات ، مكانا لى  
بينكم ، مكانا ليوحنا الأرجوانى .

( الى الأشراف حول الامبراطور والى الجنود )  
أنا يوحنا الأرجوانى أيها الملك ، أيها الجلادون ،  
أيها الخدم ، فاذا كانت منصة الاعدام تضيق بنا ،  
فأبدلوها بأخرى

( يذهب الى زمرة النبلاء ويقف بينهم )

دونيا سول : رباه

دون كارلوس : في الواقع نسيت هذه القصة !

هرنانى : ان من ينطوى على جرح يدمى ، لانتخونه الذاكرة ،  
والاساءة قد ينساها حمقا من تصدر منه ، ولكنها  
لا تغيب عن ذاكرة من نزلت به

كارلوس : اذن لي اللقب الذي يغني عن كل لقب سواه ،  
وهو انى سليل ابناء كانوا يقطعون رعوس  
أبائك !!

دونيا سول : ( وهى تررع أمام الامبراطور ) عفوا ورحمة بنا  
يامولاي ، والا فاقطع عنقينا نحن الاثنين . هو  
حبيبي ، هو زوجي ، ومنه أستمد الهواء السدى  
أتنشقه . آه انى أرتجف فزعا . . مولاي كن  
رحيما وأمر بقتلنا نحن الاثنين . . . يا صاحب  
الجلالة . . انى أزحف راحة حول قدميك  
المقدسيتين . انى أحبه ، انه لي ، وهو منى بمنزلة  
الامبراطورية منك . . الرحمة . .

( يستمع دون كارلوس وهو يحدق فيها من غير  
حراك وقد امتقع وجهه ) ما هذا الحزن ؟  
الذى يستولى عليك ويمتصك ؟

دون كارلوس : ( وقد أفاق من تفكيره ) هيا . . يا دوقة انهضى  
. . ويا كونتيسة البراء ، ويا مركيزة دى مونروا  
. . ( الى هرنانى ) ماهى بقية ألقابك يادون جوان ؟

هرنانى : من الذى يتكلم هكذا ؟ الملك ؟

دون كارلوس : بل الامبراطور .

دونيا سول : ( وهى تنهض ) أيها الاله القادر .

دون كارلوس : ( مشيرا بيده الى دونيا سول ) اليك زوجتك  
يا دوق .

هرنانى : ( دونيا سول بين ذراعيه وعيناه تنظران الى السماء ) أيها الاله العادل

دون كارلوس : ( الى روى جوميز ) أراك غيورا ، يا ابن العم ، على نقاء السلالة في أسلافك ، أعرف هذا ، ولكن لا ضير في أن يتزوج آل أرجون ، من آل سيلفا .

روى جوميز : ( في كآبة ) ليست غيرتى من أجل هذا .

هرنانى : ( معانقا دونيا سول وناظرا في عينها ) حقدى يذهب عنى ( يلقى بخنجره بعيدا عنه ) .

روى جوميز : ( على انفراد وهو ينظر اليهما ) أطلق العنان لما بي ، وأفجر لوعتى ؟ لا . لا . هدوءا يا جنون الهوى ، ورحمة أيها الآلام السوار . لن تثير فيها غير الشفقة عليك أيها الاسبانى العتيق ، ولن تلقى الا السخرية منهما اذا تبينا هذا فيك . أيها الشيخ احترق من غير أن تندلع ألسنة اللهب ، واعشق ما حلالك ، وتألم ماشئت ، ولكن في الخفاء وفي صمت ، دع قلبك ينفطر وخذار أن يصدر منك صوت . . سيضحكون منك .

دونيا سول : ( مازالت بين ذراعى هرنانى ) أنت دوقى .

هرنانى : الحب يملأ كل شغاف قلبى . لم يعد هناك مكان لشيء سواه .

دونيا سول : بالسعادتى . .

دون كارلوس : ( منفردا ) انطفى أيها القلب الذى يتأجج بنيران



الصباية والشباب وأفسح المجال للعقل يبسط  
سلطانه ، فياطالما أغفلت أمره . بعد اليوم سيكون  
هواك ، ستكون عشيقاتك ، صباياتك ، —  
ويا للأسف ، هي المانيا والفلاندر ، واسبانيا .  
( وقد تركزت عيناه على العلم الذى ارتسم عليه  
النسر ذو الرأسين )

الامبراطور شبيه بهذا النسر ، ففي مكان القلب  
منى لم يعد ينبض غير هذا الشعار .

هرنانى : أنت قيصر .

دون كارلوس : ( الى هرنانى ) ان نبيل قلبك ، يادون جوان ،  
لجدير بنبل محتدك .

( مشيرا الى دونيا سول ) وانك لأهل لها . اركع  
أيها الدوق

( يركع هرنانى ويخلع دون كارلوس عنقه  
القلادة الذهبية ليطوق بها عنق هرنانى )  
اليك هذه القلادة .

( ثم يشهر دون كارلوس سيفه ويدق به على  
كتف هرنانى ثلاث مرات ) كن مخلصا . باسم  
القديس ( سانت أتين ) أرسمك فارسا .  
( وينهض هرنانى ، ويعانقه الملك )

ولكن لك قلادة أخرى أرفع من هذه وأجمل لم  
أحزها أنا رغم مرتبتي ولم تطوق عنقي . . . لك  
ذراعا امرأة تحبها وتحبك . .

ستكون سعيدا ولاشك . . اما أنا . . . فأنا  
الامبراطور

( والى المتآمرين )

لم أعد أذكر أسماءكم أيها السادة . الحقد والغضب  
لم يعد لهما مكان في قلبي . اذهبوا جميعا فأنتم  
طلقتما . عفوت عنكم ، وهذا ما يجدر بي أن أقيه  
اليوم على العالم . ليس عبثا أن يخلف الامبراطور  
شارل كان الملك شارل الأول ، وأن يصدر قانونا  
بغير من وجه الأمور في عين أوروبا اليتيمة التي  
تشهق بالبكاء اذ يجعل من صاحب السموسو  
الكاثوليكي ، صاحب الجلالة المقدسة . .

( يركع المتآمرون )

( يركع المتآمرون )

المتآمرون : ( يهتفون ) المجد لكارلوس .

روى جومير : ( الى دون كارلوس ) أنا وحدي بقيت المقضي  
عليه .

دون كارلوس : وأنا ! !

روى جومير : ( لنفسه ) ولكنني لم أعف مثلما فعل .

هرناني : يا لله . . ومن ذا الذي غير من أحوالنا هذا التغيير ؟

الجميع : ( الجند والمتآمرون والاشراف ) تحيا المانيا . المجد  
لشارل كان

دون كارلوس : ( مستديرا بجسمه نحو الضريح بل المجد لشارلمان  
دعوني الآن واياه منفردين ) الجميع بخرجون (

## المشهد الخامس

دون كارلوس ( منفردا )

دون كارلوس : ( وهو ينحنى أمام الضريح ) أنت راض عنى ؟  
هل أحسنت تحرير نفسى من تفاهات الملك  
ياشارلمان ؟؟

هل صرت رجلا آخر اذ أصبحت امبراطورا ؟  
هل أستطيع أن أزواج بين مطالب خوذتى الحرية  
وما تريده قبعة رجال الدين في روما ؟

هل لى الحق في أن أقضى في مصائر العالم ؟

أصبحت لى القدم الراسخة الخطا تضرب باطمئنان  
بين الانقراض ، في الطريق التى شقتها لنا نعلاك  
الضخمتان ؟

هل وفقت في أن أقبس من فيوض أضوائك ما  
أوقدت به مشعلى ؟

هل وعيت الصوت الذى كان يناجبنى داخل  
قبرك ؟

آه شد ما أحسست الوحدة والضنياع أمام  
امبراطورية تضج وتصخب ، ويهدد كل من  
فيها ويتآمر ! !

كان يجب أن أعاقب الدانيمركين ، وأن أدفع  
للأب المقدس . . مقاطعات من مملكتى أنزل له

عنها . . ان أخذت: أهل: فنيسيا ، ومن سليمان  
العثماني ، ومن لوثر ، ومن فرنسوا ملك الفرنسيين .  
ألف خنجر حولي تلمع في الظلام وهي متعطشة  
لسفك دمي . . .

فخاخ وحبائل ، وأعداء ليس يحصيهم العد . . .  
عشرون شعبا ، كل منها بملأ بالفرع قلوب  
عشرين ملكا . .

كل هذا رأيت يتطلب مني حلولا عاجلة ، وفي  
وقت واحد ، ويلح في اتخاذ ما يحده من جماحه ،  
فدعوتك صارخا : أرشدني من أين أبدأ ؟  
فأجبتني : يا ولدي ابدأ بأن تكون رحيما .

( ستار )

\*\*\*

## الفصل الخامس

العرس

في مدينة سرقسطة

شرفة واسعة الأرجاء بقصر أراجون ، وينحدر  
منها درج الى الحديقة التي تغيب معالمها في خضرة  
داكنة

بالشرفة بابان ، يمينا ويسارا . هذا ويحيط بالشرفة  
« درابزين » يتألف من صفيين من عقود على الطراز  
الموريسك « المغربي العربي » وترآى من فوقها  
ومن خلالها اشجار الحديقة ، ونوافير المياه  
التأهية في الظلال ، ومجموعات من شجيرات  
تتعانق أغصانها وتتخللها الأضواء .

وفي المؤخرة قامت أعمدة على الطراز القوطى ،  
والعربى .

الوقت ليل .

تسمع من بعيد أصوات أبواق . . . .

ويرى أناس يسعون بجيئة وذهابا في الشرفة ،  
منفردين أو في جماعات وقد تنكروا في أزياء  
حفلات الرقص المقنعة .

وفي المقدمة ، مقدمة منصة التمثيل ، وقف جماعة  
من الشبان النبلاء يحملون أقنعتهم التنكرية بأيديهم ،  
وهم يتضحكون ويضحجون في صخب مرتفع .

## المشهد الأول

دون سانشو - كوت دي مونتيري - دوق  
ماتياس سانتوريون - ماركير دالمونيان دون  
ريكار دو - دي رو كاس - كونت دي كاسبالاما -  
دون فرانثيسكو - دي سوتومايور - كونت دي  
فيللا كازار - دون جراسي سوارز دي كارباجال  
كونت دي بينالفير .

دون جراسي : في الحق يحيا المرح ولتحي العروس .

دون ماتياس : ( وهو يطل من الشرفة ) سرقسطة في أبيه زينة

دون جراسي : كل شيء على مايرام . لم نر قبل اليوم عرسا قام  
على أضواء المشاعل وجاء أبهج من هذا العرس ،  
وما من ليل أصفى من هذا الليل ، وما من عروسين  
أجمل من هذين .

دون ماتياس : وما أطيب نفس الامبراطور .

دون سانشو : صاحبه ذات مساء ، وقد انقضى النهار ،  
وسرنا نجد في البحث عن مغامرة تشغلنا .

من كان يصدق انها تسفريوما عما أسفرت عنه الآن؟

دون ريكاردو : ( مقاطعا ) كنت معكما ( الى المستمعين ) أصغوا  
سأقص عليكم القصة .

كان هناك ثلاثة عشاق ينشدون حب حسناء  
ويضيقون عليها الخناق ، أولهم قاطع طريق  
تبحث عنه منصة الاعدام ، وثانيهم دوق ،

وثالثهم ملك . وحينما وقع الهجوم أتدرون من  
الذى كتب له الفوز ؟  
قاطع الطريق !! !

دون فرانشيسكو : ليس عجباً أن يقع ما وقع . ففي شئون الحب كما  
في شئون الحظ باسبانيا أو في غيرها ، يكون زهر  
الرد مخادعا ، ولا يظفر بالكسب غير اللص .

دون ريكاردو : من ناحيتي انسا ، أعترف اني التقت حظي  
الأوفر ، اذ سرت وراء ركاب الحب . كنت  
في أول الأمر كونتا ، فأصبحت عظيما من عظماء  
أسبانيا ، وأخيرا صرت قائد حراس القصر .  
لم يضع وقتي عبثا ، ولم يشك أحد في مقاصدي .

دون سانشو : السر في نجاح هذا السيد أنه كان يقف في طريق  
الملك

دون ريكاردو : ( مستمرا ) وأعلى الملك من حقوقي وخدماتي .

دون جارسى : غنمت ماغنمته أنت ، من انتهاز الفرص فسى  
متابعة معايباته وهوه

دون ماتياس : وما الذى انتهى اليه أمر الدوق العجوز ؟ أترأه  
يعد مسامير نعشه ؟

دون سانشو : أيها المركيز ، لاتضحك منه ، انه رجل ذو نفس  
أبية ، أحب دونيا سول وهو شيخ . ستون عاما  
جعلت من شعره خليطا من بياض وسواد ، وقدر  
يوم واحد على أن يحيل هذا الخليط قطعة من  
بياض .

- دون جارسى : يقولون انه لم يعد يرى في سر قسطة
- دون سانشو : ( وهو يهمس الى دون ماتياس ) أكنت تريده أن يجر وراء نعشه ليحضر هذا العرس ؟
- دون فرنشيسكو : وما يعمل الامبراطور ؟
- دون سانشو : الامبراطور اليوم كئيب ، « لوثر » يشغله ويفضايقه
- دون ريكاردو : هذا المدعو « لوثر » الذى يستغيث منه الناس ويشير همومهم ، أعطوني أربعة من الجنود وأنا أقضى عليه سريعا .
- دون ماتياس : وسليمان سلطان العثمانيين ، يلقي عليه بظلمه الثقيل . .
- دون جارسى : أوف . لوثر . . سليمان . . نبتون ، الشيطان . وجوبيتير ، مالنا بهم ؟
- النساء فانتات ، وصارت نادرة المسخر التى تسرى عن النفس ، وقد تحدث بمائة كلمة مما يوحى به الجنون .
- دون سانشو : هذا كلام سليم وفي صميم الموضوع
- دون ريكاردو : جارسى لم يخطئ وأنا لست أنا في أيام الأعياد والمسرات ، وأعتقد أنه يكفى أن أضع قناعا على وجهى ، حتى أتغير وأبدو وكأننى غيرى
- دون سانشو : ( هامسا الى ماتياس ) لم لا تطول أيام الأعياد والمسرات ؟



دون فرنشيسكو : ( مشيرا بحركة من رأسه ) ستراهما قادمين بعد قليل .

دون فرنشيسكو : أتظن ؟

دون جارسى : بل متأكد .

دون فرنشيسكو : حسن جدا . . في الواقع ما أحلى العروس !

دون ريكاردو : وما أطيب قلب الامبراطور !! واليكم . .

هرنانى هذا الثائر قد عفا عنه ، وقلده قلادة الخصلة الذهبية ، ثم زوجه !! ولو أنه استشارنى في الأمر ، لجعلته يعطى هذا العاشق سريرا من الحجر ، ويعطى السيدة سريرا من الريش .

دون سانشو : ( وهو يهمس في أذن دون ماتياس ) أما لو كان

الأمر بيدي أنا ، اذن لقتلته بسيفى ، هذا الذى يدعى نبل المحتد ، هذا المزيف الذى يختفى خلف ثوب مزركش بالحیوط الحشنة ، وتحت صديرية ، مما يرتديه الكونتات ، وقد انتفخت بمغامرات مع رجال الشرطة .

دون ريكاردو : ( وهو يقرب من المتحدثين ) ما تقولان ؟

دون ماتياس : ( بصوت منخفض الى دون سانشو ) كونت . .

لسنا هنا للمنازعات (إلى ريكاردو) كان ينشدنى أحد قصائد بترارك في معشوقته .

دون جارسى : ألم تلاحظوا أيها السادة ، انه بين الورود والنساء ،

والثياب التى جمعت كل الألوان ، يقف ذلك الشبح متكئا على «الدرابزين» وهو مرتد ملابسه

التنكرية السوداء ، وكأنه بقعة كثيبة تعكر بهجة  
هذه الحفلة ؟

دون ريكاردو : ايه . . ورنجى .

دون جارسى : ومن يكون ؟

دون ريكاردو : يبدو لى مما هو عليه من قامة ، وبما ينبعث منه ، أنه  
« دون برانكازيو » أمير البحر .

دون فرانشيسكو : لا .

دون جارسى : لم أراه خالعا قناعه مرة واحدة

دون فرانشيسكو : فعل ذلك قصدا . اذ هو « دوق دى سوما » الذى  
يخالف دائما ما يأتيه الغير من أجل أن يلفت  
الأنظار اليه .

دون ريكاردو : لا ليس هو ، لقد تحدثت الى الدوق من قبل .

دون جارسى : اذن من يكون هذا المتنكر ؟ اليكم . . هاهو ذا  
قادم الينا

( يبدو رجل يرتدى ثيابا تنكرية سوداء وعلى  
وجهه قناع ، وهو يسير ببطء في مؤخرة الشرفة .  
ويستدير اليه الجميع يتابعونه بنظراتهم . هذا في  
حين أنه يبدو وكأنه لا يعيرهم التفاتا )

دون سانشو : اذا صح أن الأموات تمشى ، فهاكم خطاهم

دون جارسى : (يجرى مسرعا نحو الرجل المتنكر) لباس تنكرى بديع  
( يستدير المتنكر نحو جارسى ويقف فيتأخر  
جارسى خطوة الى الوراء نحو أصدقائه ) أقسم  
بنفسى . . رأيت في عينيه لها يلتمع

- دون سانشو : اذا كان هو الشيطان فسيجد من يتحدث معه  
( متقدما الى الرجل المتنكر الذى بقى واقفا في  
مكانه دون حراك )  
أمر سييئ . . أبعثت الينا من جهنم ؟
- المتنكر : لم أجيئ منها . . وإنما أنا ذاهب اليها  
( ويعاود سيره ليختفى في درج الشرفة ، هذا  
والجميع يتابعونه بنظرات ملؤها الفزع )
- دون ماتياس : في صوته أصداء . . سكان المقابر . . هذا ما يمكن  
أن يقال عنه .
- دون جارسى : يكفى . . أن ما يخيفنا في ناحية من النواحي ،  
يضحكنا في المرقص .
- دون سانشو : يا لها من دعابة سخيفة
- دون جارسى : أه هو الشيطان ، خازن جهنم ، أتى ليلقى نظرة  
علينا ونحن نرقص قبل أن يكون له . . نرقص . .
- دون سانشو : لاشك في أن الرجل يمزح مزاحا سوقيا .
- دون ماتياس : سنعرفه في الغد .
- دون سانشو : ( الى دون ماتياس ) انظر . . أين ذهب ؟
- دون ماتياس : ( ذاهبا الى «درايزين» الشرفة وهو يدير عينيه في  
كل مكان ) هبط من الدرج واختفى
- دون سانشو : مباح غريب الأطوار ولا شك . . ( مفكرا )  
أمر غريب !!
- دون جارسى : ( الى سيدة تمر الى جانبه ) سيدتى المركبيرة  
أنرقص سويا هذه الرقصة ؟

( يحببها بانحناء ثم يمد يده اليها )

السيدة : عزيزى الكونت ، أنت تعلم أن زوجى يعد كل خطواتى معك .

دون جارسى : وهذا سبب آخر لأن نرقص ، حتى لا نخرمه متعة العدّ لرقص .

( تعطيه السيدة يدها ويخرجان )

دون سانشو : ( مفكرا ) حقا هذا أمر عجيب ! !

دون ماتياس : صممتا . . أقبل العروسان

( يدخل هرثانى ودونيا سول ، يد من كل منهما تتشابك مع يد من الآخر . دونيا سول في لباس عرس ناصع البياض ، وهرثانى في لباس من المخمل الأسود وعلى صدره تدلى القلادة الذهبية ، وخلفهما جماعات من السيدات والسادة وكلهم في لباس التنكر ، وقد وضعوا الأقنعة على وجوههم ، وهم في الواقع يولفون موكبا للعروسين . فمامهم أربعة من الوصفاء وفي الخلف يسير حارسان يحملان الفؤوس العالية ويتنظم كل هؤلاء على المنصة بحيث يفسحون للعروسين طريقا فيما بينهم )

## المشهد الثاني

السابقون — هرثانى — دونيا سول

هرثانى : ( وهو يرد التحية ) يا أصدقائى الأعزاء .

دون ريكاردو : سعادتك هذه من سعادتنا يا موسى .

دون فرنشيسكو : ( وهو يتفرس دونيا سول ) وحق القديس سان  
جاك ، انها لآية في الجمال !

دون سانشو : ( الى دون ماتياس ) تأخرنا . . ألا ننصرف ؟  
( يأخذ الجميع يحيون العروسين وينصرفون من  
الباب ومن الدرج )

هرنانى : ( وهو يودعهم ) في حراسة الله .

دون سانشو : ( بقى آخر المنصرفين . . ويشد على يد هرنانى )  
فلتسعد ( ينصرف )

### المشهد الثالث

هرنانى - دونيا سول

دونيا سول : أخيرا . . انصرفوا جميعا .

هرنانى : ( وهو يحاول أن يأخذها بين ذراعيه ) يا غرامى .

دونيا سول : ( وقد احمرت خجلا وتراجع ) يبدو لى أن . .  
اننا صرنا في ساعة متأخرة من الليل .

هرنانى : ياملاكى . . كل ما يؤخر لقاءنا يكون مفرطا في  
طوله .

دونيا سول : أتعبتني هذه الضجة ، ألا ترى ياسيدى العزيز أن  
الافراط في اللهو مدعاة الى أن يقلل من شعورنا  
بالسعادة ؟

هرنانى : أنت على حق ، فالسعادة يا حبيبتي شيء له مهابته ،  
وهنى لاتسكن الألقوب الصلبة لتحضر عليها في  
توذة وجودها . . والله وان أضفى عليها جمالا ،

الا أن القلب ينفر منه اذ يجعل ابتساماته أقرب الى  
البكاء منها الى الضحك .

دونيا سول : في عينيك أطالع هذه الابتسامة وكأنها اشراقه  
النهار

( يحاول هرناني أن يسير بها الى باب الحجرة  
ولكنها تمنع في خفر )  
مهلا . .

هرناني : أنا أسيرك ، ابقى ماحلالك البقاء ، افعلى ماتريدين

فلن أسألك شيئا . أنت تعرفين ما تصنعين ، وكل  
ما تصنعينه محبب الى نفسى . اذا أردت أن أضحك  
فسأضحك ، واذا شئت أن أغنى فسيرتفع صوتى  
بالغناء ، قلبي كله نار وهيب . قولى للبركان  
أطفى نارك ، يغلق البركان فوهاتة المتثابرة بالحمم  
ولن ترين على سفوحه وجنباة غير الزهر والعشب  
الأخضر ، لأن العملاق قد استونس ، وبركان  
« فيزوف » قد استبعد ، وماذا يهملك اذا كان  
الحمم أضنى قلبه ؟ تريدين روية الزهر —  
لا عليك ، اذ ينبرى البركان المحترق يبذل كل  
جهد ليتفتح زهورا تسر الناظرين .

دونيا سول : ما أرحمك قلبا يخنو على امرأة ضعيفة ! ! هرناني  
يامن تسكن قلبي . .

هرناني : ماذا يعنى هذا الاسم ياسيدتى ؟

لاتدعيني بعد الآن بهذا الاسم ، أناشدك الرحمة !  
انك بهذا الاسم تذكرينى مانسيته .

أعرف أنه كان هناك ، في حلم مخيف ، من  
يدعى هرناني وكان لنظراته بريق السيوف . .  
رجل مخاطر يركب الليل ويجوس الجبال ، هو  
عاص مطارد ، نطت كلمة الانتقام على كل  
شيء فيه . يائس تلاحقه لعنة أينما ولى وجهه .  
ولكنني لم أعد اليوم أعرف هرناني هذا . .  
انني أهمم الآن بالمسروج الخضر ، ويشجيني  
تغريد البلبيل بالزهور ، أنا يوحنا الارجواني ،  
أنا زوج دونيا سول ، واني لجد سعيد .

دونيا سول : واني لسعيدة .

هرناني : ماذا يهمني الآن . . الأسماك والحرق ،  
والانقراض ، تركتها وراء الباب . وهأنذا أعود  
الى قصرى الحزين ، وعلى عتباته أرى ملكا من  
السماء ينتظرني . . هأنذا أقيم من جديد  
العمد المحطمة الثاوية على الأرض ، أعيد  
اشعال النار ، وأفتح مصاريع النوافذ ، أنزع  
الحشائش عن أحجار الفناء ، لقد أرجعوا الى  
أبراجي ، وحصونى ، وشرفاتى ، وردوا القابى  
وريشة نخوزتى ، وأعادوا مقعدى في مجلس  
قشتالة :

إلى يادونيا سول ، تتهادين في حمرة خديك ،  
وفي خضر عينيك ، وليدعنا الناس في خلوتنا . .  
ان مافات ، قد انقضى وراح . أنا ما رأيت شيئا ،

وما قلته وما فعلته . انى أبدأ من جديد ، لاننى نسيت .  
كل ما فات ، وسواء عن حكمة أو عن جنون ،  
فانى أحبك ، أنت لى ، وأنت كل متاعى .

دونياسول : ( وهى تتفحص القلادة الذهبية على صدره ) .  
ما أحلى هذه القلادة الذهبية وهى تزهو فوق  
خلفية من المخمل الاسود ! !

هرنانى : رأيتها قبل ذلك ، إذ كان الملك يقلدنى إياها .

دونياسول : لم أهتم بالأمر ، إذ هى لا تهمنى فى شىء ، إذا  
لم تكن لك .  
نم . . أهو المخمل ، أو الحرير الذى يكسب  
القلادة هذا البهاء ؟

لا . . لا يادوق ، هو جيدك الذى يزينها  
فيك يامولاي نبل وفيك شهى الكبرياء .  
( يحاول هرنانى أن يجتذبها )

لحظة ولا تتعجل . أترى ماى ؟ انه هزة الفرحة .  
. . انى أبكى . . تعال نستمتع بجمال الليل .  
( تسير إلى الدرايزين )

لحظة يادوق . . مهلة ، أن أتشقق الهواء ، وأسرح  
الطرف

كل شىء قد انطفأ وسكت ، الأنوار وموسيقى  
العرس ولم يبق سوانا : الليل . . . وأنا . . .  
وأنت . . اكتملت لنا الفرحة .

قل لى ، ألا تعتقد أن الطبيعة ترعانا وتسهر علينا  
فما من سحابة واحدة تحجب وجه السماء . كل



كائن حولنا يستريح ، كما هي حالنا . تعال ،  
واستنشق معي شذى الورد . انظر لم يعد هناك  
نور يضيء ، ولا جلبة تسمع . كل شيء صامت .  
كان القمر منذ لحظة طالعا في الأفق ، وحينما  
كنت تتكلم ، خيل الى أن ضوءه المرتجف  
وصوتك المرتعش - الاثنان معا - ينفذان الى  
قلبي فأحسست الفرحة تملوئي ، والطمأنينة تشيع  
في نفسي .

آه . . . يا حبيبي لم لا يأتيني الموت في هذه الساعة !!

هرناني : من ذا الذي لا يفغل عن نفسه ، وينسى كل شيء  
لدى سماع هذا الصوت العلوي ، كلامك أهازيج  
جل شأنها أن تحمل شيئا من أناشيد البشر . فاني  
أتابع بفكري أحلامك وأخيلتك ، كما ينطلق  
المسافر على صفحة النهر ، وقد انساب مع التيار  
في ليلة ضافية من ليالي الضيف ، فاذا هو يطالع  
مروجا لا يحصرها العد ، وقد وشاها الزهر .

دونيا سول : هذا السكوت ممعن في الكتابة . . . وهذه الهدأة  
توغل في أعماق بعيدة . . . قل لي . . . ألا تصبو  
إلى رؤية نجم يضيء من بعيد في نهاية الأفق ؟  
ألا تشتهي سماع صوت رقيق حاني يرتفع فجأة  
يغنى ويهتف ؟

هرناني : يالك من صاحبة مزاج متقلب ؟  
كنت منذ ساعة تهريين من الأنوار ومن الموسيقى  
دونيا سول : مللت المراقص ، ولكنني أقبل على سماع الطائر

يشدو في الحقول ، البلبيل يصدح وقد حجبتة  
الظلال وأوراق الشجر ، وأحن إلى سماع  
المزمار ، وهو يثن من بعيد، ان للموسيقى حلاوة.  
تأسر ، تتناغم معها النفوس وتنصقل المشاعر ،  
وتردد القلوب أصداءها ، فنحس كما لو أن  
نشيدا علويا يهبط علينا من السماء .

شد ما أكون سعيدة لو أتيح لي الآن سماعها !  
( يرتفع صوت يصدح من بعيد )  
حمدا لك ياربى . . حققت لي أميى !

هرنانى : ( وهو يرتجف على انفراد ) ما أتعسك !

دونيا سول : ملاك حارس استشف ما وراء فكرى - وهو  
بلاشك ملاكك الكريم .

هرنانى : ( في مرارة ) نعم هو ملاكى الحارس .

( يرتفع صوت البوق مرة ثانية )

( على حدة ) مرة أخرى .

دونيا سول : ( وهى تبسم ) يادون يوحنا (١) ، عرفت  
الآن . . ان ماسمعتة انما هو صوت بوقك .

هرنانى : أليس كذلك ؟

دونيا سول : تشاركنى الطرب مناصفة في هذه الأغنية الليلية ؟

هرنانى : ليكن . . فلي نصفها كما قررت . .

دونيا سول : في الرقص ما يبعث على السأم وأفضل عليه سماع

---

١ - خلع الملك دون كارلوس هذا اللقب على (هرنانى) قرب نهاية الفصل الرابع  
اذ عفا عنه وأعاد اليه ألقابه وممتلكاته .

صوت البوق يرتفع في أعماق الغاب. ثم ان  
صوت بوقك من صوتك .

- هرناني : ( على حدة ) النمر يزأر بحثاً عن فريسته
- دونيا سول : دون يوحنا ، ان هذا النغم يملأ قلبي فرحا
- هرناني : ( بهم واقفا وقد لبس الرعب ) ادعيني هرناني  
.. هرناني، لم أقطع بعد ما بيني وبين وهذا الاسم  
الذي يحمل الموت في تضاعيفه .
- دونيا سول : ( وهي ترتجف ) ما بك ؟
- هرناني : الشيخ الهرم ..
- دونيا سول : ماهذه النظرات المليئة بالفجيعة ! ! ما بك ؟
- هرناني : هذا الشيخ الذي يرسل ضحكاته في الظلام .  
ألا ترينه ؟
- دونيا سول : الى أين ينتهي بك هذا الهيمان ؟ ومن هو هذا  
الشيخ ؟
- هرناني : الشيخ الهرم .....
- دونيا سول : ( تجثو على الأرض ) . راحة على الأرض ، أبتهل  
اليك . قل لي أي سر من الأسرار يمزقك ؟ ما بك ؟
- هرناني : أقسمت .
- دونيا سول : أقسمت ؟
- ( تتابع جميع حركات هرناني في وجل . أما  
هو فيمسك فجأة عن الحركة ويمر بيده على جبينه )
- هرناني : ( على انفراد ) ما عسى أن أقوله لها ؟ فلأجنبها

المصارحة بالحقيقة .

( بصوت مرتفع )

أنا .. أنا لا شيء بي .. فيما كنت أتحدث به  
اليك ؟

: كنت تتحدث ..

دونيا سول

: لا تلقى بالا .. كنت مضطربا .. اننى أتألم بعض  
الشيء ولكن ما هذا !! لن يذهب بك الفرع الى  
هذا الحد .

هرنانى

: هل تريد أن أقدم لك شيئا ؟ مر فأنا خادمتك

دونيا سول

( البوق يصدح من جديد )

: ( على حدة ) يريدنا .. هو يريد حياتى . عاهدته  
على ذلك .

هرنانى

( يتحسس حزامه الذى خلا من السيف ومن  
الخنجر )

لا شيء .. لا حيلة فى أن يتم الأمر .. آه

: بك ألم شديد ولا شك ؟

دونيا سول

: جرح قديم كنت أظنه التأم .. عاد فاغراً فاه .

هرنانى

: ( وعلى حدة ) فلنبعدها أولاً من هنا

( بصوت عال ) أصغ الى ، دونيا سول ، يا حبيبى

.. تذكرين ولا شك ذلك الصندوق الذى كان

يصاحبنى دائماً فى الأيام التى كنت أفقر فيها

الى السعادة ؟

دونيا سول : اعترف ما تريد .. ولكن ما عسى أن تصنع به ؟

هرنانى : فيه زجاجة تحتوي على أكسير للألم الذى يتابنى  
الآن . هيا اذهبي .

دونيا سول : أنا ذاهبة يامولاي  
( تخرج من الباب المؤدى الى غرفة العرس )

## المشهد الرابع

هرنانى ( وحيدا )

هرنانى : أقبل من سيقضى على هناعنى !!  
هاهى يد القدر المحتوم تبدو على الحائط !!  
آه . . شد مايعن القدر في السخرية منى !!  
( يغيب في تأمل عميق ، ولكن سرعان مايفيق منه )  
وبعد ؟ كل شئ حولى لا يتكلم ؟؟ لا أسمع وقعا  
لقدم ؟ ماذا . . أتخدعنى حواسى ؟  
( يظهر في مؤخرة منصة التمثيل الرجل المقنع في  
ملابسه التنكرية فيفزع هرنانى )

## المشهد الخامس

هرنانى - المقنع

المقنع : مهما يقع من أمر ، وحيثما يكون . . وفي آية  
ساعة تريد ، وقد رأيت أن موتى أصبح أمرا  
مقضيا ، فما عليك الا أن تنفخ في هذا البوق ،  
فيتم لك ماتريد من غير عناء هذا الميثاق شهد  
على صبحته الأموات . . هل أنت مستعد ؟

هرنانى : ( في صوت خفيت ) هذا هو .

- المقنع : هأنذا جئت الى سكنك ، جئت لأقول لك ان الوقت قد حان وأراك متأخرا ! !
- هرناني : حسن .. واية متعة لك في تنفيذ هذا الأمر ؟  
ماعساك صانع بي ؟ تكلم
- المقنع : لك أن تختار بين السم والنصل ، وما يقع عليه اختيارك ، أحضره لك ولنذهب معا الآن ..
- هرناني : فليكن
- المقنع : أتريد أن تصلى ؟
- هرناني : لا يهمني
- المقنع : ماذا اخترت ؟
- هرناني : السم .
- المقنع : حسن اعطني يدك .  
( يقدم الى هرناني قارورة فيتناولها وهو شاحب الوجه )  
اشرب ولينته الأمر .  
( يرفع هرناني القارورة الى شفثيه ولكنه لا يشرب ما فيها )
- هرناني : كن رحيما وأمهلي الى الغد .  
اذا بقيت لك بقية من قلب يادوق .. .  
اذا لم تكن شبعا فرّ هاربا من اللهب ، أو ميتا ملعونا ، أو طيفا لعفريت .  
اذا كان الله لم يصم جبينك بعد بأن خط علي صفحة كلمة .. لا .. .

اذا كنت تلدى مامعنى السعادة الكبرى في الحب ،  
وأنت ابن العشرين ، وفي أن تتزوج بمن تحب . .  
اذا أحسست يوما الهزة وأنت تطوى بذراعيك  
امرأة تحبها وهي ترتجف . . . فالى غد . . أمهلنى  
الى الغد ، تعالى الى الغد . .

المقنع : لا يقول هذا الكلام الا ساذج . الغد ؟ الغد ! !  
أتسخر منى !

ناقوس جنازتك دق في هذا الصباح . ثم ماذا  
أنا صانع هذه الليلة ؟  
تريدنى أن أموت ؟ واذا مت فمن ذا الذى يمضى  
بك بعد ذلك الى القبر ؟  
أتريدنى أن أنزل القبر وحدى ؟ أيها الشاب يجب  
أن تتبعنى .

هرناني : أقول لك لا . سأنجو بنفسى منك . . . فأنت  
شيطان . . . لن أطيعك .

المقنع : كنت أشك في أنك ستتبعنى . . . حسن جدا .  
فيم اذن أقسمت ، وبم أقسمت ؟ لم تقسم بشيء  
أو لعلك أقسمت بشيء تافه . . برأس أبيك ! !  
وهذا قسم يتطرق اليه النسيان . . ان بالشباب نخفة  
ونزقا

هرناني : أبى . . أبى . . يكاد عقلى يختلط على ويتداعى

المقنع : لا - ان الأمر لا يتجاوز أن يكون نكثا بعهد  
ونخيانة قسم .

هرناني : يادوق

المقنع : مادام الكبار من البنين في بيوت اسبانيا يعبثون  
بأقسامهم ويزيفون في كلامهم فالوداع ( بهم  
بالخروج )

هرناني : لا تذهب .

المقنع : اذن .

هرناني : أيها الشيخ الذي لا قلب له !

( يمسك بالقارورة )

أترجع وأنا على أبواب السماء ؟

( تدخل دونيا سول ، ولكن عينها لا تقع على

المقنع اذ يكون واقفا في مؤخرة منصة التمثيل )

## المشهد السادس

السابقون - دونيا سول

دونيا سول : لم أعبث على الصندوق .

هرناني : ( على جانب ) يا الهى ! ! هذه هي ؟ تجيء في مثل

هذه اللحظة ! !

دونيا سول : ما به ؟ هل هو يفرغ منى ؟ انه يترنح من سماع

صوتي ! ! ماذا تحمل في يدك ؟ انى أرتاب . .

ماذا في يدك ؟ أجب .

( يقترب المقنع منها وينزع قناعه ، فتبدوا منها

صرخة فرح اذ تبين فيه دون روى جومير ) .

روى جومير : هذا سم .

هرناني : ويلى منه



دونيا سول : ( الي هرناني ) ما الذي حدث مني ؟ وأى سر  
نحيف سأقف أمامه ؟ كنت تخدعني بادون يوحنا .

هرناني : كان لازما أن أخفي الأمر عنك ولا أتكلم .  
وعدت اللدوق أن أسلمه حياتي وهو من سبق له  
أن أنقذها ، ولا حيلة الآن في أن يدفع آل أراجون  
دين سيلفا .

دونيا سول : أنت لسبت له ، أنت لي وحدي أنا ، ولا تهمني  
عهودكما .

( الي روى جومير )

أيها اللدوق ان الحب يملأ جوانحي قوة ، بحيث  
أستطيع أن أنازلك وأنا زل جميع الناس في سبيل  
الدفاع عنه .

روى جومير : دافعي عنه ان استطعت ، دافعي عنه وقد ارتبط  
بعهد وقسم .

دونيا سول : أى قسم ؟

هرناني : لقد أقسمت .

دونيا سول : لا ، لا ليس هناك قسم ترتبط به ويقيدك ، هذا  
أمر لن يكون ، انه جريمة ، اعتداء ، جنون .

روى جومير : هلم يادوق .

( تبدو من جانب هرناني حركة ليتبع روى جومير  
ولكن دونيا سول تحول دون اتمامها )

هرناني : دعيني يادونيا سول ، ليس هناك مفر من انجاز  
هذا الأمر . عاهدت عليه اللدوق وأقسمت برأس

أبي علي تنفيذه ، وأبي مطل علينا من عليائه .

دونيا سول : ( الى روى جومير ) أهون عليك أن تنزع من

النمرة صغارها ، من أن تسلبني من أحب .

أتعرف من دونيا سول ؟

أخذتك بالرفق ، وتحملتك منذ زمن ، مشفقة

على الستين عاما التي قطعتها من عمرك ، فكنت

لك الفتاة الرقيقة الساذجة التي يحمر وجهها خفرا ،

أما الآن فانظر جيدا الى هذه العين التي تشرق

بدموع الغضب ؟

( تنتضي خنجرا من صدرها )

أترى هذا الخنجر أيها الشيخ الخرف ؟ ألا تخشى

الذصل بعد تهديد العين به ؟ حذار يادون روى .

اننى من الأسرة ياعم ، أصنع الى : لك الويل منى

اذا امتدت يدك بسوء الى زوجى .

( برهة صمت ووجوم ، وتلقى دونيا سول

بالخنجر بعيدا عنها ، لتقع جاثية على الأرض )

أجثو راحة على قدميك . كن رحيمنا بنا ،

اعف ، أسفاه يامولاي ، لست الا امرأة .

خارت قواى . فارقنى صلابتى ، أترامى على

قدميك وأبتهل اليك أن تكون رحيمنا بنا .

روى جومير : دونيا سول .

دونيا سول : اعف ، اننا معشر الاسبان نستشيط غضبا أمام

العبارات الحادة ، ولكن سرعان ما نهدأ عند سماع

الكلمات الحلوة الكريمة ، ، أنت تعرف هذا ،

ولم أعهدك يوما رجلا فظا نحيثا . . الرحمة . .  
انت تقضى علىّ يا عمى اذا امتدت يدك بسوء  
إليه رحمة ، فاني أحبه . .

روى جوميز : ( مكتئبا ) تيممك حبه !!

هرنانى : أتبكين ؟

دونيا سول : لا ، لا ، لا أريد أن تموت يا غرامى . لا أريد

( الى روى جوميز )

اعف عنا اليوم . سأحبك ، أنت أيضا ، سأحبك حبا جما

روى جوميز : تحبينى بعده ؟ تعطينى بقايا حب ، أتحسين انك

تطفئين الجوى الذى يفرسنى بهذا القليل من

الحب ، ومن الصداقة ؟

( مشيرا الى هرنانى )

هو وحده ، وله وحده ، كل شيء . أما أنا

فليس لى منك غير الاشفاق والرثاء . ثم صداقتك

هذه ، ماذا أفيد منها ؟

يا للغيظ !! له وحده القلب ، والحب والسلطان .

النظرة منك ترمين بها الىّ ، يعتبرها صدقة

يتصدق بها .

واذا احتاجنى شوق الى أن أسمع كلمة رضا منك

فهو وحده الذى يأمرك : « قولى هذه الكلمة

وكفى !! » وهو يلعن فى سره هذا الشحاذ

الجشع الذى ليس أهلا الا لأن يلقى اليه بثمالات

الكئوس !!

يا للعار ! ويا للسخرية !! لا . لا أقبل . لا بدأن

- هرناني : : انتهى .. اشرب أعطيته كلمتي ، ولا بنمد  
الوفاء بها .
- روي جوميز : : هيا
- ( يرفع هرناني قارورة السم الى فمه ، ولكن  
دونها سول ترمى على ذراعه )
- دونيسا سول : : تمهل . تفضلا أنتما الاثنان بالاستماع الى .
- روي جوميز : : اللحد فاغرفاه ، وأنا لا أملك الانتظار
- دونيا سول : : لحظة يامولاي ، وأنت يادون جوان ، ويالي من  
قسوتكما !!
- ماذا أريد منهما ؟ .. انها لحظة هي كل ما  
أتمسه ، مهلة أن تفضي امرأة مروعة بما في  
قلبها .. آه !! دعاني أتكلم .
- روي جوميز : : ( إلى هرناني ) إني علي عجل .
- دونيا سول : : ياسيدي ، انكما تملآني ذعرا ، ماذا فعلت بكما؟
- هرناني : : صرخاتها تمزقي .
- دونيا سول : : ( وهي ما زالت ممسكة بذراع هرناني ) ترى  
جيدا أنني لم أفرغ بعد من انهاء ما أريد قوله ..
- روي جوميز : : ( إلى هرناني ) يجب أن تموت .
- دونيا سول : : ( وهي ما زالت على الوضع السابق ) دون جوان ،  
افعل ما تريد أن تفعله بعد أن أفرغ من كلامي .  
( تختطف القارورة من يده )  
أخذتها

(ترفع القارورة أما أعينهما وقد استولت الدهشة  
عليها )

روى جومير : مادمت أجدني في هذا المكان أمام امرأتين فيجب  
أن أذهب إلى حيث ألقى النفوس الكبيرة .  
أقسمت بالدم الذي أخرجك من الدنيا ، وها  
أنت ذا تحنث بقسمك فلاذهبنّ إلى أبيك في  
عالم الأموات أحيطه بالأمر .... وداعا .  
( يخطو نحو الخارج فيمسك به هرثاني )

هرثاني : قف يا دوق .

( الى دونيا سول ) أسفاه . . أتوسل إليك  
أتريدين أن ترينني مزيفا ، عاقا ، حائثا ينميته ؟  
أتريدين أن ترافقني الحياة أينما وليت وجهي ؟  
وكانها مكتوبة على جبينى ؟

أشفقى علىّ وأعيدى هذا السم . أستحلفك بحبنا ،  
بنفوسنا الخالدة .

دونيا سول : ( في كآبة ) تريد ذلك ؟ ( تشرب السم ) خذه الآن .

روى جومير : ( على انفراد ) أكان هذا السم معدا لها ؟

دونيا سول : ( وهى تمد يدها بالقارورة بعد أن شربت نصف  
ما فيها ) خذه . . أقول لك .

هرثاني : ( الى روى جومير ) رأيت أيها العجوز التعس ؟

دونيا سول : لا تلمنى ، تركت لك حصتك .

هرثاني : ( وهو يأخذ القارورة منها ) ربي . .

دونيا سول : ما كان في وسعك لو شربت أنت أولا ، انترك

لى نصيبى . لىس لك قلب الزوجة المتدينة .  
ولا تعرف أن تحب كما تحب فتاة من آل سيلفا .  
شربت أنا أولا وأنا مطمئنة ، فأشرب أنت الآن ،  
إذا أردت .

هرنانى : ماذا فعلت بنفسك أيتها المسكينة التعسة .

دونيا سول : أنت الذى أراد هذا .

هرنانى : انها ميتة مؤلمة

دونيا سول : لا . . . ولماذا ؟

هرنانى : ان ما شربته يسير بك الى القبر .

دونيا سول : ألم نكن أعددنا كل شيء لثرقد جنبنا الى جنب هذه

الليلة ؟ ماذا يهيم اذ تغير السرير . . .

هرنانى : أبى . أراك انتقمت لنفسك منى ، اذ نسيتك .

( يرفع القارورة الى فمه )

دونيا سول : ( وهى تلقى بنفسها عليه ) الهى هذه الآلام

لا تحتمل ، ألق بالقارورة بعيداً عنك . تاه عقلى ،

لا تشرب ، ويلى يادون جوان ، يامن أنت لى ،

هذا سم زعاف تطل معه فى القلب أفعى ذات

ألف ناب تنهش فيه . آه ، ما كنت أدرى أن

يبلغ الألم بالانسان هذا المبلغ ! ! ما هذا ؟ انه

النار ، لا تشرب . . شد ما ستألم .

هرنانى : ( إلى روى جومير ) ما أقسى قلبك ، ألم يكن

فى وسعك أن تختار لها سماً آخر؟ ( يفرغ كل

مافى القارورة فى فمه )

- دونيا سول : ماذا تفعل ؟
- هرنانى : ما فعلت أنت بنفسك .
- دونيا سول : إلى ذراعى يا حبيبي ومحبوبى  
( وقد جلس كل منهما إلى جوار الآخر )
- ألا تحس أن الألم ممض وفضيع ؟
- هرنانى : لا .
- دونيا سول : ها قد بدأت ليلة عرسنا ، قل ، ألا ترى انى  
أبدو فيها شاحبة اللون أكثر مما يجب أن تكون  
عليه العروس ؟
- هرنانى : آه !!
- روى جومير : حقق القدر ما يريد .
- هرنانى : يا لليأس ، يا للألم . . دونيا سول تتألم وأراها  
على هذه الحال !!
- دونيا سول : تمالك نفسك . أحس أننى أحسن حالاً ، سنفتح  
أجنحتنا معاً ونطير في الفضاء فلنرحل في ضربات  
جناح نحو عالم أفضل . أعطنى قبلة . . قبلة واحدة فقط .
- روى جومير : يا للألم !!
- هرنانى : ( بصوت بدأ الضعف يدب فيه ) تباركت السماء  
التي منحتنى حياة وعرة ، مليئة بالمهاوى والمخاوف  
في أول مراحلها ، لأقف في ختامها أمام الأشباح .  
ولكن السماء تلطفت بى بعد أن أمضيت السير  
وحننت على " برقدة استقر فيها وفمى على يدك . .

روى جومير : ما أسعدهما !!

هرنانى : ( بصوت يغالبه الضعف ) تعالى . . اقتربنى منى  
يا دونيا سول . كل ما يحوطنى ظلام . . أتألمين؟

دونيا سول : ( بصوت ضعيف ) لا . . لم أعد أتألم ؟

هرنانى : ألا ترين نيراناً تشتعل في الظلام ؟

دونيا سول : لا .

هرنانى : ( في زفرة طويلة ) ها... أنا . . ( يقع على الأرض )

روى جومير : ( يرفع يديه رأس هرنانى فيسقط من جديد )  
مات .

دونيا سول : ( وقد تبعث شعرها ونهضت بنصفها الأعلى عن

الأرض ) مات ؟ لا . لم يموت . نحن راقدان . .

هو في أغماضة النوم . هذا زوجى . كلانا يهيم

حباً بصاحبه ، فاضطجعنا هنا . . هذه ليلة

عرسنا . ( وفي صوت يموت تدريجياً ) لا توقظه

يادوق . . فهو متعب ( تدير وجه هرنانى

نحوها ) ياغرامى . . أدر وجهك نحوى ، ادن

منى ادن أكثر ، أكثر . . .

( تسقط بلا حراك )

روى جومير : ماتت . . انى مقضى على بالهلاك .

( يقتل نفسه وسقط إلى جوارها )

( ستار )



# فهرست

رقم الصفحة	الموضوع
٥	١ - مقدمة بقلم المترجم
٥١	٢ - شخصيات المسرحية
٥٣	٣ - زمن المسرحية ومكانها
٥٥	٤ - الفصل الاول
٨٩	٥ - الفصل الثانى
١١٣	٦ - الفصل الثالث
١٦١	٧ - الفصل الرابع
٢٠٣	٨ - الفصل الخامس

\*\*\*

## ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١ -	ماتويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢ -	جان آنوي	القبلة ( جان دارك )
٣ -	هال بورتز	البرج
٤ -	تساو يو	عاصفة الرعد
٥ -	هارولد بنتر	١ - الخادم الاخرس
		٢ - التشكيلة او عرض الاكراه
٦ -	جون وبستر	الشيطنانة البيضاء
٧ -	تيرانس راليجان	الاسكندر المقتونى او قصة مطامرة
٨ -	تيرى مونييه	سباق الملوك
٩ -	جون مورليمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠ -	فريدريش دورنيمات	التيزك
١١ -	يونسكو - اداموف - ارابال - البي	دراما الالمقول
١٢ -	اوجست سترندبرج	( من الاعمال المختارة ) سترندبرج - ١
		١ - مس جوليا
		٢ - الاب
		مطيل بصود
		انشودة انجولا
		تواضعت ظفرت
		( من الاعمال المختارة ) مولير - ١
		● مدرسة الزوجات
		● نقد مدرسة الزوجات
		● ارتجالية فرساي
		عسكر وحرامية او نيد كيطلى
		العين بالعين
		( من الاعمال المختارة ) سترندبرج - ٢
		الطريق الى دمشق - ثلاثية
		١٤ يوليو
		شجرة التوت
		روس او لورانس العرب
		حلاق اشبيلية
١٣ -	نيقوس كالندزاكى	
١٤ -	بيتر فايس	
١٥ -	اوليفر جولد سميت	
١٦ -	مولير	
١٧ -	دوجلاس ستيوارت	
١٨ -	وليم شكسبير	
١٩ -	اوجست سترندبرج	
٢٠ -	رومان رولان	
٢١ -	انجس ويلسون	
٢٢ -	تيرانس راليجان	
٢٣ -	كارون دى بورمارشيه	

( تابع ) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٤ -	وليم شكسبير	هاملت
٢٥ -	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦ -	سوفوكل	( من الاعمال المختارة ) سوفوكل - ١
		نساء تراخيس
٢٧ -	جبريل مارسيل	( من الاعمال المختارة ) جبريل مارسيل - ١
		١ - رجل الله
		٢ - القلوب النهمة
٢٨ -	انريكى خارديل بونتيلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩ -	اوجست سترندبرج	( من الاعمال المختارة ) سترندبرج - ٢
		١ - الاقوى
		٢ - الرباط
		٣ - الجرائم انواع
		٤ - موسيقى الشبح
		اصطياد الشمس
٣٠ -	بيتر شافر	( من الاعمال المختارة ) جورج شعادة - ١
٣١ -	جورج شعادة	١ - حكاية فاسكو
		٢ - السيد بوبل
		انتصار حورس
٣٢ -	ه . و . فرمان	( من الاعمال المختارة ) جورج برنارد شو - ١
٣٣ -	جورج برنارد شو	١ - بيوت الامل
		٢ - العايب
		ثلاث مسرحيات ظريفة
		١ - قرافة السيارات
		٢ - فاندو وليز
		٣ - الشجرة المقصية
٣٤ -	فرناندو ازابال	( من الاعمال المختارة ) سوفوكل - ٢
		١ - اوديب الملك
		٢ - اوديب في كولون
		٣ - اليكترا
٣٥ -	سوفوكل	( من الاعمال المختارة ) جان جيرودو - ١
		١ - اليكترا
		٢ - لن تقع حرب طروادة

( تابع ) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٧ - ١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو - ١ ١ - الفنية الصلحاء ٢ - الدرس ٣ - جال أو الامتثال ٤ - المستقبل في البيض ٥ - الكراسي
٢٨ -	كوبر - تشيرنسل شارب - بيرمانج	مسرحيات اذاعية
٣٩ -	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل - ٢ ١ - روما لم تعد في روما ٢ - المحراب المقيء أو ( مصباح النعش )
٤٠ -	انطون تشينخوف	١ - شيطان الغابة ٢ - الخال فانيا
٤١ -	جورج شعادة	(من الاعمال المختارة) جورج شعادة - ٢ ١ - مهاجر بريسبان ٢ - البنفسج
٤٢ -	لويجي برانديلو	(من الاعمال المختارة) لويجي برانديلو - ١ ١ - ديانا والنال ٢ - الحياة عطاء ٣ - للة الامانة
٤٣ -	جيمس جويس	١ - ستيفن « د » ٢ - منفيون
٤٤ -	اوجست سترندبرج	من الاعمال المختارة - سترندبرج - ٤ ١ - الغراء ٢ - الاميرة البيضاء ٣ - عيد الفصح
٤٥ -	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل - ٢ ١ - انتيجونة ٢ - اجاكس ٣ - فيلوكتيت

( تابع ) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٦ -	جان جيرودو	( من الاعمال المختارة ) جان جيرودو - ٢ ١ - سدوم وعمورة ٢ - مجنونة شايو
٤٧ -	يوجين يونسكو	( من الاعمال المختارة ) يوجين يونسكو - ٢ ١ - ضحايا الواجب ٢ - مرتجلة الما ٣ - سفاح بلا كراه
٤٨ -	جيريل مارسل	( من الاعمال المختارة ) جيريل مارسل - ٢ ١ - طريق القمة ٢ - العالم المكسور
٤٩ -	البي - شيزجال	١ - الحلم الأمريكى ٢ - الطابعان على الآلة الأرض كروية
٥٠ -	ارمان سالاكرو	
٥١ -	جورج برنارد شو	( من الاعمال المختارة ) برنارد شو - ٢ ١ - السلاح والانسان ٢ - كانديدا ٣ - رجل المقادير
٥٢ -	هارولد بنتر	الحارس
٥٣ -	مارتينس دى لاروزا	ابن أمية أو ثورة الموريسكيين
٥٤ -	وليم شكسبير	مأساة كريولانس
٥٥ -	انطونيو بوينو بايخو	القصة المزدوجة للدكتور بالى
٥٦ -	يوريبيديس	● الكترا ● أورستيس
٥٧ -	فيكتور هيغو	هرنانى

الكويت	١٥٠	فلت	•	لسيبيا	١٥	قرشا	•	مستط	١٢٠	فلت
السعودية	٢	ريال	•	المغرب	٢	ريال	•	اليمن الجنوبية	١٤٠	فلت
العراق	١٥٠	فلت	•	ستونس	٢٠٠	ريال	•	اليمن الشمالية	٢	ريال
الأردن	١٥٠	ريال	•	الجزائر	٢	ريال	•	المحرق	١٥٠	فلت
مسوريا	١.٥	ليرة	•	العقبة	١٥٠	ريال	•	الحليج العربي	٢	ريال
ليبيا	١.٥	ليرة	•	السودان	١٥٠	ريال	•			

طبعة حكومة الكويت

## في العَدَدِ الثَّامِ

### المستنيرون

تأليف : ليوتولستوى

كتب تولستوى هذه المسرحية ليتلهم بتمثيلها أفراد أسرته في بيتهم المشهور : « ياسنايا بوليانا » .

وتروى كتب الأدب المسرحى ان الكاتب الكبير كان يضحك حتى يستلقى على قفاه لدى مشاهدته تجارب التمثيل .

وما كان غريبا ان يفعل . . ! فالمسرحية حافلة بأسباب الضحك . انها عرض شائق ولذيذ لاحوال الطبقة العليا في روسيا على أيام تولستوى ، وسخرية لاذعة من عادة تحضير الارواح ، التي كانت جنونا مستشريا آنذاك .

غير أن في « المستنيرون » شيئا أكبر من هذا وأهم ، وهو نفمة العطف الدافئ على الفلاحين .

ان يكن تولستوى يضحك من الفلاحين ، ومن سداجتهم التي توشك ان تكون غفلة ، فهو لا يقصر مطلقا في تبيان ترابطهم ، ووضوح الهدف أمامهم .

ان جماعة الفلاحين لا يهدأ لها بال حتى تحصل على ما جاءت تطلبه ، وهو قطعة من الارض تشتريها من المالك الكبير ، رضى هذا المالك أم كره !

وفي مواجهة هذا التضامن ، يضع تولستوى خمبول المستنيرين ، وحمافتهم ، وجريهم وراء الملذات ، ثم يترك لقارئ المسرحية ان يستخلص لنفسه من هذا كله ما يشاء من عبر .

# في هذا العدد

تأليف : فيكتور هيجو

هرناني

هرناني : اسم له معان كثيرة في هذه المسرحية فهو اسم علم لقاطع طريق وطالب ثار لايلين ...

وهرناني : محب وامق كتب بصدق حبه ، وبجراته ، قصيدة شائقة في عالم العشق والعشاق ....

وهرناني : اسم لقرية ضائعة في احدى مقاطعات اسبانيا ..

وهرناني : معركة أدبية تؤرخ انقضاء عصر في عالم الأدب والفن وقيام عصر آخر ...

كل هذا يجتمع ويدور في قصة عجيبة بأحداثها مثيرة بمفاجأتها ...

ومحور القصة ، حسناء يتعشقها ثلاثة رجال في وقت واحد .....

عجوز متصاب ، عظيم بمحتده ، عظيم بسرائه .....  
وملك يركب الليل تصحبه فرقة تنشد أناشيد الهوى تحت شرفات الحسان ...

ثم قاطع طريق ، ثائر على الملك فهو يحمل رأسه على كفه .....

ولمن يا ترى يخفق قلب الحسناء الذي يتقاسمه هؤلاء الثلاثة ؟

بل من من بينهم يسيطر عليها ويحكم ؟؟

والجواب الأول : نحن لا نختار حين نحب ..

والجواب الأخير : يكمن في تضاعيف هذه القصة .

ثم ان الجواب فيما نحن فيه ، ليس وحده ما يث  
فهناك مواضع استشارات أخرى .....

هذا الانسان الذي يجمع تحت جلده نقائص السم والتسفل ، الجمال والقبح ، الخير والشر ... في وقت واحد